الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

العدد ٤٠٨ ـ السنة ٣٦
شعبان ١٤٢٠ هـ
نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩ م

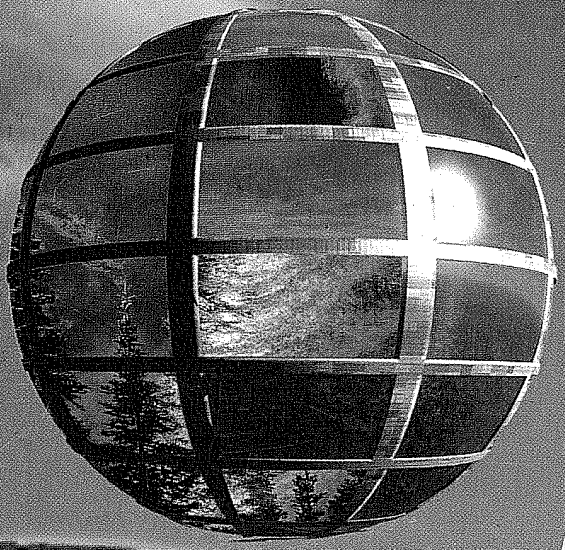

استقبال نفحات شهر رمضان المبارك

التصور الإسلامي للبيئة

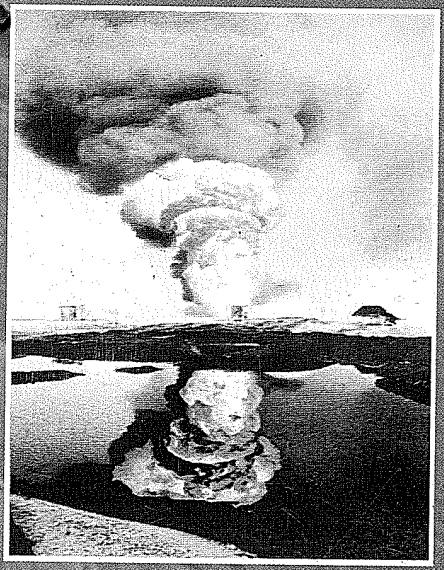

إعلام

سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي

فكر

الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

حوار

الأمين العام للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية

هديتك مع العدد براعم الإيمان

دع فريق بيت الزكاة يحتسب لك زكاة شركتك

يمتلك بيت الزكاة فريقاً مختصاً تم تأهيله وتدريبه شرعياً ومحاسبياً لإحتساب زكاة شركتك.

توصيل الزكاة لمستحقيها أمانة فدعنا نحملها عنك

الخط الساخن 574 5000

S.D.C

السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.prg.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

2.5%
زكاة أموالكم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 408 - السنة الخامسة والثلاثون - شعبان 1420 هـ - نوفمبر / ديسمبر 1999 م

كلمة العدد

حضارتنا السنية

قراءنا الكرام

من منطلق شمولية تعاليم الإسلام لكل مناحي الحياة، حاولنا في هذا العدد ومن خلال مقالات عدة أن نقدم النظرة الإسلامية لقضايا البيئة التي تعددت أشكالها وأنواعها وإفرازاتها في عالمنا المعاصر، فانعكست سلباً على حياة البشر بسبب استغلال الإنسان السيء للموارد والثروات الطبيعية، فبدَّد بقسوة الموارد الطبيعية في الإنتاج والإستهلاك، ولوَّث البيئة الطبيعية ما أضر بحياة البشر والحيوان والنبات بل الجماد.

إن النمط الغربي للتنمية القائم على الأنانية والجشع، وبغض النظر عما حققه من تقدم مادي هائل، قد حمل في طياته سلبيات بيئية خطيرة نسمع أخبارها في وسائل الإعلام المختلفة، الأمر الذي دفع برجال الفكر والسياسة والاقتصاد في كل مكان من المعمورة لرفع أصواتهم، مطالبين بمراجعة هذا النمط حفاظاً على الطبيعة المتوازنة، التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون الفسيح، وهذا بالطبع يلتقي مع النظرة الإسلامية، ويؤكد عظمة حضارتنا وصلاحية مبادئنا، وما تحمله من قيم نبيلة لصالح الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض والله من وراء القصد. ■

الوعي الإسلامي

الأسعار

٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران او مايعادلهما.

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الإمارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في العدد

استطلاع

لجنة العالم الإسلامي تاج العمل الخيري

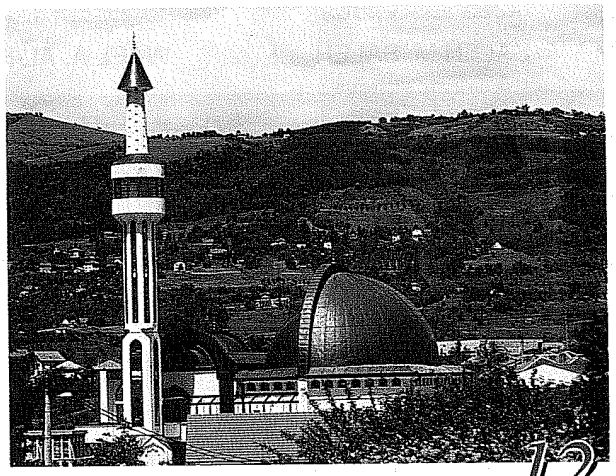

12

المتابع للعمل الخيري الكويتي يرى أنه أصبح سفير الأمة الإسلامية نظراً لما يتصف به من مزايا جعلته في مقدم المؤسسات الإنسانية العالمية...

لجنة العالم الإسلامي الكويتية بذلت جهوداً جبارة في مجال الإغاثة والبناء والتعمير منذ الأزمة البوسنية العام ١٩٩٢م.

فكر إسلامي 58

الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

غياب الحديث عن السنن الكونية في خطاب الحركات الإسلامية أمر خطير للغاية مع أن الناظر إلى كتاب الله تعالى يدرك أن السنن والقوانين التي حركت التاريخ تعد من الواجبات المطلوبة من المسلمين لتكليف شرعي له قداسته وقدره وأجره وثوابه.

أبواب ثابتة

حدث في هذا الشهر التسليم والاستسلام 18

قراءة في كتاب معجم أعلام الحديث النبوي 89

علوم من الإعجاز الطبي في القرآن 94

المحتويات

٣	كلمة العدد: حضارتنا البيئية	التحرير
٥	الافتتاحية: استقبال نفحات شهر رمضان	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	ندوة: حقوق المسنين في الإسلام	د. عماد عثمان ـ تمام أحمد
١٢	استطلاع: لجنة العالم الإسلامي تاج العمل الخيري	خالد ساير العتيبي
١٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل الهنيدي
١٩	حوار: مع الأمين العام للاتحاد الإسلامي لمسلمي أميركا الشمالية	مصطفى أحمد خليفة
٢٤	بيئة : التربية البيئية في الإسلام	د. عبدالراضي حسن
٢٦	نافذة على قضايا البيئة	د. زين العابدين متولي
٣٢	تقرير لبرنامج البيئة للأمم المتحدة	تمام أحمد
٣٤	الإسلام وحماية البيئة الحيوانية	حسين عبدالفتاح أحمد
٣٥	مناسبات : ليلة النصف من شعبان وتحويل القبلة	عبدالعظيم السيد الطنطاوي
٣٨	دراسات قرآنية : أهداف القصة في القرآن	د.عبدالفتاح محمد العيسوي
٤٠	من أسرار عدم تكرار قصة يوسف في القرآن	محمد إقبال عروي
٤٣	إعلام: سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي	د. حسن عزوزي
٤٦	عقيدة: حقيقة الشفاعة والرد على منكريها	أحمد عبدالوارث محمد
٤٨	حضارة: أمتنا وشخصيتها الحضارية التاريخية	غازي التوبة
٥٠	عولمة حقوق الإنسان	أحمد محمد موسى
٥٥	قصيدة: واحة الأرواح	عبدالغني أحمد الحداد
٥٦	قضايا فكرية: فقه النقد وآدابه الشرعية	د.عبدالعزيز انسميرات
٥٨	فكر إسلامي : الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية	عثمان أحمد عبدالرحيم
٦٠	قضايا معاصرة: العولمة وقيمنا الأخلاقية	د. محمد السيد المليجي
٦٣	مصطلحات فكرية: ضبط المصلح مطلب شرعي وعلمي	د. عبدالله المودن
٦٦	قصة: اللص الذي سرقني	عبدالستار خليف
٦٨	البيت المسلم: السبل التربوية لجعل الولد ودوداً رحيماً	آمال عبدالرحمن محمد
٧٠	الاستهلاك الرشيد خير وبناء	د.زيد محمد الرماني
٧٢	طفلي مولع باللعب ماذا أفعل؟	عبدالحميد غزي حسن
٧٤	إليك لجوئي	ليلى عبدالرحمن السلطان
٧٥	عندما يسرق الطفل... كيف نعالجه؟	أشرف سعد
٧٧	الطفل في اللغة والاصطلاح	طارق البكري
٧٨	كريمة المرزوية	إيمان أحمد حسنين
٨٠	تحرر المرأة بين كينونتها والمقايسة	عبدالعزيز إدريس
٨٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٨٦	ثمرات الفكر	محمد هاني
٨٩	قراءة في كتاب: معجم أعلام الحديث النبوي	د. رفيق حسن الحليمي
٩١	نافذة على العالم	التحرير
٩٤	علوم: من الإعجاز الطبي في القرآن	د.أحمد شوقي الفنجري
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى: النون والقلم	محمود علي عبدالرحمن

استقبال نفحات شهر رمضان المبارك

الافتتاحية

ما أن يقترب حلول شهر رمضان المبارك ذلك الشهر الفضيل العظيم إلا وتهب علينا نفحاته وشذاه ذات العطر الفواح الذي لاينقطع، ولعلّنا نجد ذلك جليا واضحاً في عمل سيدنا المصطفى رسول الله ﷺ.

فقد ثبت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه أكثر مايكون صائماً في شهرشعبان فكأن هذا العمل استعداد وإيذان وتهيئة للنفس على استقبال شهر الصبر شهر رمضان المبارك.

انه لحري بنا ونحن نعيش أيام شهر شعبان أن نتذكر جميل المزايا وحميد الصفات التي يسكبها علينا الشهر الفضيل، وأن نحاول جادين التعوّد عليها، إذ إنها تذكرنا بالخلق الكريم والمحمدة الرفيعة والسلوك النبيل، فإذا ما تذكرنا بعضا من معجزات رسول الله ﷺ، والدعوة إلى دين الله وانتشار الإسلام وتوسع الفتوحات الإسلامية والأعمال العظام في التاريخ الاسلامي، فإننا نجد ذلك كله في رمضان ،هذا الشهر الذي هو غرة الشهور وواسطة العقد.

فلا غرو ولا عجب ان يكون الحديث مرسلا مدرارا عن الشهر المبارك لما نأمل فيه من حدوث خير عميم للمسلمين كافة في مختلف أقطارهم وأصقاعهم كما نأمل أن تبنى الحلول لمشاكلهم حيث تعالج قضاياهم.

إنه شهر الجهاد، جهاد النفس، وجهاد الأعداء. إنه شهر الانتصارات والمعجزات، وكم هو جدير بنا ان نقف على آثاره وأبعاده في الخير والعطاء والتراحم والتواصل وصفاء النفوس ووحدة الصفوف، وأن يكون لنا نهجا جديدا وطريقا مستقيما، نهتدي فيه بتوجيهات نبينا الكريم ﷺ فنكسب ثواب الدارين وهذا هو المبتغى والمراد .. فهل نكون كذلك؟

اللهم اجعله شهر خير وبركة على المسلمين، وأنعم به علينا كما أنعمت على الصديقين والصالحين.

هذا وبالله التوفيق. ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

أين عزة المسلمين ؟!

مثال واحد في تاريخ المسلمين العظيم يبين إلى أي مدى وصل حال المسلمين الآن وكيف كان حالهم يوم أن كان الإسلام بعزته هو سبيلهم: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). امرأة حُبست في سجون الروم فقالت: «وامعتصماه» وما أن وصل الخبر إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله، حتى كانت النتيجة، أنه أرسل رسولاً برسالة هذا نصها: «من المعتصم أمير المؤمنين إلى كلب الروم» أما بعد، فإن وصلتك رسالتي فأطلق سراح المرأة المسلمة وإلا أرسلت لك جيشاً أوله عندك وآخره عندي. هم رجال يحرصون على الموت أكثر من حرصكم على الحياة»، من أجل امرأة مسلمة يجهز الجيش ويدخل المعارك هذا هو الإسلام وهذه هي عزة المسلمين يحافظ على المسلم في نفسه وفي ماله وفي عرضه مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

أما حال المسلمين اليوم فيُرثى له، إذ الظلم واقع على المسلمين في جميع أرجاء الأرض في الفلبين وفي بورما وكشمير، والبوسنة والهرسك وفي كوسوفا، ليس هذا فحسب، بل الكارثة هي محاربة المسلمين بعضهم بعضاً. يا أمة الإسلام، اعملوا بالأسباب واتركوا النتائج إلى الله مصداقاً لقوله سبحانه: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) المطلوب منا العمل قدر الاستطاعة لا تنظروا إلى قوة عدوكم، فالله قادر على تدميره. أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم. ■

العدل حسين العدل الغنيمي - مصر

المسلمون وواقع التكتلات العالمية

يُحار الذهن عندما ينعم المرء النظر في حال المسلمين اليوم، فبينما العالم كله يسعى إلى التوحد الحقيقي. يسعى المسلمون إلى التفرق الحقيقي... ما جعل أحد الظرفاء يقول: «لكي يكون المسلمون متفردين، فهم يسعون لأن يكونوا منفردين».

أي (أنه من أجل رغبتهم الأصلية التي تُناسب هواهم الشخصي في التفاخر والتباهي فهم مغرمون حتى الثمالة بالعمل فرادى... يقول البعض: إن تاريخ العرب كله تفرق وترحال؟ وإنهم لم يجتمعوا قط في تاريخهم إلا مرات معدودات استجابة لضغوط شعبية هائلة وأمام ظرف تاريخي عصيب ضد الصليبيين وضد التتار، مع أن من أبرز سمات ديننا هي القوة المبنية على الاتحاد والاستمرار والثبات. (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الأنفال: ١٥-١٦.

هل هذا الطبع القبلي يصح علينا كلنا فأضحى وباء الجميع لا نستطيع منه فكاكاً؟... إن كان ذلك كذلك فيجب استئصال شأفته، ولكن للعروبة - حتى في أيام الجاهلية - أيام مجيدة وقفت فيها أمام عتو الفرس والروم... لا نريد أن ندخل في دوامة مهاترات وسفسطات فالإسلام يَجُبُّ ما قبله، والرسول ﷺ ينهانا عن العصبية القبلية قائلاً: «دعوها فإنها منتنة»، من هنا يجب الاستمساك الحق بأهداب الدين الذي يأمرنا بالإعداد والأخذ بأسباب القوة حال السلم وحال الحرب، على مستوى الفرد والجماعة والدولة قائلاً: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال: ١٠. ■

محمد عبدالعزيز محمود

- **القارئان مصطفى عبدالعاطي، أحمد إبراهيم حسين ثابت - مصر:** شكراً على مشاعركما الطيبة، ونأمل تحقيق رغبتكما بخصوص جدول المواريث.
- **عبدالولي شيخ أحمد محمد - مصر:** يمكنك إرسال قيمة الأعداد المطلوبة حتى يُصار إلى إرسالها إليك وشكراً لك.
- **حمدي حاج سعيد - تايلاند:** من أجل الحصول على مساعدة مالية عليك مراسلة الجمعيات والهيئات الخيرية.
- **سليمان محمد سليمان:**

ردود خاصة

شكراً على اقتراحاتكم، ونأمل أن نستفيد من بعضها بما يتناسب ونهج المجلة وخططها المستقبلية.

- **أحمد بن سعيد بن هلال الحوسني - سلطنة عمان:** صفحات المجلة مفتوحة أمام الجميع وكل المقالات التي تصلنا تخضع لعملية التقييم والمراجعة لمعرفة مدى صلاحيتها للنشر، يمكنكم إرسال نتاجكم الأدبي.
- **الأخت فاتحة كعبي - المغرب:** المكتبات الإسلامية عامرة بالكثير من الكتب التي تبحث في الطب النفسي من منظور إسلامي وشكراً على ثقتك بالمجلة.
- **الأخت حماني نعيمة: المغرب:** ملاحظتك قيمة للغاية فحدث من دون مرجع يُنقص من قيمة الجانب الإقناعي بالحدث نأمل من الإخوة الكتاب والباحثين توثيق كتاباتهم والاهتمام بالجانب التوثيقي للأحداث والإشارة إلى المراجع والمصادر التي يستقون منها.

أميركا تتوب إلى الله

يستحق الخبر الذي نشرته جريدة الأهرام القاهرية يوم الخميس الموافق ١٩٩٩/٧/١م على مساحة صغيرة في صفحتها الأولى أن يكون واحداً من الأخبار المهمة ونحن على أعتاب قرن جديد وألفية جديدة أن يكون تعليقاً موجزاً، وفي الوقت نفسه غاية في الدلالة على ما يجب على الأمم جميعاً وبخاصة المنكوبة منها أن تفعله إزاء الأزمات والمشكلات العضال التي تعاني منها، يقول الخبر: إن مجلس النواب الأميركي كان بصدد الإعلان عن يوم للتوبة يدعو فيه الشعب الأميركي أن يصوم ويتوب إلى ربه بعد أن اجتاحته النوائب الداخلية ولاسيما ما حدث من قتل وترويع للأبرياء في إحدى المدارس منذ فترة ليست ببعيدة «بعد نشر هذا الخبر بأيام قليلة فُجع الشعب الأميركي على مختلف طوائفه بمقتل جون كنيدي الابن والذي كان يتمتع بشعبية كبيرة وكان يُعد - مجازاً - سليل الأسرة المالكة في أميركا».

هذا، وقد علل أعضاء المجلس تلك الأزمات الطاحنة، بأن الشعب الأميركي أدار ظهره لله لفترة طويلة، ورغم أن المجلس المذكور لم يستطع تمرير هذا القرار لاحتجاج بعضهم على إقحام الدين في السياسة، فإن ما يهمنا هنا أن عدداً كبيراً من الأميركيين - وغيرهم كثير في المجتمعات المادية - قد أدركوا أخيراً أن الوقت قد حان ليراجعوا أنفسهم، وألا يركنوا إلى ماديتهم وعقلانيتهم. كما يعكس ذلك الخبر المثير توجهاً مهماً في الفكر العالمي المعاصر، بدأت معالمه تتضح على وجه الخصوص في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ خرجت طائفة كبرى من مفكري العالم تنادي بضرورة التسلح بالإيمان بالله ولا سيما بعدما اكتوى العالم بنيران المادية والإلحاد والفردية والأمراض النفسية والعضوية المستعصية على الحل والاختراعات التكنولوجية المدمرة كالقنبلة الهيدروجينية وغيرها، وبعدما أفلحت الشيوعية في «تخدير» عقول قطاع كبير من المجتمعات وإقناعها أن «الدين أفيون الشعوب» ما ساعد على تصاعد المد الإلحادي في العالم بأسره، ورغم ذلك اندثرت الشيوعية في معقلها الرئيس منذ مطلع العقد الأخير من هذا القرن وفتحت الباب على مصراعيه أمام سيادة نظام رأسمالي أكثر ضراوة وأشد عداوة للدين.

وقد كتب الروائي الروسي الشهير الكسندر سولجينيتسن - «الذي ولد سنة ١٩١٨م» والحاصل على جائزة نوبل في الأدب، العام ١٩٧٠م - مقالاً مهما يحذّر فيه أيضاً من مغبة تنحية الدين عن حياة الإنسان المعاصر ويخلص فيه إلى أنه أنفق خمسين عاماً من عمره في دراسة هذه الظاهرة، ولا سيما في روسيا، وتوصل إلى أنه لا سبيل للخلاص من وهدة الإلحاد وتدمير الذات و«البحث الأجوف عن السعادة» - تلك الصفات التي استشرت في القرن العشرين - إلا بالرجوع إلى الله:

إذا أردنا تحقيق الآمال التي فشلت البشرية في تحقيقها فليس أمامنا سوى أن نسعى جادين لطلب العون من الله... والسير على هذا الدرب حتى تنجلي أمامنا الخطيئات التي وقعنا فيها في القرن الماضي التعيس وحتى نتمكن من تصويب تلك الخطيئات.

والحق أن الخبر الذي تدور حوله هذه المناقشة يحمل في طياته دعوة لجموع المسلمين على أن يتوبوا إلى بارئهم وأن يستمسكوا بحبله المتين إن هم أرادوا أن يُنتشلوا من وهدة اضمحلالهم وتخلفهم وأن يفيقوا في الوقت ذاته من التقليد الأعمى لكل ما هو غربي أو أميركي، فالإسلام بشموليته وصلاحه لكل زمان ومكان من شأنه أن يكون أساساً لنظام عالمي جديد تجد فيه جموع البشر حلولاً ناجعة لكل ما يعترضها من عقبات ومشكلات، ويعبّر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الإسلام دعوة عالمية» عن هذا المعنى خير تعبير حيث يقول:

«لكن الإسلام وسط بين نظام رأس المال ونظام الشيوعية، ينفي المساوئ عن النظامين معاً، ويأخذ بالمحاسن منها بالقدر الصالح للجماعات، فهو يكره للمسلم أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة، ويحرّم عليه الربا الذي يتيح لأصحاب رؤوس الأموال أن يستغلوا جهود العاملين بغير جهد مفيد، ثم هو يأمر بالزكاة ويسمح بالملك، ويطلق السبيل للمنافسة المشروعة، فلا يقتل في النفوس دواعي السعي والتحصيل. وقواعده الخلقية صالحة لإنشاء الوحدة العالمية، لأنه يساوي بين الأجناس، ولا يرى للأبيض على الأسود فضلاً بغير التقوى، ويعترف للأفراد بالمساواة والحرية، ويجعل الحاكم «إماماً» يُقتدى به ولا يجعله رباً متصرفاً بمشيئته في عباد الله، لأنه يقود العالم كله إلى الخلاص بعد فشل رأس المال، وفشل الشيوعية، وقصور العقائد الروحية الأخرى عن تدارك أحوال المعاش وتدبير الحلول للجماعات الإنسانية في مشكلات الاجتماع والاقتصاد وما يتفرع عنها من مشكلات الأخلاق والآداب». ■

د. عبدالجواد علي النادي - مصر

تعقيب

في كلمة العدد ٤٠٥ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ من الوعي الإسلامي، تناول المحرر ما تلقاه من رسائل القراء حول ذكرى المولد وعملية القرز الحضاري،ومع ما ذكره المحرر إلا أنني أحب أن أوضح مشروعية الاحتفال بميلاد النبي ﷺ.

وأقول: إن الاحتفال بمولده ﷺ مستحب لما فيه من إظهار الفرح والسرور بمولد المصطفى ﷺ، وإطعام الطعام، إلى غير ذلك من الأفعال الحسنة كذكر حياته وأخلاقه، والأدوار التي مر بها منذ صغره حتى توفاه الله. واستدل شيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلاني أن المولد بدعة حسنة بخبر في الصحيحين، أنه ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: «هذا يوم أغرق اللهُ فيه فرعون ونجّى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى فقال ﷺ: «أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه».

قال شيخ الإسلام «يستفاد منه في فضل الشكر لله تعالى بأنواع العبادات على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمه أو دفع نقمه ويعاد ذلك في كل سنة في مثل ذلك اليوم»، وأي نعمة أفضل وأعظم من نعمة بروز نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم.

وذكر الشيخ أحمد بن تيمية - رحمه الله - في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» بعد أن ذكر أن محبة النبي ﷺ في اتباعه والاقتداء بهديه وأطال في هذا الكلام إلى أن قال: «فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ. ■

صلاح عبدالستار - مصر

تابع الندوة : د. عماد الدين عثمان - أ. تمام أحمد

تحت رعاية سمو أمير البلاد

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تنظم ندوة «حقوق المسنين من منظور إسلامي»

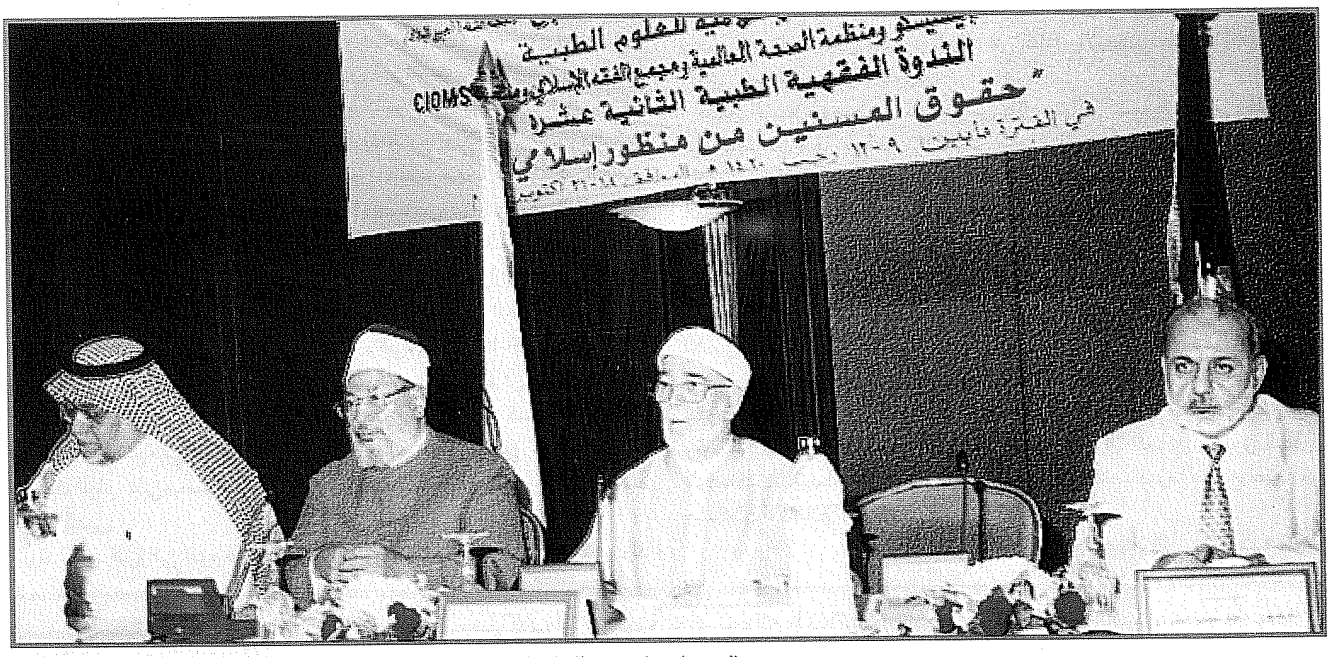

● د. يوسف القرضاوي إحدى جلسات المؤتمر

إدراكاً من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لقيمة الإنسان وفضله وحقه في التكريم، فقد كرَّست الكثير من ندواتها ومؤتمراتها لبحث ما قد يعرض للإنسان من أمور، وما يعترضه من مشكلات طبية وصحية مستجدة وذلك وفق رؤية إسلامية، واتخذت ذلك محوراً أساسياً من محاور نشاطاتها، وهدفاً سامياً من أهداف إنجازاتها فبحثت حق الجنين في البقاء - وهو في رحم أمه - وكذلك بداية حياة الإنسان ونهايتها، وتدارست ما يعتري جسمه من أمراض وأحداث يحتاج منها لاستبدال عضو بآخر أو غشاء جلدي بدلاً من جلده الذي فقده، أو ما يلم به من داء خطير كالإيدز أو تغيير أو تعديل في جيناته البشرية.

ما يطعمه الإنسان

وتناولت كذلك ما يطعمه هذا الإنسان من المآكل والمشارب والأدوية مما خالطها أو مزج بها من مواد محرمة أو نجسة أو مواد تمس حياته وعافيته جسمياً ونفسياً وروحياً وغير ذلك مما يتصل بالإنسان.

١٩٩٩م عام المسنين

واتساقاً مع ما رسمته المنظمة لنفسها من الاهتمام بالإنسان في صغره وشيخوخته وفي صحته ومرضه تجد لزاماً عليها وانسجاماً مع ما ارتأته الأمم المتحدة من اعتبار العام ١٩٩٩م عاماً للمسنين، أن تعقد هذه اللجنة لاستجلاء حقوق المسنين من منظور إسلامي.

تحت رعاية
صاحب السمو أمير البلاد

عُقدت الندوة تحت رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، وشارك فيها الكثير من المنظمات والهيئات وهي: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو»، منظمة الصحة العالمية «المكتب الإقليمي لشرق المتوسط»، مجمع الفقه الإسلامي بجدة والاتحاد العالمي للمنظمات الصحية.

كبار الفقهاء والأطباء والعلماء

وقد اختير للمشاركة في الندوة جمهرة متميزة من كبار الفقهاء والأطباء والعلماء من تخصصات مختلفة وكان من بينهم الدكتور محمد الجار الله وزير الصحة الكويتي، والدكتور محمد الحبيب بن خوجة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، الدكتور عبدالعزيز التويجري المدير العالم للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والدكتور حسين الجزائري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، والدكتور جون براينت رئيس الاتحاد العالمي للمنظمات الطبية، والدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والدكتور عزالدين إبراهيم، والدكتور صبحي عبدالحكيم، والدكتور صلاح الفيقي، والأستاذ محمد بركات، والدكتور أنطوني دي يونو، والدكتور هشام مخلوف والدكتور عاطف خليفة، والدكتور أحمد الرويح، والدكتور مالك البدري، والأستاذ ايريث هوسكينر، والدكتور حسان حتحوت، والدكتور هيلموت وايجلندر، والدكتور أنور حسن أنجلو، والأستاذ عزام حوري، والدكتور محمد الهواري، والدكتور جون كويلاند، والدكتور مأمون المبيض، والدكتور مالك البدري، والدكتور جوزيف تراوس، والدكتور العربي الكشاط، والدكتور عدنان الشطي، والدكتور إبراهيم بدران، والدكتور جمال زكي، والأستاذة ماري قن، والأستاذة إليزابيث مولين، والدكتور محمد هيثم الخياط، والدكتور نديم عطا إلياس، والشيخ نظامي يعقوبي، والدكتورة صديقة العوضي، والدكتور كمال نجيب، والدكتور عمر زيدان، والدكتور خالد الصالح، والدكتور عبدالله نصيف، والدكتور عبدالله محمد عبدالله، والدكتور محمد عمارة، والدكتور عيسى السعدي، والدكتور ماهر

مهران، والدكتور إحسان بن صالح، والأستاذ عزام حوري، والدكتور غلام رضا أنصاري، والدكتور عبدالرحمن آل محمود، والدكتور علي السيف، والأستاذ خالد سعيد، والدكتور كليان يجانش، والدكتور عصام الشربيني، والدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد التشجيري، والمستشار طارق البشري، والدكتور أحمد الحجي الكردي، والأستاذة خولة العتيقي، والدكتور عجيل النشمي، والدكتور عبدالحي العوضي، والدكتور عبدالستار أبو غدة، والدكتورة غادة الحافظ.

تأبين الحكيم «محمد سعيد»

وألقى المستشار عبدالله العيسى عضو مجلس الأمناء باسم المنظمة كلمة تأبين بحق الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة «همدرد» في باكستان، وعضو مجلس أمناء المنظمة، الذي وافاه الأجل المحتوم باستشهاده في باكستان إثر عدوان آثم استهدفه، وقد تلا محاضرة تذكارية عن السنوات الأخيرة من

تأكيد وتأصيل القيم الدينية التي تحض على البر بالوالدين وتوقير كبار السن

العمر في ضوء الهدي الإسلامي ومعطيات الدراسات العلمية ألقاها الدكتور عز الدين إبراهيم.

أربعة محاور:

ودارت أبحاث الندوة حول أربعة محاور أساسية تمت مناقشتها في إحدى عشرة جلسة علمية وهذه المحاور هي:

المحور الأول: ارتفاع نسبة المسنين في العالم العربي والإسلامي.

المحور الثاني: أمراض الشيخوخة وكيفية توقيها.

المحور الثالث: تقارير بعض الدول الإسلامية عن الخدمات التي تقدم للمسنين.

المحور الرابع: حقوق المسنين.

قتل المرحمة

وعلى هامش الندوة عقدت حلقة نقاش حول قتل المرحمة (EUTHENASIA) تحدث فيها كل من: الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد المختار السلامي، والشيخ محمد مهدي التشجيري، والدكتور جون براينت، والدكتور عصام الشربيني، والدكتور جمال زكي.

واتفق على أن تصدر توصية بمضمون ما توصّلت إليه حلقة النقاش، تدرج مع التوصيات الخاصة بالندوة.

وقد شكلت لجان فرعية لصياغة التوصيات الخاصة بكل محور من محاور ندوة المسنين، وبعد أن تدارست اللجنة العامة للتوصيات ما توصلت إليه تلك اللجان، انتهت إلى ما يلي:

١ ـ اتخاذ مختلف التدابير لحفظ صحة المسنين ابتداء من الحياة الجنينية والطفولة، ومواصلة ذلك في المراهقين والبالغين، وتقوية شبكة العلاقات الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والحي والمجتمع المحلي، وتقوية صلتهم بالله والتزامهم بتعاليم الدين، ووقايتهم من الممارسات الضارة كالتدخين ومعاقرة المخدرات والمسكرات ومكافحة تلوث البيئة.

٢ ـ توعية المسنين بما يعزز صحتهم ولاسيما التغذية المتوازنة والنشاط البدني المعقول، وممارسة الهوايات المناسبة والحفاظ على ما أمكن من العلاقات الاجتماعية، والتزكية الروحية التي تقوّي الإيمان وتنزل السكينة في النفس، وتسعدها بالأنس بالله.

٣ ـ توفير العناية المناسبة للمسنين على مستوى الرعاية الصحية الأولية والعيادات وسائر مستويات الرعاية الصحية، وتكييف الخدمات الصحية بما يمكنها من أخذ

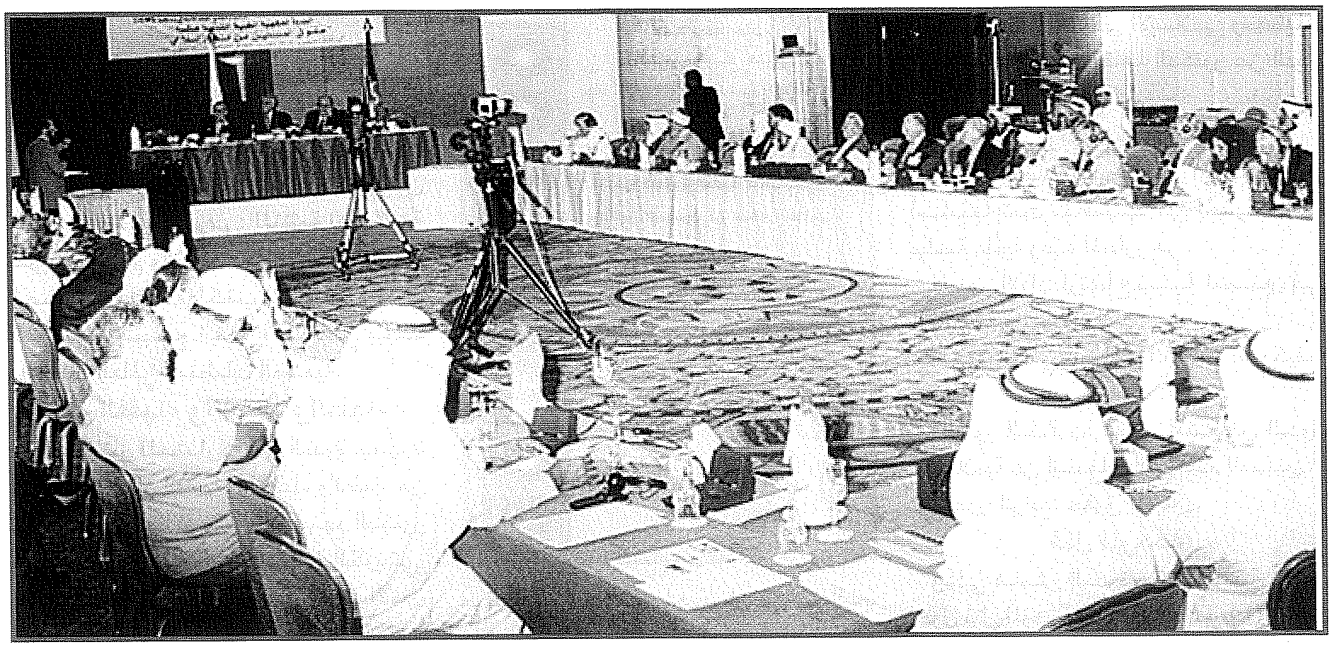

● الندوة الفقهية الطبية عن حقوق المسنين في المنظور الإسلامي

احتياجات المسنين الخاصة بعين الاعتبار، وتدريب الأطباء الممارسين العاملين على اكتشاف وعلاج الأمراض النفسية والجسدية التي قد تختلف أعراضها في المسنين عنها في الشباب.

٤ ـ ضمان العدالة والمساواة في تقديم الخدمات الصحية إلى المسنين رجالاً ونساء، والعمل على إنشاء نظام شامل للتأمين الصحي والاجتماعي يغطي مختلف قطاعات المسنين بمن فيهم المزارعون والحرفيون وصغار الكسبة، ممن لا تغطيهم نظم التأمين القائمة.

٥ ـ تشجيع إجراء وتمويل البحوث الموضوعية، والميدانية حول صحة المسنين الجسمية والنفسية وجمع كل ما يتعلق بممارساتهم ومشكلاتهم الصحية من معلومات، وتحليل هذه المعلومات، ووضعها تحت أنظار أصحاب القرار السياسي لمساعدتهم على اتخاذ القرارات وسنّ القوانين المناسبة في شأن رعاية المسنين.

٦ ـ اهتمام وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بصحة المسنين، وتقديم التوعية المناسبة لهم ولأسرهم ولاسيما في ما يتصل بتغذية المسنين ونشاطهم البدني، ووقاية أنفسهم من الحوادث والمخاطر، وتنظيم تناولهم للأدوية، وتخصيص زوايا أو برامج خاصة للترفيه عنهم وتسليتهم.

٧ ـ إدراج مقررات عن صحة المسنين وطب المسنين ورعايتهم في مناهج كليات الطب والتمريض وسائر العلوم الصحية، وإنشاء اختصاص طب المسنين وتمريض المسنين في مختلف المؤسسات التعليمية الصحية.

٨ ـ تأكيد وتأصيل القيم والتعاليم الدينية التي تحض على البر بالوالدين وتوقير كبار السن ولاسيما من خلال تضمين المناهج في مختلف مراحل التعليم العام موضوعات حول التعريف بالمسنين، وإبراز مكانتهم وحقوقهم في الأسرة، وضرورة الوفاء لهم ومعاملتهم بالحسنى والرحمة، وزيارتهم في أماكن تجمعاتهم، وحضّ الطلبة على اتباع السلوك الصحي الذي يضمن لهم أن يبقوا أصحاء في شيخوختهم، وعلى الابتعاد عن التدخين والمخدرات وسائر الممارسات الضارة، وتوعيتهم بكيفية العناية بالمسنين ورعايتهم.

٩ ـ العمل على الاستفادة مما لدى المسنين من ذخيرة حافلة بالتجارب والمعارف، وذلك بإشراكهم قدر الإمكان في تربية الأجيال الصاعدة، واستشارة ذوي الخبرة منهم في الشؤون العامة من قِبَل أصحاب القرار.

توعية السلطات وأصحاب القرار بأهمية المسنين واحتياجاتهم الخاصة

١٠ ـ تعزيز دور الأسرة في رعاية كبار السن فيها، وتقديم التسهيلات والمساعدات الخاصة للأسر التي ترعى كبار السن، والحرص على أن يعيش المسن دوماً في جو عائلي سواء كان ذلك في أسرته الخاصة أو برعاية أسرة أخرى، أو في دار للمسنين تتواصل مع الأسرة ويتوافر فيها الجو العائلي وسائر الشروط التي تحفظ على المسنين كرامتهم وتوفر لهم كل ما يحتاجون إليه من رعاية بدنية ونفسية واجتماعية وروحية، والعمل على توزيع دور المسنين على الأحياء السكنية بحيث تكون كل دار منها نواة تضمن مشاركة نزلائها في أنشطة الحي الاجتماعية والثقافية والدينية.

١١ ـ تشجيع المنظمات الطوعية وغير الحكومية وسائر مؤسسات المجتمع المدني على القيام بدورهم في تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين رجالاً ونساء، ولاسيما أولئك الذين يتضاءل دور الأسرة في رعايتهم.

١٢ ـ توعية السلطات وأصحاب القرار بأهمية المسنين واحتياجاتهم الخاصة والعمل على استصدار أو استكمال التشريعات الخاصة برعاية المسنين في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، بما في ذلك رفع سن

التقاعد، واستحداث عقوبة على العقوق، ومساعدة غير القادرين على إعالة كبارهم، وإنشاء مجلس أعلى لرعاية المسنين، تُمثَّل فيه جميع الجهات المعنية، وتكون له الصلاحيات المناسبة والموارد الكافية.

١٣ ـ تقديم جميع الامتيازات والتسهيلات المناسبة للمسنين ولاسيما تمتعهم بالأولية في الأماكن العامة، وتخصيص مقاعد خاصة بهم في وسائل النقل العام والحدائق والمسارح والأندية الاجتماعية والثقافية، وتوفير وسائل تيسير حركتهم إن كانوا معاقين أو عاجزين، ومنحهم التخفيضات المناسبة في الرسوم وفي وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية وعضوية الأندية وسائر المؤسسات التي تقدم الخدمات الاجتماعية والترفيهية والرياضية وما إلى ذلك.

١٤ ـ تمكين كبار السن من تحديد احتياجاتهم بأنفسهم وإتاحة الفرص لهم لاستغلال مهاراتهم وخبراتهم التي اكتسبوها في حياتهم استغلالاً كاملاً بما يعود بالفائدة عليهم وعلى المجتمع، وتعزيز روح المبادرة لديهم، وتدريبهم على الاعتماد على أنفسهم، ومساعدتهم على القيام بأنشطة تتناسب ومستوى قدراتهم وإمكاناتهم، وعلى تكوين جمعيات يتولاها المسنون أنفسهم ويثبتون فيها ذواتهم من خلال مشاركتهم الفعَّالة في المجتمع.

١٥ ـ قيام الحكومات بتقييم الآثار المترتبة على التحولات والتغيرات السكانية بشكل مستمر، وأخذها في الاعتبار عند رسم سياسات التنمية الاجتماعية الشاملة، والاهتمام بصورة خاصة بالزيادة الكبيرة المتوقعة في أعداد المسنين ولا سيما النساء، واتخاذ التدابير المناسبة للتكيف مع هذا الوضع المتوقَّع.

تشجيع أهل البر والإحسان على تخصيص أوقات لرعاية المسنين والزَّمْنَى

١٦ ـ استعمال ألفاظ التوقير والاحترام في مخاطبة المسنين أو الإشارة إليهم.

١٧ ـ تهيئة المسن نفسياً قبل إحالته إلى التقاعد بما يجنبه الصدمة النفسية التي يمكن أن تواجهه من جراء العزلة والفراغ.

١٨ ـ تشجيع أهل البر والإحسان على تخصيص أوقاف لرعاية المسنين والزَّمنى.

١٩ ـ دعوة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية إلى العمل على إصدار كتاب في «أحكام المسنين»، يشتمل على أحكام العبادات والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية المتعلقة بكبار السن.

٢٠ ـ دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية إلى إصدار وثيقة بحقوق المسنين من منظور إسلامي وإعلانها.

٢١ ـ تشكيل لجنة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات تمثل فيها الجهات القائمة على هذه الندوة.

٢٢ ـ إصدار إعلان يسمى إعلان الكويت حول حقوق المسنين. ■

قتل المرحمه

على الرغم من أن المنظمة بحثت هذا الموضوع في ندوة سابقة، فقد أفردت له جلسة خاصة في هذه الندوة تحدث فيها الأساتذة: يوسف القرضاوي، ومحمد المختار السلامي، ومحمد المهدي التسخيري، وجون برايِنت، وجمال زكي... ود. عصام الشربيني، كما خصص وقت سخي للمداخلات والنقاش. وذلك لأن الموضوع زادت الدعوة إليه في بعض بلاد الغرب، في عالمنا الذي طوت الاتصالات أبعاده، والذي يتعرض فيه دارسونا في الغرب لتبشير ثقافي جديد، وتضم العمالة الطبية في بعض البلاد الإسلامية مزيداً من غير المؤمنين بالديانات السماوية أو الملتزمين بها.

وتؤكد الندوة من جديد أن موضوع قتل المرحمة مناف للإسلام مهما تغيَّرت أسماؤه «الموت بكرامة مثلاً» أو تشكلت وسائله من تدخل طبي مباشر أو تهيئة الأمر من قِبَل الطبيب ليقتل المريض نفسه.

ويستوي في ذلك التدخل الإيجابي والتدخل السلبي بحجب العلاج عن المريض إن كان ذلك بنية قتله، حتى لو طلب المريض أو آله ذلك.

على أن العلاج المقطوع بعدم جدواه ليس واجباً، فيمكن سحب الإجراءات العلاجية أو وقفها، على أن تبقى للمريض حقوقه الإنسانية العامة من الري والتغذية والتمريض والراحة من الألم.

وفي الختام رفع المشاركون في الندوة أسمى آيات الشكر والعرفان إلى حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد حفظه الله لرعاية سموه للندوة ودعمه الدائم والمستمر للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

كما تقدموا بخالص الشكر إلى سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء على دعم سموه للمنظمة ويتقدمون بجزيل الشكر إلى معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية وللحكومة الكويتية الرشيدة والشعب الكويتي الكريم على حسن الرفادة وكريم الضيافة داعين المولى جلت قدرته أن يحفظ الكويت وشعبها من كل مكروه في ظل حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وأن يرحم شهداءنا ويفك قيد أسرانا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفوَّض المشاركون معالي الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي رئيس المنظمة لرفع برقيات شكر وامتنان لحضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد وإلى سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وإلى معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية وإلى معالي وزير الصحة الدكتور محمد الجارالله. ■

بقلم: خالد ساير العتيبي

جهود جبارة وتوعية حافظت على كيان المجتمع البوسني المسلم

لجنة الأعمال الإسلامي تاج العمل الخيري

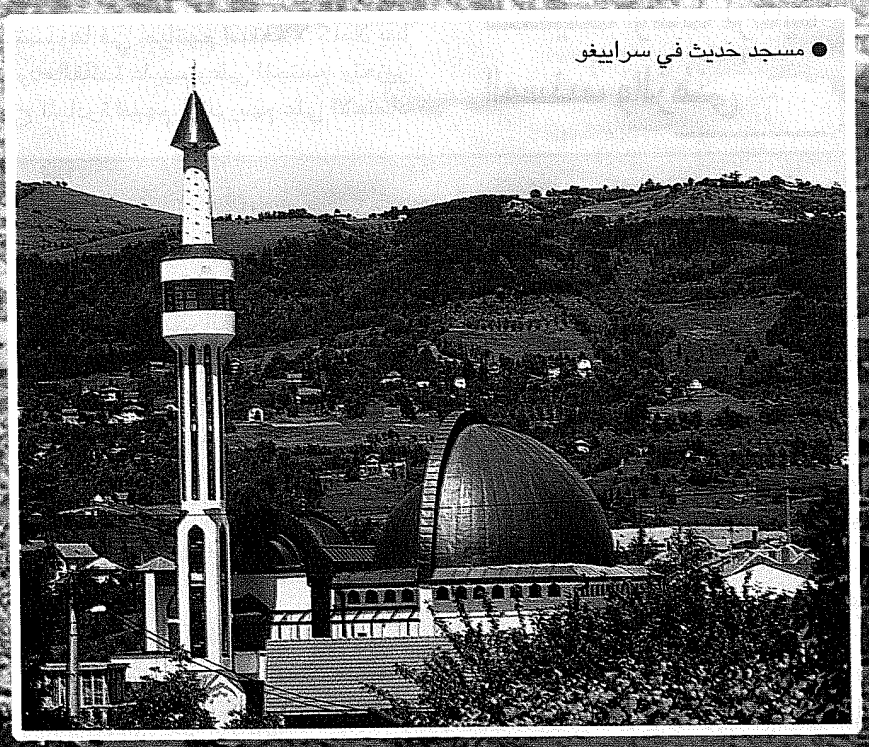

● مسجد حديث في سراييفو

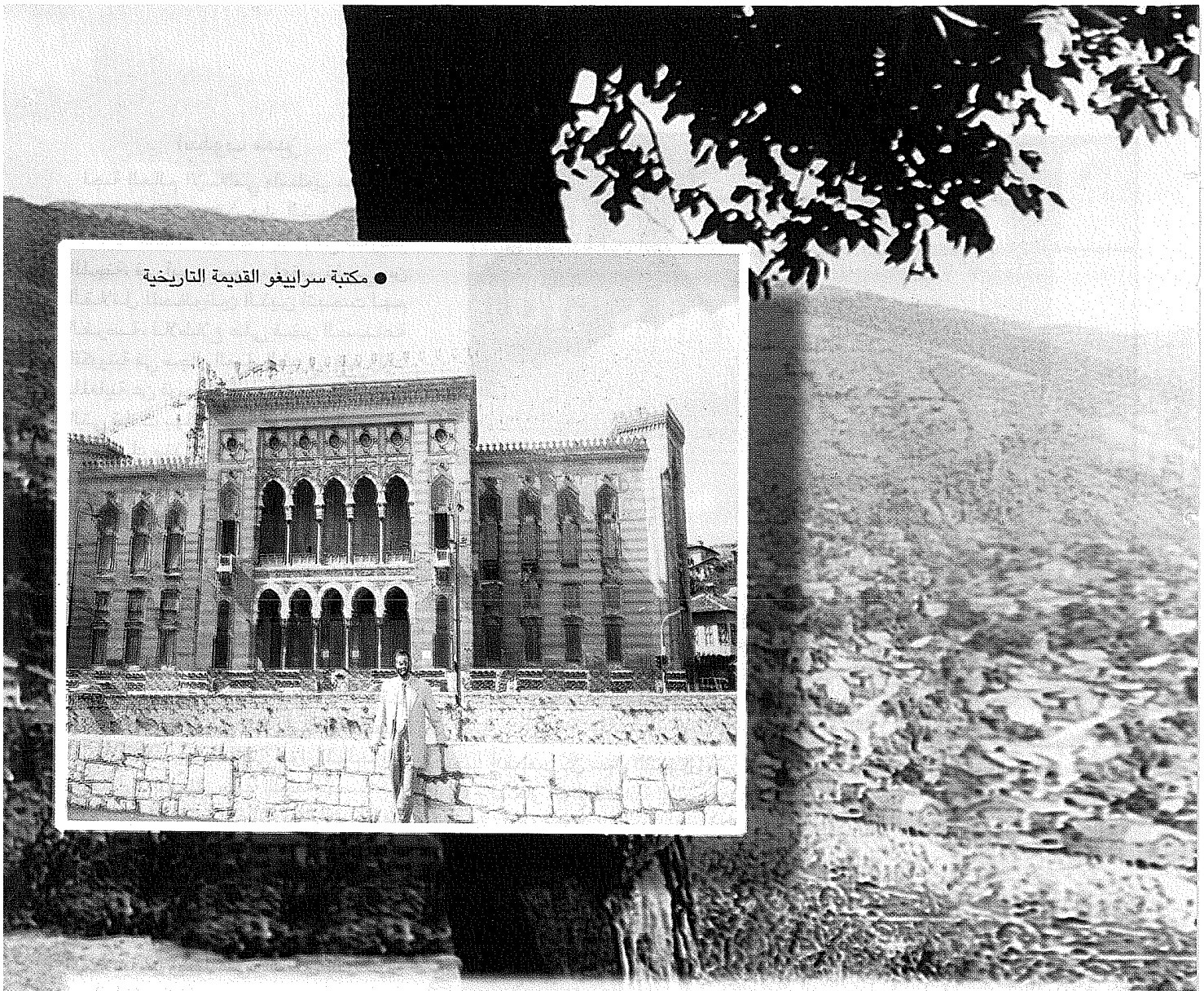

● مكتبة سراييغو القديمة التاريخية

يعتبر العمل الخيري الكويتي صناعة وطنية تستحق التقدير والرعاية، وأينما يممت متوجهاً في بقاع المعمورة فإنك ومن دون شك سوف يقع نظرك على مشاريع الخير الكويتية، التي تبعث في النفس الارتياح، لما تتركه من أثر طيب في نفوس الملايين من المسلمين، الذين لا يفترون عن الدعاء لأهل الكويت على حسن صنيعهم في مد يد العون دون تردد أو تخلف سواء في الملمات «أي وقت حدوث الكوارث أو عند الرخاء عندما يفتقر المسلمون إلى أبسط حاجات الحياة»، وكل مطلع على العمل الخيري الكويتي أو من تسنح له الفرصة الاطلاع على مشاريعه فإنه يلحظ مزايا ونتائج طيبة تدل على توافر مقومات النجاح في العمل.

وعند تحديد بقعة جغرافية بعينها مثل «البوسنة والهرسك»، فإن المنصف يستطيع وبكل تجرد أن يصنف مؤسسات العمل الخيري الكويتي في مقدم المؤسسات الإنسانية العالمية التي استطاعت إبان الحرب وبعدها تحقيق جهود جبارة ونوعية حافظت على كيان المجتمع البوسني المسلم، وقد توجهت جهود اللجان الكويتية لتأهيل المجتمع البوسني وتحقيق الاكتفاء الذاتي له.

لذا يرى المتابع للعمل الخيري الكويتي، أنه سفير الأمة الإسلامية فضلاً عن كونه سفيراً فوق العادة لدولة الكويت، لما يتصف به من مزايا تجعله رائد العمل الخيري الكويتي.

أسلوب مميز

لجنة العالم الإسلامي «أسلوب مميز في العمل الخيري» فشعار التحدي الذي اختارته اللجنة هو تجسيد لواقع تمارسه اللجنة، في أبهى صوره، اعتبر نفسي من القلائل المحظوظين الذين أتيحت لهم الفرصة، للاطلاع على فخر الصناعة الكويتية في مجال العمل الخيري، فقد رأيت بالمعاينة عن قرب المشاريع المؤسسية التنموية التي قامت بها اللجنة في دولة البوسنة والهرسك منذ العام ١٩٩٢م وحتى يومنا هذا، وبعد المشاهدة والاطلاع على الأدبيات الخاصة باللجنة وعلى ضوء المقابلات الشخصية أستطيع أن أقول: إن جهود اللجنة المميزة قد مرت منذ تاريخ بدء الحرب العام ١٩٩٢م وحتى يومنا هذا بمراحل عدة:

● المرحلة الأولى العمل الإغاثي:

اقتضت ظروف الحرب أن تباشر اللجنة عملها في إغاثة البوسنيين المسلمين فانطلقت جهودها من الأراضي الكرواتية وبالتحديد في منطقة «سبليت» في إيواء المهاجرين بالخارج... لذا كان جهد اللجنة منصبّاً في هذه المرحلة على الإغاثة بكل أشكالها وصورها للمهاجرين، وقد وفقت في تحقيق نتائج كبيرة حيث خففت من معاناة المسلمين هناك، بالإضافة إلى العناية الخاصة بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وترجمة وطباعة الكتب الإسلامية لتوزيعها على المسلمين البوسنيين في الداخل والخارج.

● المرحلة الثانية تقديم المساعدات الاجتماعية والصحية:

وهي مرحلة مهمة جاءت بعدما تفاقمت الأزمة، نظراً لزيارة المهاجرين وكثرة سقوط الشهداء في صفوف البوسنيين، حيث بادرت اللجنة إلى ترسيخ نظامها في الداخل عن طريق تقديم المعونات المادية المستمرة والمقطوعة ليتوافر الأمن النفسي والاجتماعي للأسرة البوسنية، فقامت بإنشاء المراكز الصحية ووفرت الأدوية للمقيمين في الداخل، مع الاهتمام بإنشاء حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لهم.

● المرحلة الثالثة تحقيق الاكتفاء الذاتي:

استمرت اللجنة في عملها الإغاثي وتقديم المعونات الاجتماعية والصحية، وأضافت إليه خطوة مهمة وبخاصة على مستوى الداخل عندما انقطعت كل سبل الاتصال وفي ظل ارتفاع أسعار المواد الغذائية الرئيسة، قامت اللجنة بتوجيه اهتمام البوسنيين لممارسة دورهم في تحقيق اكتفاء ذاتي، وذلك تحسباً لتعقد واشتداد الظروف من جانب، ومن جانب آخر الاستعداد لأي احتمالات في إطالة زمن الحرب، وبالفعل بدأت اللجنة بالتعاون مع الهيئات المحلية الحكومية بإعداد مشاريع زراعية للمواد الغذائية الأساسية، ومشاريع للرعاية الحيوانية «الأرانب» وبطرق علمية يمكن من خلالها توافر غذاء جيد ووفير للسكان ومن دون تكلفة مالية.

● المرحلة الرابعة المشاريع التنموية:

أي مرحلة ما بعد الحرب، فقد اعتبرت اللجنة الخيار التنموي والنوعي في المشاريع هو المسار الاستراتيجي الذي يكفل استمرار الجهود التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع البوسني، وقد ركزت هذه المشاريع على صناعة الإنسان البوسني القادر على تجاوز تبعات الحرب عن طريق تأهيله دينياً ونفسياً واجتماعياً وثقافياً ومهنياً، وذلك بإقامة مشاريع تعليمية ومهنية وصحية، كما أضيفت لها مشاريع استثمارية تكفل فرص عمل للبوسنيين وللإسهام في إعمار الدولة، لضمان موارد مالية تغطي التكلفة التشغيلية للمشاريع مع إيرادات ربحية تساعد على التوسع في مشاريع تنموية أخرى.

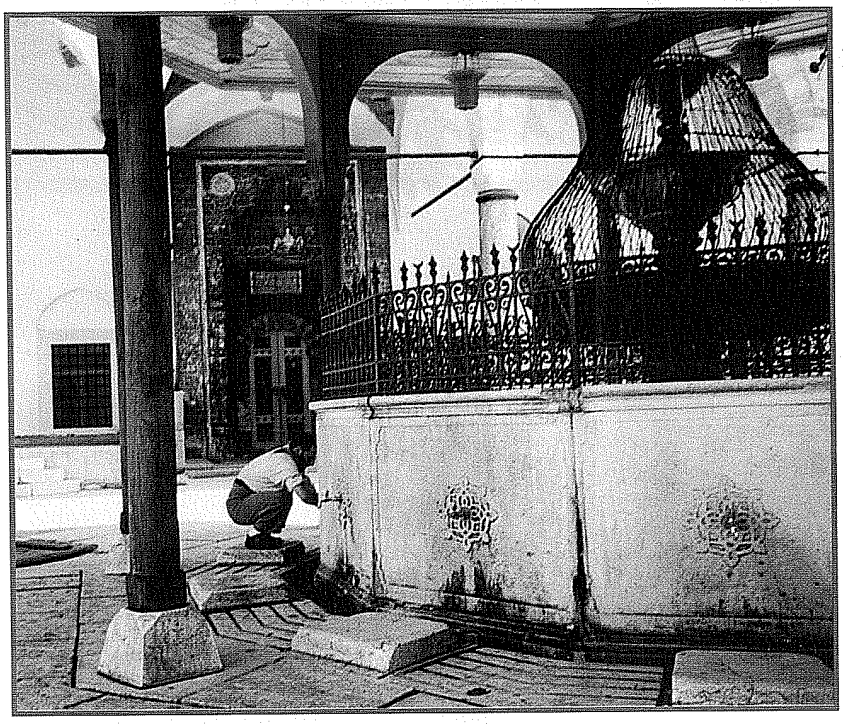

● مسجد فرهد بيك

مقومات النجاح في لجنة العالم الإسلامي:

حسب تقديري الشخصي وبعد الاطلاع المباشر على مشاريع اللجنة، وما لمسته من نجاحات وإعجاب واستحسان في الأوساط الرسمية والأهلية، ومن خلال المقابلات الشخصية مع كثير من الشخصيات البوسنية، سواء في شكل مقابلات مبرمجة أو عفوية أستطيع إيجاز مقومات النجاح لمشاريع لجنة العالم الإسلامي في أمرين هما:

١ - جهاز العاملين «المديرون - المشرفون - المنفذون».

٢ - مرتكزات أساليب العمل «الاستراتيجية - المشاريع - التقييم والمتابعة - العلاقات».

● أولاً: جهاز العاملين :

يمتاز جهاز العاملين في اللجنة بمواصفات أسهمت بشكل كبير في تحقيق النجاحات الملموسة والتي أدركها الشعب البوسني قبل غيره.

١ - الإخلاص وصدق القائمين على المشاريع.

٢ - التحلي بالقيم الإسلامية القادرة على

عكس صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين.

٣ ـ الشعور بالتبعة الثقيلة على عاتقهم تجاه قضايا الأمة الإسلامية.

٤ ـ العلم والدراية بكل أبعاد العمل الخيري الإنساني والدعوي.

٥ ـ القدرة على التخطيط السليم مع الاعتبار لأهمية التنفيذ المناسب.

٦ ـ التفكير الدائم والدؤوب في استحداث أساليب جديدة للعمل وابتكار مشاريع متطورة.

٧ ـ الحرص على تكوين علاقات نوعية وعلى كل مستوى يدعمها والتي منها: إتقان اللغة المحلية واستيعاب البيئة المجتمعية للشعب البوسني بكل معطياته الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

● **ثانياً: مرتكزات أساليب العمل :**

وبعدما أشرنا إلى المواصفات التي تحلى بها القائمون على العمل، صار من بدهيات الأمر أن تنتج لنا مشاريع نوعية مميزة، تظهر في شكل أساليب وطُرح عمل متطورة مبنية على مرتكزات سليمة، ومن تلك المرتكزات:

١ ـ وضوح الاستراتيجية القائمة على ضمانات تحقق الاستقرار والديمومة للعمل.

٢ ـ التنوع في مشاريع العمل التي تكفل تنوع الشرائح المستفيدة من العمل.

٣ ـ التركيز على المشاريع التنموية التي تسهم في صناعة الإنسان القادر على تحقيق الاكتفاء الذاتي.

٤ ـ تنوع مناطق العمل ما يعني انتفاء الانتقائية في تحديد المستفيدين من المشاريع.

٥ ـ اقتران عملية الإنجاز بإجراءات تقييمية تقويمية لأساليب العمل.

٦ ـ تكوين شبكة من العلاقات الرسمية والأهلية مع جميع المؤسسات ومن دون تصنيف واستثمارها لخدمة المشاريع الخيرية.

● جانب من الدمار الذي إصاب سراييفو إبان الحرب التي شنها المعتدون الصرب

المشاريع التي تمت زيارتها

- زيارة مستوصف «سناسا» التخصصي.
- زيارة مشغل وروضة القناعة.
- زيارة منازل أسر الشهداء «دار الأرقم».
- زيارة مركز الأمل والنور.
- زيارة مطبعة ال «سي بي يو» CPU.
- زيارة المراكز الصحية «جولة سريعة».

● **زيارة مستوصف «سناسا» التخصصي :**

وهو عبارة عن مركز صحي تخصصي يقدم خدمة صحية في مجال علاج العيون، الأسنان وكذلك تشخيص الأمراض الباطنية، تخطيط القلب، إجراء تحاليل طبية، ويستخدم فيه علاج الليزر، وهي أجهزة طبية حديثة «صناعة ألمانية»، وعلى الرغم من توافر أحدث الأجهزة، وإشراف فريق طبي عالي المستوى صاحب خبرة، فإن أسعار تقديم الخدمة الطبية زهيدة نسبياً.

وقد استقبلنا في هذه الزيارة الدكتور أبو ذر إدريس الهادي المدير العام للمستوصف الذي قام باطلاعنا على مرافق المستوصف وتعريفنا بالعاملين فيه، وشرح لنا أسلوب الإدارة المتبع في المستوصف.

● **زيارة المشغل النسائي:**

بعد نجاح التجربة البسيطة للجنة في إيجاد مشغل صغير لعدد محدود من النساء، وهن زوجات الشهداء، قامت اللجنة في توسيع نطاق التجربة ببناء وإعداد مشغل نسائي ذو

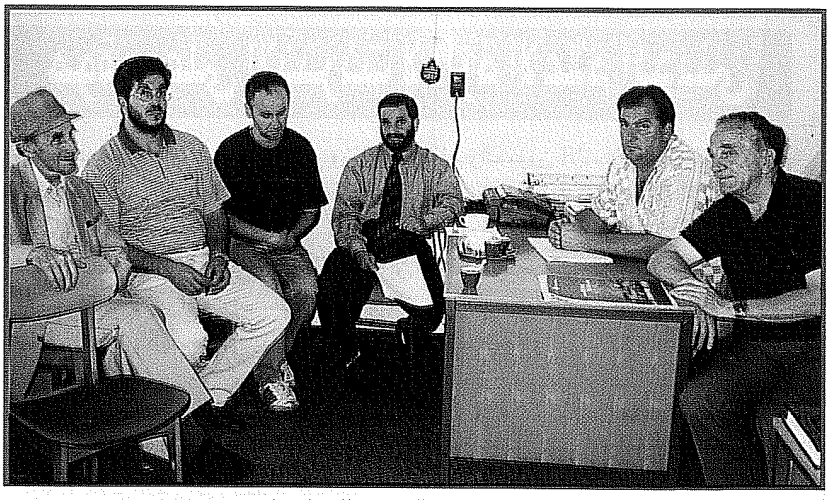

● في مقر فرع الجمعية الإسلامية

كفاءة عالية بقصد توافر فرص عمل شريفة لهؤلاء النسوة يحقق لهن الاكتفاء الذاتي، كما يعتبر مجال مناسب لتعليمهن مبادئ الإسلام ورعايتهن اجتماعياً ونفسياً، ومن دلائل نجاح المشروع هو زيادة طلبات الالتحاق بالمشغل، علماً بأن السعة الاستيعابية للمشغل في بداية التشغيل هي ٦٠ عاملة في الفترة الواحدة التي تستمر ٦ ساعات، مع الحرص على فتح التسجيل للفترة الثانية في المستقبل القريب، وقد وُفقت اللجنة عن طريق علاقاتها المميزة مع الجهات الرسمية لإيجاد موقع مناسب جداً لإقامة المشروع حيث يتوسط منطقة مأهولة بالسكان.

وقد أطلعنا الأخ وليد عز الدين على المشروع وأهدافه، وأجرى لنا جولة على المرافق المتعددة للمشروع، وأوضح لنا أن المشروع في مراحله النهائية إلا أنه يحتاج إلى بعض الدعم لإتمامه.

● زيارة روضة القناعة:

نظراً لاهتمام لجنة العالم الإسلامي بإقامة المشاريع التنموية توجهت اللجنة لإنشاء رياض للأطفال إحداها روضة القناعة التي نحن بصددها الآن وقد أنشئت الروضة في وسط منطقة سكنية، حيث صُممت بشكل حديث يتناسب والشريحة العمرية ما يساعد على تحقيق الأهداف التربوية، كما تم اختيار هيئة تربوية لديها خبرة تعليمية، واللافت للنظر المنهج المعد بشكل جيد في الرياض التابعة للجنة، حيث شمولية المناهج التي تهتم بالعقيدة الإسلامية والأخلاق الإسلامية، كما تراعى الاحتياجات الاجتماعية والنفسية والمهنية للمرحلة العمرية، وتخصص رعاية خاصة لهيئة التدريس وأولياء الأمور. وتتسع الروضة لـ١٢٠ طفلاً، علماً بأن الأعداد على قائمة الانتظار تجاوزت الأعداد المسجلة، وشاهدنا في أثناء الزيارة الأثاث الخاص بالروضة، وقد قام الأستاذ أحمد سهيلي بشرح تفاصيل المشروع، وأوضح لنا الإمكانات المتاحة في المشروع، كما أوضح لنا أن المشروع في مرحلته النهائية وسيبدأ التدريس به في بداية العام الدراسي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، إلا أنه يحتاج إلى بعض الدعم لإتمام الخطوة الأخيرة.

● زيارة منازل أسر الشهداء «دار الأرقم»:

● داخل أحد فصول مركز الأمل والنور

هذا المشروع في طور الإنشاء وفي منتصف مراحله، وهو عبارة عن ٩ «بلوكات» مؤلف من ثلاثة أدوار كل دور يوجد فيه شقة واحدة مكونة من غرفة نوم وصالة ومطبخ وحمام في مساحة ٦٠ متراً مربعاً ويقدر لها أن تستوعب أسرة شهيد «زوجة وثلاث أطفال على أكثر تقدير»، كما يوجد أمام المشروع مسجد كبير في طور البناء ومرفق بالمسجد غرف عدة مخصصة لتقديم برنامج إيماني وتربوي واجتماعي لزوجات الشهداء وأبنائهم.

وقد قام الدكتور طه شنان مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي بالبوسنة باطلاعنا على المشروع وأهدافه ومرافقه المتعددة، كما رافقنا في الزيارة الدكتور حسين ميزان الكندري في الكويت.

● زيارة مركز الأمل والنور:

هذه المراكز عبارة عن روضة للأطفال، يلتحق بها سنوياً ١٢٠ طفلاً، وقد بدأت في سنتها الأولى من دون رسوم، ونظراً للإقبال المتزايد عليها فقد خصصت رسوم رمزية في السنة الثانية، وهي الآن في سنتها الثالثة

موقع على الإنترنت لإدارة الإعلام الديني

تستعد إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتدشين موقع خاص بها على شبكة الإنترنت حتى يمكن الاستفادة من رسالة الإعلام الديني بشكلها الصحيح.

وقال خالد ساير العتيبي مدير الإدارة: إن الموقع الجديد سيضمن التعريف برسالة واختصاصات وبرامج وأنشطة إدارة الإعلام الديني وكذلك الاستراتيجية الإعلامية للإعلام الديني الهادف في بناء وترسيخ الهوية الإسلامية والعربية للإعلام.

وأضاف العتيبي أن إدارة الإعلام الديني ستطرح من خلال هذا الموقع قضايا إعلامية مهمة ومتعددة يدور حولها الحوار مع مشتركي هذه الشبكة، مشيراً إلى أن الموقع سيتضمن مواد فيديو وأوديو صوتية ومرئية متضمنة أهم البرامج التي أعدتها إدارة الإعلام الديني في الفترة السابقة.

وقد زادت الرسوم قليلاً لتحقيق أهداف عدة، تحسين مستوى التعليم، تخفيف العبء المتزايد من جراء الطلب على التسجيل، ويمتاز المركز ببرنامجه التربوي الراقي والحديث، كما يهتم المركز بهيئة التدريس، حيث يقدم برنامجاً إرشادياً عن الثقافة الإسلامية للأطفال، وقد توسعت دائرة الاهتمام لتشمل أولياء أمور الأطفال، فتم تخصيص لقاء شهري مع أولياء الأمور لسماع ملاحظاتهم، ويستثمر اللقاء لتوجيه الوعظ والإرشاد نظراً لحاجتهم الماسة لذلك، وقد أبدى الأولياء استحسانهم الكبير لهذه الخطوة المباركة، ومبنى المركز يتكون من ثلاثة أدوار ويشتمل على ٦ فصول، كل فصل فيه ٢٠ طفلاً، وتم تخصيص مركز للحاسب الآلي الذي سيقدم الخدمة للروضة وهناك دورات تدريبية على الحاسب الآلي للراغبين، ومن ضمن مرافق المركز مطبخ مركزي يقدم ثلاث وجبات، وتوجد ساحة كبيرة للألعاب خارج المركز، ومكان المركز يقع في منطقة مطلة على النهر الذي يقسم مدينة «سراييفو» إلى نصفين.

● زيارة مطبعة C P U

وهي مطبعة للقطاع الخاص قامت اللجنة بشراء نسبة من أسهمها، علماً بأن الحكومة البوسنية لديها أسهم في هذه المطبعة، وينتظر لها زيارة كبيرة في تشغيلها وتطويرها كما يتوقع لها توفير إيرادات كبيرة، وتهدف اللجنة من هذا الإسهام إلى تحقيق أهداف عدة:

١ ـ الإسهام في إعمار البوسنة.

٢ ـ إيجاد فرص عمل للمسلمين البوسنيين.

٣ ـ توفير موارد مالية للجنة في البوسنة لدعم المشاريع القائمة هناك.

٤ ـ والتوسع في الخطة التنموية للمشاريع.

وبفضل الله سبحانه وتعالى ثم جهد القائمين على المطبعة فإنها حازت على وكالة مطبوعات كوكاكولا في البوسنة، وهي في زيادة مطردة في التشغيل.

وقد استقبلنا الأستاذ فريد بشار يفتيش مدير المطبعة، الذي شرح لنا الصعوبات الكبيرة التي واجهتها المطبعة في إعادة تشغيلها نتيجة الدمار الكبير الذي لحقها من جراء الحرب، ثم أعد لنا جولة سريعة في المرافق التابعة للمطبعة، وقد كان برفقتي الدكتور طه شنان... مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي في البوسنة.

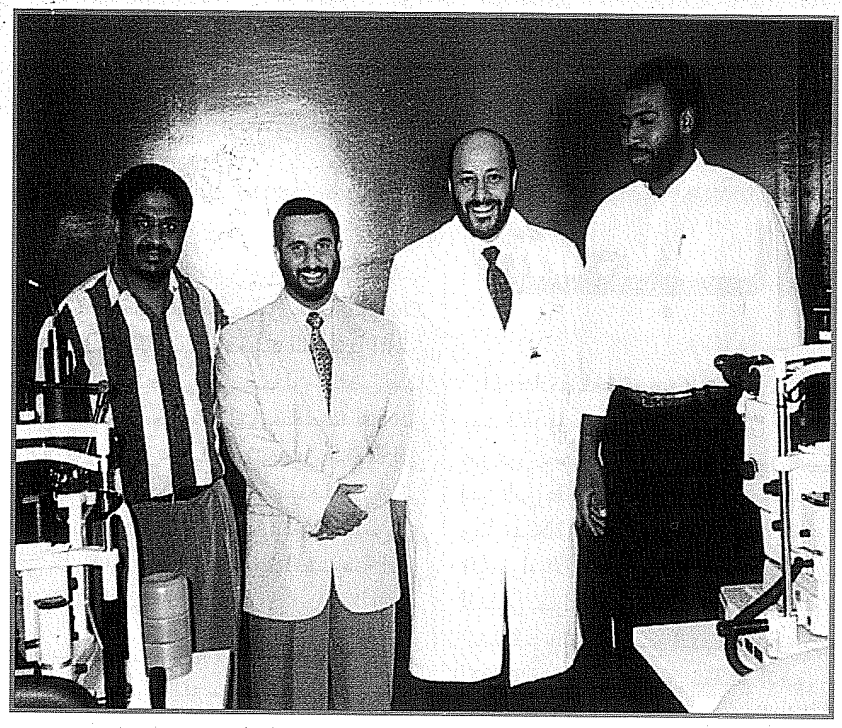

● العاملون في المركز الصحي في ستاسا

● زيارة المراكز الصحية:

المراكز الصحية: عبارة عن مراكز صحية عدة يتراوح عددها بين «مركزين» وصيدلية، وهي تعتبر من المشروعات الأولى التي باشرت اللجنة تنفيذها في البوسنة، حيث بدأت في تقديم الخدمة الصحية لأهالي البوسنة في الداخل منذ بداية الحرب، وهي مستمرة في تقديم خدمتها حتى الآن، وتحرص اللجنة على تطوير وتوسيع خدماتها، لتشمل أكبر عدد ممكن من أهالي البوسنة وبالأخص مدينة سراييفو.

كان عدد العيادات في أثناء الحرب عيادة تخصصية واحدة، إضافة إلى عدد ٣ صيدليات وعدد ٧ عيادات أسنان وعيادتين للنساء والولادة.

● زيارة مقر المشيخة ودار الافتاء بالجمعية الإسلامية

قمنا بزيارة مقر الجمعية الإسلامية في سراييفو برفقة د.طه شنان مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي في سراييفو، وقد كان في استقبالنا الأستاذ محرم نائب رئيس الجمعية الإسلامية، حيث قام بإيضاح جهود الجمعية الإسلامية في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب البوسني، كما عرض علينا المناهج التربوية المعدة من قِبَل الجمعية، والتي تعتبر منهجاً دراسياً ملزماً على مستوى المراحل التعليمية المختلفة، كما أطلعنا على الإنتاج الإعلامي التربوي للجمعية الإسلامية والذي أنتج في وسائل متعددة.

● زيارة التلفاز البوشناقي «راديو الحياة سابقاً»:

وتعتبر هذه الزيارة فرصة للاطلاع على الجهود الجبارة التي قام بها المشرفون على هذا الجهاز الإعلامي في أثناء الحرب، ثم المراحل التي جاءت بعد الحرب، من تطوير وتأهيل وتنمية، حتى أصبح جهازا إعلاميا مؤثّرا يسهم بشكل أساسي في ترسيخ الهوية الإسلامية للشعب البوسني، وقد كان في استقبالنا نائب المدير العام لمحطة تلفاز وإذاعة البوشناق بالإضافة لعضو الجمعية العمومية في المحطة الإعلامية.

ملاحظة

نظراً لضيق فترة الإقامة في البوسنة وارتباطي بزيارة شخصية لمدينة «ليفنو» التي تبعد ٤ ساعات عن مدينة «سراييفو» لم استطع الاطلاع على بقية مشاريع لجنة العالم الإسلامي في مدينة «سراييفو» وهي أكثر من أن تحصى، وبقية المشاريع الفرعية والتنموية في مدينة «توزلا» ومدينة «بيهاتش». ■

تقلم: وائل أحمد البستاوي

شعبان

في مثل هذا الشهر من العام الثاني للهجرة، وبعد خمسة عشر عاماً من بعث رسول الله ﷺ وثبات عقيدة التوحيد المطلق لله تبارك وتعالى، وبعد أن أفاض هذا التوحيد استسلاماً تاماً خالصاً لله جل وعلا نزل الأمر من الله بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرّفة التي كانت حينها في أرض يحيط بها الأصنام، ويحج إليها المشركون في كل عام، على الصورة المشوهة التي كانوا يتمثلونها.

ورب سائل يسأل، ما فائدة التحول من مكان إلى آخر والله سبحانه وتعالى يقول: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله) البقرة:١١٥.

وما الذي يميّز الكعبة عن غيرها من بقاع الأرض، وما السرُّ وراء اختيار الكعبة تحديداً ولم تكن حينها بحال أفضل من بيت المقدس الذي كان المسلمون يتوجهون إليه من قبل؟

أسئلة كثيرة من الممكن أن تسبب شروخاً عظيمة في الدين والعقيدة لو أثيرت على نفوس لم يكن الدين الحق والتسليم المطلق الأصل في التزامها منهج الحق.

الأصل الوحيد في استقبال بيت المقدس هو الامتثال لأمر الله تبارك وتعالى، وهو السبب ذاته في تحول القبلة إلى الكعبة المشرّفة، إنه القبول دون أدنى درجة من درجات الشك أو التردد في تتبع ما يرضي الله، علمنا الحكمة منه أم لم نَعْلَمها، وبهذا الالتزام سبق من سبق وفاز من فاز وخسر من خسر.

إلا أن التفكر في هذه الحكمة مما يزيد في إيمان المؤمن، فإذا علمنا أن أصل العبادة هو الاستسلام لكل أوامر الله والابتعاد عن نواهيه، فإن بركة هذا الالتزام تفيض على قلوبنا - مع كثرة التفكر - إيماناً يقينياً بأن الإسلام هو - وحده - الدين الحق.

إذا ما تأملنا توجه الرسول - ﷺ - إلى بيت المقدس، وجدنا ما يدل على أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء، إذ لا دين غيره من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد - ﷺ - وما صلاة الرسول - ﷺ - بالأنبياء ليلة الإسراء إلا تأكيداً لهذا الرابط، الذي يدور الناس حوله اليوم بصورة مشوهة تحت أسماء: «التسامح الديني»، و«توحيد الأديان»، وكأن الدين نظام اتفق على صحته جمع من الناس خلال فترة من الفترات، وطوروا له طقوساً وخزعبلات توارثوها ونقّحوها وأضافوا عليها على مرّ الأزمان حتى أصبح لها هذا الانتشار!.

ليس الإسلام مذهباً فلسفياً، ولا نظاماً فريداً بيده عصىً سحرية يحوّل كل شيء يلمسه إلى «إسلامي» و«غير إسلامي» وليس الإسلام فئة من فئات الناس جاءت لشد الناس إلى إشكالية «مع» أو «ضد» في مجتمع يشهد لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وليس الإسلام تياراً مضاداً يحمل في طياته من عماهة التوجه ورعونة الاختيار ما يجعله كسائر المذاهب الدنيوية الأخرى.

إن الإسلام نزل - أول ما نزل - ليصحح انحراف الفطرة وينقّيها من شوائب الجاهلية، فيخرجها من ظلمات الباطل إلى نور الحق، فيحارب كل باطل بما يناسبه ويبعده ويقصيه، سواء صدر عن من شهدوا بشهادة الحق من اتباعه أو غيرهم ويقرّب كل حق ويدعمه ويقويه حتى لو كان هذا الحق عند من لم يستجيبوا لنداء السماء.

وما أقوال وأفعال الرسول - ﷺ - إلا شاهد هذا التوجه وتمثلٌ خالصٌ نقيٌ لصورة هذا الدين الحق. الحق وكل ما عداه باطل.

ويجدر بنا أن نتنبه إلى حقيقة على درجة عالية من الخطورة، قد تغيب عن أذهاننا، وهي حقيقة الدعوة إلى الله، ما هدفها، هل تهدف إلى تمييز الناس وتصنيفهم؟ أم إلى شدهم - بطريق القسر - إلى القيام بواجبات الدين وفروضه؟ أم هي عرض الدين على أنه المخلّص، والنظرية الفريدة في تفسير الكون أم.... أم... إلخ.

إن الدعوة التي يشير إليها القرآن، وينبه المسلمين للقيام بها إنما هي تعريف الإنسان بذاته وتعريفه بعلاقته مع الكون من حوله، في ظل معرفة الله تبارك وتعالى، تعريفه بربه الرازق الخالق المهيمن المدبّر المقتدر، وربطه في مقام العبودية بهذا الإله الواحد في استسلام تام خاص وخالص لكل ما يأمر به، والانتهاء عن كل ما ينهى عنه.

فهدف الدعوة الأوحد هو تتبع ما يرضي الله والابتعاد عن كل ما ينهىٰ عنه خوفاً من سخطه جلّ وعلا.

ويكفي أن تقرأ - أخي الكريم - سورة الفاتحة قراءة متأنية دقيقة لتقفز لك هذه الصورة - دون سواها - لفهم حقيقة الألوهية والربوبية وعلاقة الإنسان اتباعاً للحق وبعداً عن غضب الله، وطلباً للهداية والبعد عن الضلال.

الإسلام دين الحق وكل ما عداه باطل، ومهما حاولنا وأجهدنا أنفسنا لبيان غير هذه الحقيقة الواحدة، نكون بحاجة إلى وقفة صافية مع ذواتنا لنصحح مسارها، ونعيدها إلى جادة الصواب، صراط الله المستقيم. ■

المراجع:

١ - الرحيق الختوم - صفي الدين المباركفوري، ص ١٩٢.

حوار : مصطفى أحمد خليفة

الأمين العام للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية لـ الوعي الإسلامي

باعتراف الرئيس الأمريكي : الإسلام أسرع الأديان انتشارا في أمريكا

أكد الدكتور أحمد الحطاب الأمين العام المساعد للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية أن المنظمات والمؤسسات الإسلامية في أمريكا قامت خلال الأربعين عاماً الماضية، بجهود جبارة في خدمة الإسلام فوق التربة الأمريكية، واستطاعت خلال هذه الفترة أن تقدم الإسلام في صورته الوضاءة المشرقة، حيث أقنعت الأمريكيين بسماحة الإسلام وعدله، ونفت عنه تهم العنف والإرهاب، وذلك من خلال سلوك أعضائها الإسلامي اليومي الذي يتسم بالالتزام بقيم ومبادئ الإسلام السامية.

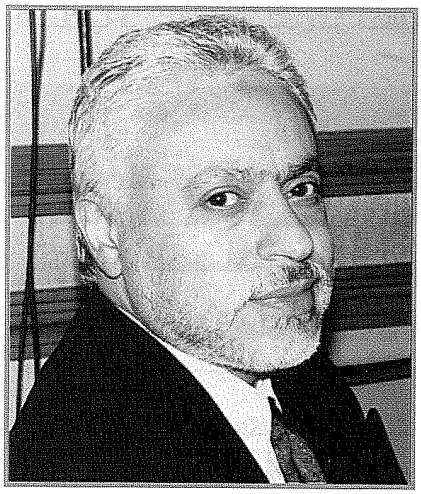

● د. أحمد الحطاب

وقال الدكتور الحطاب خلال حوار صحفي لـ«الوعي الإسلامي» ان الاتحاد يضع في بؤرة اهتماماته توحيد الصف الإسلامي في أمريكا، ويحاول إحياء الوحدة الإسلامية في نفوس المسلمين، ويسعى جاهداً من خلال برامج متعددة أن يرقى بالمسلمين فوق كل العصبيات والفوارق.

وقال . في معرض إجابته عن سؤال حول التحديات التي يتعرض لها المسلم في ظل الثقافة الأمريكية . إن هناك تحديات وتيارات خطيرة يعيش المسلم في بوتقتها، ولم ينج من آثارها السلبية إلا من استعصم بالله، والتزم بكتابه، وبسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وقال إن هناك كثيرين جرفتهم هذه الثقافة، ولكن هناك أيضاً نماذج قهرت كل هذه التحديات وخرجت بإسلامها في فخر واعزاز، وقال إن الأسر الأمريكية بدأت تستشعر افتقادها لقيم الفضيلة والأخلاق، فراحت تلحق أبناءها بالمدارس الإسلامية التي تغرس في نفوس تلاميذها معاني الأخلاق والفضيلة.

وقال الدكتور الحطاب إن عدد المسلمين الآن في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠ ملايين مسلم حسب آخر إحصاء قامت بها أكثر من جهة، وأن المساجد والمراكز الإسلامية في تزايد مستمر، ولا يُقام مسجد أو مركز إسلامي في حي من الأحياء إلا وتقل فيه الجريمة، ويعم السلام والأمن بين أرجائه.

وإلى تفاصيل الحوار... خلال هذه السطور.

● بداية نود من سيادتكم تعريف القارئ العربي والمسلم عن نشأة الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية؟

- الحديث عن الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية هو حديث عن هذه الدعوة المباركة التي لا تعرف الحواجز أو المستحيل، وتؤمن أن هذا الإسلام العظيم هو دين الله سبحانه وتعالى الذي ارتضى لعباده الصالحين وتكفل بحفظه وتمكينه وإظهاره على الدين كله، ونؤمن أيضاً أن هذه الرسالة الخالدة هي رسالة عالمية لم يختص بها قوم دون قوم آخرين، ولا أرض دون أخرى، ونتحرك بهذا المفهوم العالمي من منطلق قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

بدأ الاتحاد في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات، يوم أن استشعر طلاب العلم من أبناء هذه الأمة الذين وفدوا للدراسة، أن الوجود الإسلامي في أمريكا تعرض لسنين طويلة لصور شتى من التزوير وفقدان الهوية وطمس الشخصية الإسلامية، مع هذا الإحساس بهذا التحدي، ومع الحرص على إبقاء مقومات الهوية الإسلامية والاستعصام بدين الله، أنشأوا داخل الجامعات الأمريكية ما كان يسمى وقتذاك بالجمعيات الطلابية الإسلامية، والتي التقت في النهاية مع بعضها البعض، لتنشئ اتحاد الطلبة المسلمين (MAS) والذي بدأ في عام ١٩٦٣م.

هذا الاتحاد، مع تنامي وتعاظم الوجود الإسلامي في أمريكا، ومع انتشار دعوته خارج الحرم الجامعي، ووصولهم إلى الجالية المقيمة في الولايات المختلفة، بل وبدأ يتعامل مع الطلبة الأمريكيين أنفسهم من غير المسلمين، وتبلور في النهاية عام ١٩٨٣م اتحاد إسلامي عام وشامل، ضم إليه مؤسسات ومنظمات مهنية متخصصة مثل الجمعية الطبية (IMA) وجمعية العلماء والمهندسين (AMSE) وغيرهما، فهناك قرابة أربعمائة فرع وهيئة إسلامية تعمل من خلال الاتحاد، ويصل أعضاؤها إلى أكثر من مائة ألف عضو منتشرين في أرجاء الولايات المتحدة، وبالإضافة إلى مؤسسة الوقف الإسلامي التي أنشئت خصيصاً لتواكب هذا النمو المتعاظم والمتزايد في المساجد والمراكز الإسلامية، وتوفر المظلة القانونية الشرعية لمختلف الأنشطة، وهذا الوقف الآن يمتلك أكثر من مائتين وخمسين مسجداً ومركزاً إسلامياً.

توحيد المسلمين في أمريكا الشمالية

● يضع الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية في بؤرة اهتمامه توحيد الصف الإسلامي في أمريكا، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو القومية أو حتى المذهبية، فإلى أي مدى حقق الاتحاد نجاحاً في هذا الجانب؟

- نعم، وضع الاتحاد هذه الأولوية من أولوياته الكبرى لتوحيد الصف المسلم في أمريكا، وبالتعاون والتنسيق مع المؤسسات الأخرى التي تلتقي معه في المنطلقات والثوابت والأهداف، نحاول إحياء الوحدة الإسلامية في نفوس المسلمين من منطلق قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)، فهو يحاول من خلال برامج متعددة أن يحرر المسلمين في أمريكا من أي انتماءات قومية أو حزبية أو غير ذلك، وهو يسعى جاهداً أن يرقى بالمسلمين فوق كل هذه العصبيات والفوارق التي مزقت صفهم سنوات طويلة.

● هل نستطيع القول بأن الجهود التي بذلها الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية، جعلت للمسلمين هناك شخصية اجتماعية مستقلة وكياناً خاصاً متميزاً؟

- مما لا شك فيه أن الجهود التي بُذلت فوق التربة الأمريكية، جهود ضخمة، كان الاتحاد الإسلامي من أعرقها اتساعاً وأكثرها اتزاناً بفضل الله، ومع الجهود الكثيرة التي تبذل لتحرير الوجود الإسلامي، وتقديم الصورة المشرقة للإسلام، ومع ميلاد مؤسسات إسلامية عدة، والنمو المطرد في المساجد والمراكز الإسلامية، بدأ الوجود الإسلامي في أمريكا الشمالية ينظم نفسه، ويهتم بالبعد الاجتماعي والسياسي، وبدأ ينشئ مؤسسات متخصصة في العمل السياسي، ويمد جسور الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وأصبحت لغة الخطاب الرسمية من داخل القيادة الأمريكية معتدلة، والرئيس الأمريكي بيل كلينتون ذكر في كلمته الأخيرة أمام الأمم المتحدة، أن الإسلام أسرع الديانات انتشاراً في الولايات المتحدة وفي العالم، كما ذكر أن الإسلام بريء من التهم التي تلصق به من عنف وإرهاب.

مظاهر الإسلام في أمريكا

ويضيف الدكتور الحطاب قائلاً: يسمح الآن للمسلمين العاملين في مكاتب الكونجرس الأمريكي أن يؤدوا الصلاة في مكاتبهم، وقُدِّر لي أن أديت صلاة الجمعة داخل مبنى الكونجرس الأمريكي، في إحدى قاعاته الكبرى، وكان جمهور المصلين الذين شهدوا هذه الجمعة معظمه من الشباب العاملين في الكونجرس، من بينهم مستشارين وإعلاميين واقتصاديين، وغيرهم، ورأيتهم معتزين وفخورين بدينهم، وحريصين على إحياء شعائر دينهم.

وعلى الجانب الآخر، نرى معظم الوحدات العسكرية الآن بها أماكن للصلاة، حيث تجاوز عدد العسكريين المسلمين الذين يعملون في الجيش الأمريكي العشرين ألفاً، كما تم تعيين خمسة أئمة من القادة المسلمين العسكريين داخل الجيش الأمريكي بوحداته المختلفة لرعاية شؤون المسلمين في الجيش

١٠ ملايين مسلم أمريكي ينتشرون في أرجاء الولايات المتحدة

توحيد المسلمين الأمريكيين في بؤرة اهتمام الاتحاد الإسلامي

الأمريكي، وكذلك يسمح الآن للمرأة المسلمة بارتداء الحجاب في مكان عملها، أو داخل الجامعة أو في المدارس الحكومية المختلفة، وغير ذلك من مظاهر الاعتراف والإقرار بالدين الإسلامي، حتى أن إدارة السجون الأمريكية عينت قرابة مائتي إمام تدفع رواتبهم لإمامة الصلاة والتعريف بالإسلام، وذلك لأنها أدركت أن سلوك السجين يتغير تماماً إذا داخل في الإسلام والتزم بأخلاقه وسلوكياته، وأسلم خلال الخمسة عشر عاماً الماضية أكثر من ثلاثمائة سجين أمريكي.

● هل معنى ذلك أن صورة الإسلام في أمريكا بدأت تتحسن؟!

- بفضل الله تعالى، بدأت الصورة الطيبة للإسلام الحقيقي تتحسن وبشكل ملحوظ للجميع، ولم تأتِ هذه الصورة من فراغ وإنما جاءت بعد سنوات طويلة من العمل المؤسسي الدؤوب، والذي قامت به المؤسسات الإسلامية المختلفة على الساحة الأمريكية، مع هذا الجهد المتواصل، ومع وجود نماذج إسلامية طيبة، أحسنت التعبير عن القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة، وجسدت أخلاقه الكريمة في سلوكها اليومي، فأكدت للناس سماحة الإسلام، وحسن معاملته وآدابه.

الشباب المسلم والحضارة الغربية

● كثير من الناس يعتقد، أن المسلمين في الغرب بشكل عام، وفي أمريكا بشكل خاص يتعرضون لضغوط وتحديات كبيرة في ظل الثقافة الغربية، ولا سيما لدى الشباب، فما وجهة نظركم في هذه القضية؟

- مما لا شك فيه أننا نعيش في بيئة بعيدة إلى حد كبير عن المنهج الإلهي، في كثير من مظاهرها وأنماطها السلوكية اليومية، وهو تحدٍ ضخم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ويفقد إزاءه بعض المسلمين أبناءهم، الذين لا يستطيعون مقاومة هذا التيار الجارف من الإباحية والعنف وفقدان الثقة بالنفس، والصلة بالله سبحانه وتعالى.

ولكن على الجانب الآخر، هناك نماذج من الشباب استعصمت بحبل الله، ولم تستطع هذه الثقافة بكل ما تحمله من إغراءات في اجتذابهم، بل على العكس ثبتت وتألقت في ظل قيمها الإسلامية، فهناك شباب في المدارس الأمريكية يتفوق على كثير من أقرانه ممن تتوافر لديهم كل الإمكانات، بل إنني أستطيع القول إن هناك نماذج من الشباب المسلم في أمريكا يشاركون في تحسين مستوى التعليم في العديد من المدارس التي يدرسون فيها، فهناك أكثر من ٤٠٠ مدرسة إسلامية نظامية، نجد من بين طلابها طلاب من أسر غير مسلمة، أحس أهلهم أن هذه المدارس، توفر لأبنائهم أسباب الأمن، والالتزام بالقيم والأخلاق، ما لم يتوافر في المدارس الحكومية، حتى أن هذه المدارس على قلة إمكانات بعضها، كانت سبباً في أن تجيء تلميذة من التلاميذ ومعها أمها وخالتها ليعلن إسلامهن في المدرسة، والسبب أثر هذه المدرسة بالتزامها الإسلامي على سلوك البنت، وإحياء قيم الفضيلة الغائبة هناك. ويضيف... هناك لا يقام مسجد أو مركز إسلامي في حي من الأحياء إلا وتقل أو تختفي فيه الجريمة، ويعم الأمن والسلام، وتنتشر في أرجاءه قيم الخير والمحبة الإنسانية، إنما أردت أن أقول، أن مع كل التحديات الأخرى وفقدان من يذوب في الثقافة الإباحية، هناك أيضاً نماذج طيبة ومبشرة بالخير.

الاهتمام بقضايا الشباب

● هل هناك برامج خاصة يضعها الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية لحماية الشباب المسلم من خطر الذوبان في الثقافة العلمانية؟

- الاتحاد إيماناً منه بخطورة الذوبان، وإيماناً منه أن مستقبل الإسلام في أمريكا مرهون بما يبذله من جهد في تأمين وحماية وتثبيت مقومات ودعائم الشخصية

لماذا عيَّنت إدارة السجون الأمريكية ٢٠٠ إمام وخطيب مسلم ؟

الإسلامية، بدأ يُنشئ من المؤسسات والبرامج ما يعينه على أداء هذا الأمر، ولعله من المناسب أن نذكر على سبيل المثال أن الاتحاد كان يشجع ومازال يحُس المسلمين في أمريكا على الاهتمام بالتعليم الإسلامي، ويشرف من خلال المجلس الأعلى للمدارس الإسلامية التابع له على قرابة المائة مدرسة، وهو يؤمن أن التعليم الإسلامي ركيزة أساسية ومطلب ملح لتأمين الوجود الإسلامي في أمريكا، كذلك أنشأ مؤسسة تُعنى بالشبيبة المسلمة وتسمى (MYNA) أو الشبيبة المسلمة لمسلمي أمريكا Moslem Youth of North America وبدأت هذه المؤسسة بعضوية ستين فتى وفتاة، وتجاوزت الآن خمسة آلاف عضو، وتعقد مؤتمراً سنوياً لها، بالإضافة إلى الحلقات والندوات الدورية في المراكز الإسلامية المختلفة، فضلاً عن المخيمات والمعسكرات الشبابية، وهي تمثل مفخرة للوجود الإسلامي للشباب في أمريكا.

كذلك المؤتمرات السنوية التي يعقدها الاتحاد، والتي يحضرها أكثر من عشرين ألف مسلم، تعد برامج خاصة موجهة للشباب، سواء من هم في المرحلة الجامعية، وللاتحاد مؤسسة خاصة تعمل داخل الجامعات الأمريكية، وهو اتحاد الطلبة المسلمين، أو مؤسسة الشبيبة التي تعمل داخل المراحل الثانوية.

كذلك هناك مجلة الشباب الدورية والتي يصدرها الاتحاد باسم «آفاق إسلامية» Islamic Horizons، والذي يوزع منها ٥٠ ألف نسخة من كل عدد، وهي تخاطب الشباب وتتناول قضاياهم، وتحاول أن تنمي لديهم الانتماء لدينهم وهويتهم.

المؤتمر السنوي القادم «الإسلام هدى للناس»

● للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية دور كبير في تنظيم المؤتمرات الإسلامية والمهنية المتخصصة، ونريد أن تلقي مزيداً من الضوء على أهم المؤتمرات التي نظمها الاتحاد خلال العام الماضي وهذا العام؟

- مما لا شك فيه أن المؤتمرات العلمية المتخصصة أو المؤتمرات العامة، والتي يدعى

إليها علماء المسلمين بكل تخصصاتهم، وعلى اختلاف ثقافاتهم ومشاربهم.. هذا النوع من الأنشطة يعمق عند المسلمين انتماءهم ويربطهم ويقربهم بدينهم، بالإضافة إلى تبادل وجهات النظر في القضايا الإسلامية المختلفة ومحاولة إيجاد حلول علمية مدروسة لها، والاتحاد الإسلامي منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يسير على هذا النهج، وسوف يعقد مؤتمره السادس والثلاثين في مدينة شيكاغو، في الفترة من ٣ - ٦ سبتمبر ١٩٩٩م، ومن المتوقع أن يحضره أكثر من ثلاثين ألف مسلم، سيكون موضوعه «الإسلام هدى للناس»، وكان موضوع المؤتمر السابق «المسلمون من أجل كرامة الإنسان» وحضره ثمانية عشر ألف مسلم ومسلمة. والاتحاد يعقد أيضاً مؤتمرات متخصصة، مثل المؤتمر الأكاديمي العلمي، والذي يدعى إليه الخبراء والكتاب والمفكرون ويسمى «الإسلام في أمريكا»، وقد أتم هذا العام مؤتمره السادس في شهر يوليو، وعقد هذا العام بمدينة كولمبس في ولاية أوهايو، وكذلك يعقد مؤتمراً متخصصاً عن المسلمين في السجون الأمريكية، وأيضاً يعقد مؤتمراً عن الاقتصاد الإسلامي وتجربة البنوك الإسلامية، وهناك أيضاً مؤتمر متخصص لإعداد الدعاة والقيادات للمساجد والمراكز الإسلامية في أمريكا.

١٠ ملايين مسلم أمريكي

● من يريد التعرف على عدد المسلمين في أمريكا، يجد أمامه إحصائيات مختلفة ومتباينة، فهناك إحصائية تقول إن عددهم ٦ مليون مسلم، وأخرى تضاعف هذا الرقم، وأخرى تقسمه، فما أسباب هذا التباين والاختلاف برأيكم... ونريد أن نتعرف على العدد الحقيقي للمسلمين في أمريكا؟

- يجب أن نعلم بأننا نتحدث عن وجود إسلامي في قارة واسعة مترامية الأطراف، يصعب فيها أن يكون هناك نظام واحد للإحصاء، ومن ناحية أخرى فإن الوجود الإسلامي في أمريكا يمثل أكثر من ٦٥ - ٧٠ جنسية مختلفة، فضلاً عن أن تنظيم العمل الإسلامي بأمريكا يعتبر حديث عهد، إذا ما وضعنا في الاعتبار عمره الذي لا يتجاوز الأربعين عاماً أما سبب الاختلاف في الإحصاءات المختلفة فيرجع إلى أن لكل هيئة من الهيئات تقديراتها الخاصة في العدد ومعدلات الزيادة، ولكن نستطيع أن نقول من خلال إحصائيات أقسام التسويق لشركات كبرى تابعة لـ AT&T أو لـ MC أو لشركات التليفون التي ذكرت في أحدث تقاريرها أن عدد المسلمين في أمريكا يناهز ١٠ ملايين مسلم، وهذا الرقم لم نعد نخشى قوله ونتهم بالمبالغة، وكنا قبل ذلك نتحفظ في ذكر عدد المسلمين في أمريكا، ولكن الآن نقول إن ١٠ ملايين مليون مسلم في أمريكا، هو الرقم الحقيقي بلا مبالغة أو نقصان.

● كيف يتعامل العالم العربي والإسلامي مع الغرب، هل يتعامل معه من المنظور نفسه الذي يتعامل به الغرب، باعتبار أنه يتخذ من الحضارة الإسلامية عدواً، أم أن صيغة التعامل تكون بالحوار والمجادلة الحسنة؟

- في الحقيقة بعد قرابة ربع قرن قضيتها في أمريكا، أستطيع أن أقول إنه قد آن الأوان أن نتعامل مع الغرب ليس كخصم وعدو، بل كتربة خصبة مهيأة لتتفاعل وتتعامل مع هذا المنهج الرباني الإسلامي، إذا أحسن المسلمون عرضه عليهم، ولابد أن ندرك أن الأرض كلها لله، وأن هذا الإسلام ملك للبشرية أينما وُجدت، وأن في الولايات المتحدة الأمريكية الآن ١٠ ملايين أمريكي مسلم، وأمريكا بالنسبة لهم وطن وأرض، ولا نستطيع أن ندعي أن هذا العداء الأمريكي سينسحب على الأقليات الموجودة فيها، ويتحول وجودها إلى صراع مع هذه الحضارة - أقول وجودنا في هذه الحضارة وجود رحمة، وجسر من جسور الخير تعبر عليه رسالة السماء لتخاطب وتخالط العقل والروح، وتعيد للإنسان صفاءه واتزانه. ولابد أن تتعامل الأقليات المسلمة في أي مكان من العالم من هذا المنطلق، لأن هذه المجتمعات هي أحوج ما تكون إلى الرحمة، وإلى رسالة الإسلام، التي أفاض الله عليها من رحمته والله غالب على أمره.

الإسلام والقرن الحادي والعشرين

● ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين هناك تحديات كبيرة وخطيرة تواجه العالم العربي والإسلامي، فهل تعتقد أن هذه التحديات ستنتهي وتتلاشى، أم أنها ستزداد وتتسع؟

- لا شك أن هذه التحديات مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض، ومرتبطة بقضية الصراع بين الحق والباطل، وهو صراع أبدي وتاريخي لا يمكن أن نقول إنه سينتهي أو يتلاشى، ولكنه يأخذ أشكالاً وصوراً مختلفة، وكلنا أمل في أن تدخل أمتنا القرن القادم وهي أكثر تماسكاً والتحاماً، لأنها عانت كثيراً من التشرذم والتفرق والهوان، وإذا أردنا أن نخدم البشرية، وأن نخدم أمتنا، لابد أن نعتصم بحبل الله جميعاً، وأن تتوحد كلمة المسلمين. وأنا أتصور أن التحديات التي ستواجه الأمة في القرن القادم هي تحديات أقوى وأخطر، وبدأت ملامحها تطفو وتظهر على مظاهر الحياة في العالم، كظاهرة العولمة والنظام العالمي الجديد، ومحاولات تذويب ملامح الثقافات الذاتية، والأمة لن تصمد أمام هذا المد الثقافي والتكنولوجي وهي ممزقة مشتتة، ولابد أن تعود إلى رشدها، وأن تضع برامج سياسية وعسكرية واقتصادية وفكرية موحدة تمكنها من مواجهة التكتلات القوية الأخرى.

الاتحاد على الإنترنت

● يوجد على شبكة الإنترنت موقع للاتحاد الإسلامي، ونريد أن نتعرف على أهم الخدمات التي يقدمها هذا الموقع في مجال الدعوة الإسلامية؟

- لا شك في أن عالمنا اليوم يشهد ثورة هائلة في مجال الاتصالات والمعلومات، ومن أبرزها شبكة الإنترنت التي اختصرت الزمان والمكان والتكاليف، والاتحاد إيماناً منه بهذا أنشأ موقعاً على هذه الشبكة يسمى (ISNA) وهي اختصار The Islamic Society of North America المجتمع الإسلامي لأمريكا الشمالية وعنوانه: (w.w.w. ISNA. net) لمن يريد أن يتعرف على الاتحاد ونشاطه وبرامجه ومجلته وأهم المقالات وأهم الأنشطة القادمة، كذلك يقدم الاتحاد على هذا الموقع بعض المسائل الأخرى التي تتعلق بالشريعة الإسلامية والفتاوى، وكذا بطاقات العضوية، واستمارات التسجيل للمؤتمرات، وغيرها. ■

ملف العدد

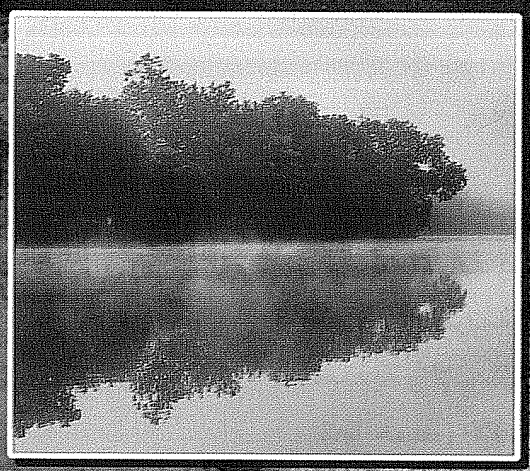

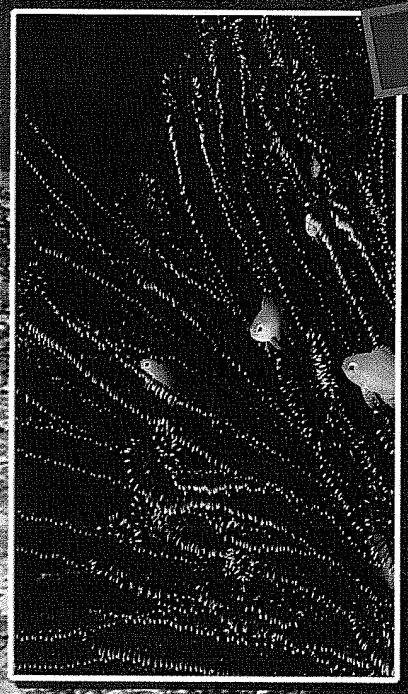

التصور الإسلامي للبيئة

بقلم: أ.د. عبدالراضي حسن المراغي

التربية البيئية في الإسلام

اهتم الدين الإسلامي الحنيف بالتربية البيئية للنشء والشباب، بل للأسرة عموماً اهتماماً كبيراً، وقد راعت تعاليمه الكريمة أن تكون التربية البيئية شاملة لكل جوانب الحياة الطبيعية والإنسانية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتشريعية، كما حرص الإسلام على أن تكون التربية البيئية الإسلامية عملية مستمرة على مدى حياة المسلم سواء في المدرسة أو في الجامعة أو في الحياة عموماً، ويجب أن تكون التربية البيئية الإسلامية متعددة الأساليب ومتداخلة المعارف كما يجب أن تشجع المشاركة الفعلية في معالجة مشاكل البيئة ووضع المزيد منها في الحسبان وعلى سبيل المثال وليس الحصر تربية المسلم على حسن استخدام الطريق ومنع الأذى والضرر عنه، فقد أرشد الرسول ﷺ إلى نظافة الطريق ورفع الأذى عنه: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» متفق عليه، «من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني بإسناد حسن، «الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق» متفق عليه، «من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة» رواه البخاري والطبراني، «إن المؤمن ليؤجر في إماطة الأذى عن الطريق» رواه الترمذي.

كل هذه الأحاديث النبوية الشريفة تربي المسلم وتغرس فيه سلوكاً بيئياً إسلامياً الهدف منه رفع الأذى بكل أنواعه عن الطريق وصيانته والحفاظ عليه كجزء أساسي من البيئة المحيطة من حولنا، كما أن هذه الأحاديث جعلت إماطة الأذى عن الطريق بكل أشكاله المادية والمعنوية عبادة وفرض عين على كل مسلم، والمقصود بالأذى ما يضر بالطريق ويشوه منظره وجماله ونظافته ويعيق استعماله ويتسبب في وقوع الحوادث أو إرباك المرور أو إلقاء القاذورات والمخلفات كالزجاجات والعلب الفارغة حيث يعتبر نوعاً من أنواع الأذى لأنه يسبب تلوث البيئة بهذه المخلفات.

إن إشغال الطريق أو جزء منه مثل أرصفته المخصصة للسير يجبر المشاة على السير في عرض الطريق ما يجعلهم عرضة للحوادث لذا يعتبر هذا السلوك نوعاً من أنواع الأذى الذي يجب على المسلم ألا يتسبب فيه ويجب عليه أن يزيله.

إن معالجة القضايا البيئية من وجهة النظر الإسلامية تكون بإعطاء قدر كاف من النصح الإسلامي المدعم بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، هذا ينمي في عقل المسلم السلوك البيئي الحسن، ويجب أن يكون للدعاة والموجهين الدعويين من خطباء المساجد وغيرهم دور كبير في النصح والتوجيه من خلال خطبهم ودروسهم.

ويمكن تدعيم المناهج والمقررات البيئية في المراحل التعليمية المختلفة بالنهج الإسلامي الرشيد الذي يلزم المسلم بالسلوك البيئي القويم الذي يحمي البيئة ويحافظ عليها.

وقد اهتم الدين الإسلامي الحنيف بالبيئة ومواردها المختلفة إذا كانت حية أم غير حية وأرسى الأسس والتعاليم للتعامل مع هذه الموارد والمصادر البيئية وصيانتها والحفاظ عليها، وقد جعل الخالق سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض ليدير مواردها ومصادرها وخيراتها ويتصرف فيها تصرفاً حسناً، (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر:٣٩.

وقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ ليكون نبراساً شاملاً يرسم للإنسان طريق حياته وآخرته ويرتقي به لصلاح دينه وآخرته، (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام:٣٨.

وأوضح الخالق جل وعلا لعباده كيف خلق الكون وكيف يسيره على أكمل وجه وكيف سخّر للإنسان السماء لتسقي أرضه وزرعه بالغيث وسخر له البحر ليأكل منه لحماً طرياً وخلق الأنعام فيها للإنسان فوائد ومنافع.

ولكن الإنسان استغل كل هذه المصادر والموارد البيئية التي أعطاها وسخرها له الخالق سبحانه وتعالى واستنزفها دون حساب وبلا حكمة خلافاً لما أقره الله تعالى في كتابه العزيز وأوصى به الرسول في سنته النبوية الشريفة، وقد نهى الإسلام عن الإسراف لما فيه من أضرار وهو سلوك يتعدى الحدود المعقولة: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) الإسراء:٢٩، (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف:٣١.

وإذا نظرنا إلى هذا الأمر من زاوية بيئية وجدنا أن الاستخدام الجائر للموارد البيئية التي سخرها الله لنا هو سلوك ضار وخطير على هذه الموارد لأنه يستنزفها، والنتائج السلبية لهذا السلوك الجائر سببت الكثير من المشكلات البيئية مثل: تلوث التربة والهواء، التدمير التدريجي لطبقة الأوزون، التغيرات المناخية، قطع الأشجار وإزالة الغابات، انقراض بعض الأنواع النباتية والحيوانية ومشكلة التصحر وغيرها من المشكلات.

إن عالم اليوم عرضة لخطر نفاد الموارد البيئية والطبيعية ومعرض إلى خطر النفايات الصناعية والذرية وكل ذلك يشكل أزمة أخلاقية.

ولا يجوز للمسلم أن يظل مكتوف الأيدي حيال هذا الاستنزاف السائد، بل عليه أن يتدبر أمره ويلتزم بحماية البيئة بدافع من إيمانه بخالقه ويجب عليه أن يغير من أسلوب حياته ومعيشته ليحافظ على النظام البيئي الذي يعيش فيه وينعم بمصادره وخيراته.

إن حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية هما من واجبات الفرد والمجتمع وديننا الإسلامي الحنيف يدعونا إلى النظافة للحفاظ على الأرض نظيفة والهواء نقياً والماء صافياً.

ويُقصد بالتربية البيئية الإسلامية وضع مناهج وسياسات تعليمية تهدف إلى خلق كوادر قادرة على فهم مقومات النظام البيئي الذي خلقه المولى عز وجل وأمرنا أن نحافظ عليه ولا نسرف في استنزاف موارده والتعامل مع القضايا والمشكلات البيئية المختلفة من خلال طرق وأساليب علمية وتربوية مختلفة يكون للتعاليم الإسلامية دور فعال في نصح وإرشاد المسلم.

ولابد من وضع استراتيجية للتربية البيئية الإسلامية بحيث يكون هناك أهداف برنامج تعليمي بيئي يتناسب وكل المراحل التعليمية منذ مرحلة التعليم قبل الأساسي وحتى التعليم الجامعي العام بما فيه الأزهري. ويجب أن يكون نتاج هذه الاستراتيجية إدراك كامل لمفاهيم ومبادئ القضايا والمشكلات البيئية.

وتتضمن هذه الاستراتيجية محاور عدة تتلخص فيما يلي:

١ ـ خلق المولى عز وجل الكون في صورة أنظمة بيئية يابسة وبحرية وزراعية وصحراوية ومياه عذبة.

٢ ـ جعل الخلاّق سبحانه وتعالى الموارد والمصادرالبيئية في هذه النظام تدور في دورات بديعة لصالح الإنسان.

٣ ـ نظّم الإسلام علاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها.

٤ ـ سخّر الله موارد الكون بنظمه البيئية المختلفة في صورة سلاسل وشبكات غذائية يعتمد عليها الإنسان في كسائه ومسكنه.

كما تتضمن هذه الاستراتيجية أيضاً أنه عندما خالف الإنسان تعاليم دينه الإسلامي الحنيف وأخذ يبذر ويسرف في مصادر وموارد البيئة ظهرت مشكلات تدهور المراعي وتصحر الأراضي الزراعية، وعندما استنزف طبقة الأوزون ظهرت التغيرات المناخية وتفاقمت مشكلات تلوث الهواء والتربة والمياه.

والأهداف التي يجب أن تحققها التربية البيئية الإسلامية للفرد المسلم والتي يجب أن ترسخ في وجدانه هي أن الخالق سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض ليدير موارده وخيراتها ويتصرف فيها تصرفاً حسناً وأن النتائج السلبية لهذا السلوك تسبب المشكلات البيئية مثل تلوث التربة والهواء والماء وأن حماية البيئة والحفاظ على مواردها من واجبات الفرد والمجتمع المسلم. ■

نافذة على قضايا البيئة

بقلم: د. زين العابدين متولي

العلاقة بين الإنسان والبيئة قائمة على التوازن والألفة والانسجام لصالح الحياة والإحياء وليست أبدا علاقة قلق وتنافر وعداء كما يزعم أنصار النزعة المادية الذين يتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها كوارث خالية من أي خير ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون وكل تسخير لطاقة من طاقاته انتصاراً على الطبيعة أو قهراً لها.

ولقد صور القرآن الكريم في كثير من آياته حقيقة هذا العلاقة الحميمة بين الإنسان والكون المسخر لكافة الأحياء قال تعالى: (ألم ترى أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان:٢٠.

كذلك تمضي السنة المطهرة بما يؤكد هذا التصور الإسلامي لعلاقة المودة الصافية بين الإنسان وبين ما تحتويه بيئته من موجدات حية وغير حية فقد كان الرسول ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق هذا جبيل يحبنا ونحبه وكان ذلك منه تعبير عن وشائج الألفة بين الناس وعناصر البيئة

وافتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني في التعامل مع البيئة يدلنا على طبيعة الحرب التي شنها الإنسان على نفسه باسم التقدم الحضاري إنه كان ظلوماً جهولاً ويقول المولى عز وجل في محكم آياته (إنا عرضنا الأمانة على السموات الأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب:٧٢.

ولقد سبق الدين الإسلامي إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات التي يعيش فيها أما المبدأ الأول فهو «درء المفاسد» حتى لا تقع بالبلاد والعباد، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرر بالغير، وأما المبدأ الثاني فهو «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التي تحقق الخير لكل البشر.

وأهم ما يميز المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال والبعد عن الإسراف في كل تصرفات الإنسان حتى ولو كانت إنفاقاً في سبيل الله قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)الفرقان:٦٧، وفي السنة النبوية المطهرة أيضاً ينهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من أجل الوضوء ويزخر التراث الإسلامي بمؤلفات عديدة عن البيئة وسلامتها ففي كتاب «الطب النبوي» لابن القيم فصلاً عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي.

وعموماً ففي الشريعة الإسلامية يوجد منهج كامل متكامل إسلامي حكيم ينهى عن التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله ويجعل البيئة مرتبطة بتحمل الإنسان دون غيره من المخلوقات لأمانة الخلافة في الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله في خلقه وخلقها.

في الوقت الذي تؤكد فيه دول العالم المختلفة حرصها في الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية بكل صورها، وتوفر الاعتمادات المالية لمعالجة قضايا البيئة فإن الواقع يشهد اختلافاً كبيراً في ذلك إلى حد اعتبر المتخصصون أن حياة الملايين أصبحت في خطر بسبب دفن النفايات في التربة أو إلقائها في المحيطات فضلاً عن تلوث الهواء بسبب كثرة العوادم التي تبعثها عوادم السيارات ومداخن المصانع.

وقد شغلت هذه القضية المهمة اهتمام العلماء وأجمعوا على ضرورة علاج مثل هذه القضايا وأن عدم علاجها سيؤدي إلى كارثة بيئية واقتصادية هذه الكوارث ستؤدي إلى تدمير المحيطات والغلاف الجوي والتربة، وأهم القضايا البيئية التي تؤرق العالم هي:

- إنشاء محطات توليد القوى التي تزيد من درجة حرارة الأرض.

- المشروعات التي تشجع... على الزراعة والرعي بشكل يزيد على استهلاك واستنزاف التربة.

- المشروعات التي تستنزف الثروة السمكية في البحار والمحيطات.

معظم المحيطات تعرضت لعمليات استنزاف لمواردها وأكثر من ثلاثة أرباع الفصائل الحيوانية انقرضت أو أصبحت على وشك الانقراض بسبب الإهمال للمشاكل البيئية وهو الأمر الذي يهدد بشدة حياة ملايين الأشخاص على مستوى العالم.

أكثر من ٣ مليارات شخص سيعانون من نقص حاد في المياه خلال الـ٥٠ عاماً القادمة وذلك في الوقت الذي تعرضت فيه مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى ١,٣٣ مليار فدان لتعديات مختلفة في قارة أفريقيا بمفردها.

والعالم لن يتحمل المزيد من عمليات احتراق وقود الفحم إذا ما تضاعف عدد السكان كما هو متوقع خلال الخمسين عاماً القادمة، في الوقت الذي تحتاج فيه البحوث والدراسات الخاصة بمصادر الطاقة البديلة إلى زيادة تحويلها لمنع المزيد من عمليات تلوث الهواء والتحول الذي يشهده مناخ الكرة الأرضية خاصة أن العالم يستهلك موارده بطريقة أسرع من أن يتمكن من تجديدها.

وقد توصلت الأبحاث والدراسات المستفيضة على المستوى العالمي إلى الأخطار التي باتت تهدد الموارد البيئية والطبيعية على مستوى العالم، وسنتناول كل مورد على حده في نقاط محددة على النحو التالي:

الماء :

معظم المحيطات تعرضت لعمليات استنزاف منظمة من قبل الدول المتقدمة و ٧٠٪ من النفايات التي تلقى في المحيط الهادي غير معالجة وتوجد في أفريقيا ١٩ دولة من بين ٢٥ دولة على مستوى العالم تعاني من ارتفاع عدد السكان الذين لا تتوافر لهم مياه صالحة للشرب، والطلب المتزايد على الماء تسبب في أن معظم مياه الأنهار في العالم تستهلك قبل أن تصب في البحار.

الغابات :

قد استمرت عمليات استنزاف الغابات الاستوائية وإن كان بمعدل أبطأ من الثمانينيات، فالغابات الأفريقية هي أكثر غابات العالم استنزافاً بينما الغابات الاستوائية يمكن أن تعيش لمدة ٤٠ عاماً قادمة فقط، ومن المتوقع أن تفقد الغابات الاستوائية ١٠٠ ألف نوع من أنواع الحياة الطبيعية فيها خلال الأربعين سنة القادمة.

الهواء:

وهناك اتفاق في آراء العلماء أن يد الإنسان تدخلت بالفعل في تغيير المناخ وإذا استمر معدل ثاني أكسيد الكربون في الجو في التضاعف وهو الأمر الذي سيحدث خلال جيلين أو أكثر في ظل السياسات الحالية وأن ٣٦ دولة ستغطيها المياه، سيضطر معظم سكانها لمغادرتها وتشير الأبحاث الحالية إلى وجود ١٢ دولة في جنوب قارة أفريقيا أصبحت بالفعل أدفأ وأكثر جفافا.

التربة :

نحو نصف مليار هكتار من الأراضي تم تدميرها في أفريقيا وأكثر نسبة من الأراضي المجرفة في العالم توجد في قارة آسيا وعلى الرغم من أن قارة أوروبا أضافت ١٠ ملايين هكتار من الأراضي المحمية منذ عام ١٩٥٢م إلا أن ٥٢٪ من ثروتها السمكية

و ٤٥٪ من ثروتها الحيوانية من فصيلة الزواحف والثدييات أصبحت مهددة بالانقراض.

السكان :

عدد سكان العالم يزداد نحو ٨٨ مليون شخص سنوياً وسوف يصل إلى ٦,٥ مليار شخص في عام ٢٠٠٠ هذا مع العلم أنه قد نجحت أكثر من ٣٠ دولة في ضبط معدلات زيادة سكانها وتمكنت دول أخرى من إبطاء معدل هذه الزيادة.

وتشير التقارير بأن عدداً كبيراً من دول العالم تهدف لتحقيق النمو الاقتصادي بأي ثمن متجاهلة حقيقة أن الدمار الذي سيلحق بالغلاف الجوي وبالمحيطات يمكن أن يهدد بالفعل اقتصادات العالم لقد حان الوقت كي نبادر لتصحيح ذلك الوضع، وإلا سنقتل أنفسنا بأنفسنا.

فالاهتمام بالبيئة وقضاياها يمثل اليوم اتجاهاً عالمياً متزايداً وخاصة بعد تزايد الآثار السيئة للتلوث البيئي على صحة الإنسان والحيوان والأسماك والطيور والنباتات، ويكفي أن نعلم أن نصف سكان الدول النامية يعيشون تحت خط الفقر وظروفهم المعيشية شبه مستحيلة، لقلة الموارد وتلوث الهواء والماء وقسوة الطبيعة وبخاصة في المناطق الاستوائية مع تدهور البيئة وندرة العلاج هذا بخلاف وجود أكثر من ١,٥ بليون مواطن من دول العالم الثالث يعانون من المرض بسبب قلة المياه الصالحة للشرب أو بسبب شرب مياه ملوثة مع العجز عن توافر مشاريع الصرف الصحي.

يجب أن نعلم أن هناك ما يقرب من أربعين حالة وفاة في كل يوم كلها بين الأطفال بسبب الإسهال والحصبة والملاريا وتبلغ حالات الوفاة في مصر بسبب الأمراض المنقولة عن طريق المياه الملوثة حوالي ٩ آلاف حالة في العام.

العالم المتقدم والمتحضر لا يسمح بأي حال من الأحوال لسكان الدول النامية دول العالم الثالث كما يطلق عليهم من قبلهم أن يعيشوا فوق خط الفقر ويحاولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة أن يبقوهم دائماً تحت خط الفقر.

يسرق العالم المتحضر الموارد الطبيعية

التي منحها المولى عز وجل للدول النامية وقيمة هذه السرقة تقدر بما يزيد على ٦٠ مليار دولار سنوياً وهذا المبلغ يكفي لمعيشة سكان الدول النامية عيشة أفضل بكثير مما هي عليه الآن.

ويحاول سكان الدول النامية بكل الطرق أن يخرجوا من هذا الموقف ويحاولون أيضاً التغلب وقتياً على الفقر فهل يكون ذلك بتدمير الغابات حقيقة أن هذا التدمير يزيد الطين بلة ويجعل مرض الفقر من الأمراض المزمنة ويكفي أن نعلم أنهم يدمرون كل سنة ٢٣ مليون فدان من الغابات، ومعظم هذه الغابات تتحول إلى أرض زراعية ذات قيمة منخفضة وتكون هذه الأراضي معرضة للتصحر، هذا بخلاف أن الغابات الاستوائية بها ثروات خشبية نادرة وتحوي نصف المعروف من أصناف النباتات والحيوان، وتبين الدراسات أن الغابات الاستوائية يتم تدمير ٧٩ مليون فدان سنوياً منها، وهذه المساحة تعادل ٧٠٪ من مساحة إجمالي

الغابات التي تدمر سنوياً في العالم كله.

أما حان الوقت للإنسان وخاصة إنسان الدول المتقدمة أن يصون ويحمي التنوع الأحيائي أي يصون الكساء الأخضر وأشجار الغابات والتربة وبخاصة الحشرات التي تعيش في بيئتها والحيوانات بكل أنواعها خوفاً من الانقراض ويكفي للاستدلال على ذلك مثلاً نزع شجرة واحدة من مكانها يعني موت كيان ضخم من الحشرات والعوائل التي تعيش عليها وكائنات أخرى عديدة عليها تتوازن الحياة على سطح هذا الكوكب ليس هذا فقط، بل إن الحيوانات المفترسة والمستأنسة تعيش في توازن دقيق نسقه المولى عز وجل وأبدعه من قديم الزمان، من أجل هذا يجب على الإنسان أن يحمي التنوع الأحيائي بالنسبة للحشرات والطيور وحيوانات البحر، وطيور الصحاري والغابات والنباتات والأعشاب الطبية التي تقوم عليها صناعة الدواء.

وتوضح الأرقام التفاوت في مستويات الاستهلاك الحقيقية، فأهل الشمال الأغنياء هم الأكثر تقدماً والذين يبلغ عددهم ربع سكان العام يستهلكون ٧٠٪ من الطاقة العالمية فهل هذا يرضي الله سبحانه وتعالى... ويستهلكون ٧٥٪ من المعادن، و ٨٥٪ من الأخشاب و ٦٠٪ من الغذاء في العالم، بينما يحظى الجنوب الفقير بالفتات، زد على ذلك فالدول المتقدمة مسؤولة مسؤولية تامة عن نسبة ٢٥٪ من ارتفاع درجة حرارة الجو وكذلك في إحداث الخلل الناشئ في طبقة الأوزون.

ويعتبر أهل الشمال أي أهل الدول المتقدمة مصدرين للتلوث للبلدان الجنوبية الفقيرة من المصانع الكثيرة التي يقيمونها، فهناك أكثر من ١٦٠ مليون طن من النفايات القاتلة تتخلف عن الأنشطة الصناعية الأوروبية تصنف إلى أكثر من ٤٥ مادة، تقوم الدول المنتجة لهذه النفايات بتصدير نحو مئة مليون طن منها إلى دول العالم الثالث، إما عن طريق دفنها في البحار في مواجهة سواحل هذه الدول في ظل غيبة الرقابة من حكوماتها وإما بدفنها في أراضيها عن طريق الاتفاق مع بعض المسؤولين أو مع بعض تجار السموم وفي هذه الأيام تزايدت حركة نقل السموم إلى الدول النامية نظراً لفرق الربح الكبير بين معالجتها في الدول الصناعية ونقلها إلى الدول الفقيرة ولا يخفى علينا أن هناك ما يزيد على ١٤٠ شركة ومتعهداً في الدول الأوروبية قاموا بإجراء الاتصالات والاتفاقات في أكثر من ٤٤ دولة من دول العالم الثالث لنقل ودفن ٤٠ مليون طن من النفايات في هذه الدول وهذا يتم دون علم شعوبها، كان الله في عونهم.

وأهل الشمال أيضاً هم الذين كانوا ينحرون الغابات في كل يوم عندما كانوا سادة العالم ومستعمري الجنوب وهم الذين استمتعوا بالسياحة والصيد في الغابات الاستوائية وهم الذين تاجروا بالعاج وكانوا هم سبب الدمار والخراب البيولوجي وكذلك كانوا سبباً في انتشار الأمراض التي جاءت بسبب التكولوجيا الدوائية الخطيرة، وكانت الدول المتقدمة أيضاً تسبب تلوثات كثيرة للدول النامية نتيجة للحروب التي تشنها الدول المتحضرة على الدول النامية، فعلى سبيل المثال دمرت الكيماويات التي استخدمتها أمريكا في الحرب ضد فيتنام الجنوبية في إسقاط أوراق نبات ١٥٠ كيلومتراً مربعاً من الغابات، كما أنها أتلفت ١٥ ألف كيلو متر مربع أخرى والذين تعرضوا لهذه الكيماويات الأمريكية أصيبوا بالسرطان والإجهاض وكانت هناك تشوهات في المواليد.

عندما وطأت قدم الإنسان سطح القمر انتابته حمى الغبطة والفرح وركبه الغرور وشعر كأنه يلمس السماء بيديه وبخاصة عندما أطلق الأقمار الصناعية وغزا الفضاء الخارجي، وأنتج القنبلة الذرية وفي حقيقة الأمر فالإنسان لم يخلق إلا ما يسمى بالقضاء على الصحة والرفاهية واستعجاله في لقاء ربه بالموت بسبب الأمراض التي صنعها لنفسه بيديه، وهو بذلك استطاع أن يلوث الهواء وقضى بذلك على البيئة وما عليها.

والآن أصبح الإنسان يفكر جدياً في الهروب من كوكب الأرض إلى أي كوكب آخر يكون صالحاً للإقامة عليه وكأن الكرة الأرضية أصبحت نسياً، فالإنسان يغامر ويقامر للسفر بين الكواكب ويترك الهواء والنسيم العليل وكذلك زرعها ومياه أنهارها وأمطارها والأكثر من ذلك أنه نسي أن الأرض تمده بأي طاقة من الطاقات التي يعتمد عليها في معيشته.

إن النشاط الإنساني المدمر يشمل قطع أشجار الغابات لتصبح حطباً واستمراره في إطلاق ملوثات المياه وأبسط صورة من صور نشاطه المخرب والمدمر هو الاعتماد على إشعال النار في الأوراق والأخشاب والحطب لاستخدامها في التدفئة والطهي وكلها تزيد من نسبة تلوث البيئة بصور تهدد حياة البشر وبهذا يكون الإنسان قد ظلم الأرض وجار عليها واعتدى على حقوقها فلماذا لا تشتكي الأرض من ظلم الإنسان لها ولجوها ولمياهها... أما حان الوقت لحماية الغابات وسكانها المحليين... وحماية أشجارها وخاصة أشجار المناطق الاستوائية ولماذا لا نحمي البشر والأحياء الأخرى من دخان المصانع وغبار التفجيرات الذرية وعوادم السيارات وحتى لا يتلوث الجو بهذه المواد السامة التي تسمم الماء والأرض وكانت نتيجة هذا النشاط المدمر هو ازدياد اصفرار الخضرة وأكل الصحراء للأراضي الزارعية، ففي كل سنة تتراجع في الدول النامية مساحات جديدة من الغابات وتتآكل مزيد من التربة وبذلك يتعاظم تدهور البيئة ومن ثم فإن انحسار الغابات يؤدي إلى تقلص إمدادات الحطب وإلى تناقص أعداد الكائنات البرية الحية وتنوعها ويمكن أن يؤثر ذلك حتى في المناخ، ناهيك عما يحمله من أخطار تزايد الفيضانات، ومن جهة أخرى، فإن تآكل التربة يؤدي إلى ندرة الأرض الصالحة للزراعة، مما يدفع المزارعين «كسباً للقوت» إلى البحث عن أرض جديدة قابلة للإنتاج، وتختلف درجة الإساءة إلى البيئة وسوء استخدام الموارد الطبيعية من بلد إلى آخر تبعاً للعوامل الفيزيائية والاجتماعية والمؤسسية السائدة في كل منها.

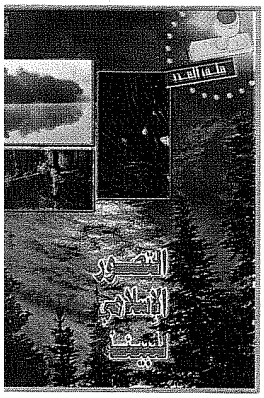

وتشير برامج الأمم المتحدة للبيئة في مطلع الثمانينيات إلى أن علاقة الإنسان بالمجال

الحيوي ستستمر في التدهور إلى أن يقوم نظام اقتصادي جديد كما تبين أن حفظ الموارد الطبيعية هو من أهم مستلزمات البيئة والتنمية.

تفيد التقارير العالمية أن أعلى معدل لإزالة الغابات كان في العالم النامي وبالتحديد في المنطقة الاستوائية من آسيا وجزر المحيط الهادي وأستراليا ونيوزيلاندا بمعدل مقداره ٩٨٪ وأن إزالة الغابات عموماً في العالم يعتبر مصدر قلق للأحياء في جميع أنحاء العالم حيث إن هذا يهدد الثروة الحراجية في البلدان النامية وعلى رأسها الحرائق والآفات والأمراض وتلوث الهواء يضاف إليها عوامل تدمير أخرى في البلدان المتقدمة للإفراط في استغلال المراعي في الأراضي القاحلة أو شبه القاحلة والتقطيع المتزايد للأخشاب كحطب وقود.

وعلى الرغم من هذا... وعلى الرغم من وجود مناطق أفريقية تمثل الموطن الطبيعي لحيوانات مهددة بالانقراض مثل «الغوريلا - الشامبانزي - الفيل الأفريقي وغيرها» في الوقت نفسه نجد أن هذه المناطق تحولت إلى ساحة عمليات لإزالة الغابات بقطع الأخشاب.

إن بعض بلدان أفريقيا حرمت إزالة الغابات بهذه الطريقة الوحشية ومثال ذلك دولة الجابون وهي إحدى دول وسط أفريقيا حيث تمثل الغابات ٨٠٪ من مساحتها كما توجد بها ٥ محميات تغطي بدورها ٨٠٪ من مساحة هذه الغابات.

إن هناك كارثة تنتظرنا سوف تقضي على الأخضر واليابس على سطح الكرة الأرضية... فهل سنقف مكتوفي الأيدي وننتظر هذا البلاء وخاصة أن الأرقام تشير إلى أن ٧٥٪ من الغابات في الساحل الغربي لأفريقيا قد دمرت والمتبقي يغطي مساحات بسيطة في الكاميرون والكونجو والجابون وغينيا الوسطى وزائير ورواندا ومن أجل هذا تركز المنظمات الدولية المهتمة بالبيئة مع علماء البيئة جهودهم الآن في محاولة لإنقاذ الغابات المدارية في وسط أفريقيا وذلك بمنع استمرار عمليات قطع الأشجار الجائر وبطريقة فظيعة للغابات.

وفي هذا المجال يجب علينا إقناع المواطن بعدم قطع أي شجرة لأن وجود هذه الشجرة هو في صالح المجموع العام، وهذا يكون بشكل حافز وعملي، كما يمكن اللجوء مثلاً إلى إلزام كل من يقوم بقطع أشجار باستبدال نباتات جديدة بها وخاصة التي لها تأثير وتغيير وتحديث للاقتصاد والدخل القومي ومثال ذلك زراعة أشجار الزيتون والتين والنخيل.

لماذا لا نزرع أشجاراً تفيدنا وتزيد من دخلنا القومي؟ ولماذا نلجأ إلى زراعة أشجار الزينة فقط، تعالوا بنا نضرب مائة عصفور بحجر واحد، فهناك أشجار مفيدة للاقتصاد والدخل القومي ولا تحتاج كثيراً إلى مياه أو أسمدة ولا حتى أرض خصبة، ولماذا لا نزرع الأشجار المثمرة التي تكون لها القدرة على مقاومة الكثير من الأمراض، والقادرة على التكيف في ظروف طبيعية متباينة تتحمل قسوة المناخ الحار وكذلك البارد أو الجفاف، تنمو في الصحراء وفي الأرض الزراعية على السواء، ولا تحتاج أيضاً إلى رعاية خاصة ومثال لذلك شجرة الزيتون يمكنها أن تنمو في سفوح الجبال الرملية والصخرية وكذلك في الوديان والسهول ومناطق البادية علاوة على ذلك، فالزيتون والنخيل والتين ليس فيهم جزء لا يستفاد منه أو ينتفع به فالأزهار والأوراق والأغصان والثمار والخشب والرماد تجد لها استعمالات كثيرة من النواحي الغذائية والطبية، ويستفاد من أوراق الزيتون في تغذية وتسمين حيوانات المزارع وذلك لاحتوائها على نسبة عالية من البروتين وكما أن لهذه الأوراق فائدة فكذلك توجد لأوراق النخيل والتين فوائد جمه، ويستعمل الخشب ونوى ثمار الزيتون في الصناعات الخشبية المختلفة والصناديق الفاخرة وفي الصناعات اليدوية الدقيقة مثل السبح وبراويز الصور وأغلفة الكتب وغيرها أما نوى الثمار فتستعمل في التدفئة حيث تطول مدة احتراقها بأقل ناتج لعوادم الاحتراق الضارة وأخيراً يستعمل الرماد في صنع الحرير الطبيعي وبقايا الزيت في صناعة الصابون.

فلماذا لا يزرع كل منا شجرة زيتون أمام منزله؟ ولماذا لا نكثر من زراعة مثل هذه الأشجار في الحدائق والمتنزهات نظراً لما تتميز به من شكل جميل ورائحة طيبة كما أنها شجرة مباركة كما ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النور آية ٣٥: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور).

بالإضافة إلى أن شجرة الزيتون شجرة اقتصادية مهمة تدعم الاقتصاد فإنها شجرة دائمة الخضرة وتزود الجو بالأكسجين على مدار فصول السنة دون توقف وتعد شجرة الزيتون من أكثر الأشجار تواضعاً حيث تنمو في كل مكان سواء كان شرقيا حاراً أو غربياً بارداً ولا تحتاج أشجار الزيتون إلى رعاية خاصة فهي إحدى معطيات الخالق عز وجل التي أنعم بها على عباده عندما فطر السموات والأرض ولقد جاء ذكر هذه الشجرة «الزيتون» في العديد من الآيات الكونية التي تحثنا على زراعتها واستعمالها في الغذاء والدواء مثل الحج والأنعام والرعد والمؤمنون والنمل وغيرها، وقد ورد قسم صريح في القرآن الكريم بشجرة الزيتون في قوله تعالى في سورة التين الآية ٣:١ (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) وفي قول آخر للمولى عز وجل في كتابه المقروء في شجرة الزيتون: (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين).

وبيَّنت البحوث أن زيت الزيتون يفيد في تجديد الشباب والحيوية ويقلل نسبة الإصابة بالسرطان وأمراض القلب، حيث أثبت باحثون ف يجامعة هارفارد الأمريكية أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي تقل في النساء اللائي يتناولن زيت الزيتون في أطعمتهن لأكثر من مرة في اليوم الواحد بنما ترتفع النسبة في النساء اللائي تقل كمية زيت الزيتون أو تنعدم في غذائهم اليومي.

كما بينت هذه الدراسة أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي في أسبانيا تقل بمقدار من ٣٠ إلى ٣٥٪ في النساء اللائي يتناولن زيت الزيتون بمقدار ملء ملعقتي شاي على الأقل يومياً.

وقد بينت دراسات أخرى أجريت في كاليفورنيا أن سكان منطقة البحر المتوسط تقل فيهم نسبة الإصابة بأمراض القلب بسبب تناولهم لزيت الزيتون بمقادير وفيرة وهذا يساعد على تقليل نسبة الكولسترول في الدم كما أنه يزيد من فاعلية فيتامين هـ

الذي يعتبر من أهم مضادات الأكسدة ضد كثير من الأمراض.

وحيثما توجد شجرة الزيتون تثبت التربة وتمنع انجرافها وتعتبر أشجار الزيتون مصدات ممتازة للرياح، كما أنها توفر الغذاء والمأوى للعديد من أنواع الطيور، وبالإضافة إلى كل ما ذكر تتصف شجرة الزيتون بجمالها وخضرتها الدائمة فتزيد من جمال المدن والقرى والجبال والوديان والبوادي وكل مكان.

وفي هذا المجال أيضاً سوف نقدم ملخصاً لمشروع مصري - ألماني لوقف التصحر بواحة سيوه المصرية، هذا المشروع يقوم بتنفيذ جهاز البيئة بالتعاون مع المؤسسة الألمانية للتعاون الإنمائي وتفيد الأخبار الواردة من واحة سيوه المصرية بأن فريق الخبراء الزراعيين قد نجحوا في تجربة زراعة الكثبان الرملية هناك وكذلك تمكنوا من علاج مشكلتي ارتفاع منسوب المياه بالأراضي الزراعية ومصارف الري، وكذلك زيادة ملوحة التربة.

وكان أول عمل قام به الخبراء هو تثبيت الكثبان الرملية الخطيرة وكبح جماحها باتباع عدد من الطرق الميكانيكية والبيولوجية والكيماوية وذلك باستخدام مخلفات النباتات والبرتامين وشباك السلك وشرائح البلاستيك وأسوار البوص والجريد التي تقام على هيئة مربعات شطرنجية ثم مد شبكة الري بالتنقيط التي تبدأ بمضخة ترفع مياه الصرف خلال أنبوب كبير إلى أعلى الكثيب الرملي ثم تتدرج إلى أنابيب أقل قطراً حتى تصل إلى مخارج المياه الرفيعة المجاورة لكل نبات.

وسوف يقوم الخبراء الزراعيون برزاعة مجموعة من النباتات الصحراوية النشيطة غير المنتجة وتصلح فقط كغذاء للحيوان مثل الصبار والأكسيا وغيرها من النباتات التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الأملاح المعدنية ثم يتم استبدالها تدريجياً بمجموعة أخرى من شتلات النباتات الزراعية المنتجة مثل الزيتون والتين ونخيل البلح والرمان ويؤكد الخبراء نجاح هذا المشروع من جميع الوجوه خاصة علاج مشكلة ارتفاع منسوب المياه الأرضية بكل من الأرض الزراعية والمصارف حيث يتم رفع مياه المصارف لاستخدامها في ري المحاصيل الزراعية بطريقة تحقق الاستفادة من كل قطرة ماء فيها باستخدام الري بالتنقيط وبالتالي ينخفض منسوب المياه في المصارف وتسمح باستقبال مياه الري من الأراضي الزراعية الموجودة حولها هذه الطريقة كما يقول الخبراء مفيدة ومجدية ولكن السؤال المطروح هل قام الخبراء بتحليل مياه الصرف هذه؟ وهل عرفوا نسبة توافر العناصر الثقيلة بها؟ وهل تأكدوا بأن هذه النسب لا تزيد عن الحد الأقصى المسموح به دولياً في المياه ليست فقط المياه التي نشربها بل أيضاً في المياه التي تروى النباتات حتى لا تنتقل إلى الحيوان الذي يأكل النبات ثم ينتقل إلى الإنسان.

وعموماً فالمشروع المصري الألماني سوف يكون في مقدرته إضافة مساحات زراعية جديدة يمكن الاستفادة بها في المستقبل علاوة على تثبيت الكثبان الرملية وانتشار الزراعة فوقها بالنهج السابق بنحو مليون فدان. وهناك ثورة زراعية اجتاحت آسيا وأمريكا اللاتينية منذ مطلع الستينات، وغطت أكثر من نصف الأراضي تقريباً في هذه المناطق، وقد حققت الثورة الزراعية المسماة «بالثورة الخضراء» نتائج مرضية بفضل استعمال بذور وسمادات محسنة ومطورة بالإضافة إلى تحسين وسائل الإنتاج للمواد الزراعية غير التقليدية.

وهناك بعض الدول التي تقوم ببناء السدود العالية ومثالها السد العالي بمصر فعلى الرغم من قيام هذه السدود الكبيرة بأدوار اقتصادية مهمة في مجال إدارة الموارد الطبيعية، حيث إنها توفر الطاقة وكذلك ماء الري علاوة على ذلك فهي تضبط الفيضانات وتؤدي إلى تحسين عملية صيد الأسماك، ولكن للسدود مخاطرها فالمستودعات الخاصة بها تغطي مساحاتواسعة من المناطق الزراعية والغابات، وهذه بالطبع لها آثار سلبية على البيئة علاوة على تسببها لخسارات لا يمكن التقليل من شأنها ومن جهة ثانية فإن تفتت التربة كثيراً ما يقضي على السد قبل أوانه، مما يزيد من تلوث البيئة وإضعاف فاعليته وتخفيض عائداته الاقتصادية ولكن تحسين سياسات السدود كفيل بالتغلب على العديد من هذه الصعوبات.

وتهتم مصر بهذه القضية القومية المهمة «التلوث» وذلك بالإسراع في تركيب المرشحات للمصانع وخاصة التي تنتج الاسمنت وتلزم المنشآت الصناعية بالالتزام بتنقية مخلفاتها حتى لا تضر بالبيئة، ومصر أيضاً تكثف جهودها في مجال تطهير الترع والمصارف من البلهارسيا وكل مظاهر التلوث من مخلفات آدمية وصناعية وتعمل أيضاً على تنظيم الاستفادة العملية من الأبحاث العلمية، في مجال حماية البيئة وسوف تقوم باستخدام المخلفات الحيوانية والزراعية في إنتاج الغاز الحيوي والسماد للقضاء على الآفات الزراعية الكامنة وخاصة دودة القطن.

العالم الآن يمر بأزمة تلوث الهواء والماء والغذاء بخلاف أن هناك نتائج أخرى للأنشطة المدمرة للبيئة مثل ارتفاع درجة الحرارة ووجود تمزق في ثوب الأرض الأوزوني وارتفاع منسوب المياه في المحيطات والبحار وزيادة شدة الفيضانات التي قد تغطي السواحل، من أجل هذا كله بدأت المجتمعات المتحضرة في معاملاتها لقضايا البيئة وبدأت بالفعل في العمل على الحفاظ على البيئة والبعد عما يصيبها من أضرار قد يستحيل علينا في المستقبل محو آثارها.

إذا كانت هذه الدول بالفعل جادة في الحفاظ على البيئة فيجب ألا يقتصر عملها على بحث الوسائل الكفيلة بجعل البيئة نظيفة، بل سوف يمتد عملها ليشمل كل المشكلات التي تؤثر عليها سلباً مثل النفايات الصناعية والغازات السامة وتلوث الهواء والماء والغذاء وأكثر من ذلك يجب عمل أسلوب يحدد طريقة التعامل مع البيئة لمنع تدهورها وحمايتها لصالح البشر مع استمرار التنمية ويتم ذلك بعمل حماية لكل مقومات الحياة مثل حماية الهواء والماء والغذاء والتربة وخلافه من التلوث ومعالجة مياه صرف المصانع وما يخرج من المداخن. ■

إعداد : تمام أحمد

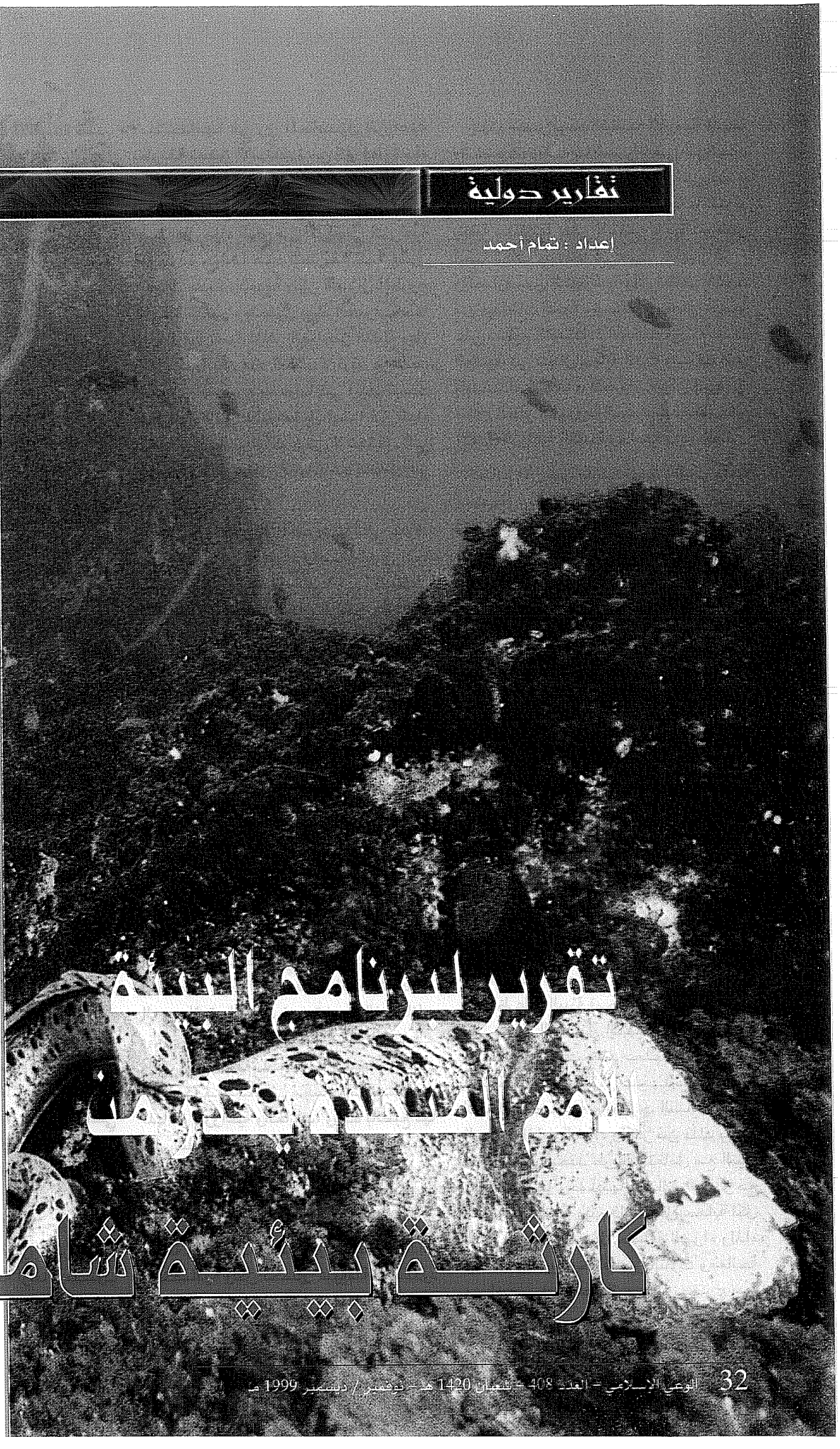

تقرير لبرنامج البيئة للأمم المتحدة يتوقع

كارثة بيئية شاملة

حذرت الأمم المتحدة من مخاطر أكيدة على مستقبل الجنس البشري في العقود المقبلة الأولى من القرن الواحد والعشرين نتيجة شح موارد المياه، وتغير مناخ الأرض بسبب ظاهرة الاحتباس الحراري في الأرض، وتلوث المياه بمشتقات النتروجين المتخلفة عن الأسمدة الكيمياوية.

وقال «كلاوس توبفر» المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة في مؤتمر صحافي عقد في لندن لمناسبة إصدار تقرير «نظرة مستقبلية على البيئة العالمية للعام ٢٠٠٠ وما بعد» أن سلسلة من الأزمات المقبلة والكوارث المحتومة «لا يمكن درؤها إلا بإرادة سياسية فاعلة وفيما يمتلك العالم التكنولوجيا اللازمة لحل الأزمات فإنها لا توظف» بالقدر المطلوب، وأضاف «توبفر» أنه يمكن عكس هذه العملية، إلا أن ذلك يتطلب خفض الاستهلاك في الدول الغنية بنسبة ٩٠ في المئة، ولا يعني ذلك خفض مستوى معيشة سكان هذه الدول، بل تطبيق منجزات العلوم، خصوصاً في ميدان إعادة تدوير المواد والمنتجات.

وأكد تقرير الأمم المتحدة أن «العالم المتقدم يمتلك التكنولوجيا اللازمة لإجراء تغييرات جذرية تهدف إلى إنقاذ ملايين الناس من الجوع والعطش والمرض. إلا أنه لا توجد محفّزات لتوظيف هذه المنجزات بسبب تهاون السياسيين في إجبار الشركات المنتجة لدعم هذه التوجهات، وأشار إلى أن الأهداف التي وضعت وفقاً لاتفاق كيوتا، لخفض صخ غاز ثاني أوكسيد الكربون نحو أجواء الأرض بنسبة ٥ في المئة بحلول العام ٢٠١٠، لن تتحقق. كما أن الجهود التي تُبذل للحد من ظاهرة تسخين الأرض لا تتناسب مع متطلبات الخفض بنسبة ٦٠ في المئة.

وذكر تقرير الأمم المتحدة أن ١٥ مليون طفل أعمارهم تقل عن ٥ أعوام في مختلف بقاع العالم، يهلكون سنوياً بعد إصابتهم بأمراض نتيجة لعدم توافر مياه شرب نقية، وستوفر عمليات توظيف التكنولوجيا اللازمة، وحسن الإدارة، إمكانات أفضل للتقليل من هذه الإصابات، وحذر التقرير من خطر الزيادة السكانية في العالم، حيث يصل عدد سكان إفريقيا اليوم إلى نحو عدد سكان أوروبا، فيما لم يبلغ عددهم العام ١٩٥٠م سوى النصف ، وبحلول العام ٢٠٥٠م سيزداد عددهم ثلاث مرات عن عدد سكان أوروبا.

العالم المتقدم يمتلك التكولوجيا اللازمة لإجراء تغييرات جذرية تهدف إلى إنقاذ ملايين الناس من الجوع والعطش والمرض

وأشار التقرير إلى مخاطر جديدة تهدد المياه نتنتج عن تسرب النتروجين من مياه التصريف غير المعالجة في المدن الجديدة، وبخاصة من الأسمدة الكيمياوية المستخدمة على نطاق واسع لزيادة إنتاج المحاصيل الزراعية، فقد ازداد انتشار الطحالب في الساحل الإيطالي، وهلكت الأسماك في البحر الأسود بسبب تسرب هذه المواد. وقال التقرير إن الكثير من الآراء تزعم أن الوقت لا يزال متوافراً لاجتناب الكارثة البيئية، إلا أنه أكد أن الوقت قد فات لحل بعض المشكلات، فهنا وهناك تظهر حالات استثنائية خطيرة في مختلف مواقع العالم، حيث يعرقل شح المياه تطور الدول النامية، فيما يؤدي تدهور التربة إلى تقليل خصوبتها ما يهدد مستقبل الزراعة، كما أن تدمير الغابات المطرية الاستوائية يُحدُّ بلا رجعة.

وقال «توبفر» إن الكثير من الأنواع الحية على الأرض اختفت أو في طريقها إلى الزوال، ويهدد خطر الفناء ربع اللبائن على الكرة الأرضية، وفي البحار استغلت الثروة السمكية بشكل فظ، وتتهدد الأخطار الشعاب المرجانية، أما تلوث الأجواء داخل المدن الكبرى فقد وصل إلى مستويات الأزمة.

- تتسع رقعة المناطق الصحراوية الشاسعة والأراضي الجافة في العالم العربي، ويتوقع أن يزداد مناخه جفافاً، وقد وصلت موارد المياه إلى مستويات حرجة، حيث يزداد الاستهلاك عن حجم المياه الواردة، كما تزداد أعداد السكان بوتائر أسرع من ازدياد الموارد المائية. ويؤدي ازدياد الملوحة والمواد القلوية إلى تهديد خصوبة التربة، كما أن التلوث يعتبر مشكلة خطيرة، حيث تتلوث مياه الخليج بـ١,٢ مليون غالون من النفط سنوياً.

- أفريقيا هي القارة الوحيدة في العالم التي يتوقع أن يزداد الفقر فيها في القرن المقبل، وستعاني ٢٥ دولة أفريقية من شح المياه بحلول العام ٢٠٢٥م، ويعاني ٢٠٠ مليون أفريقي من سوء التغذية، وتبدو مظاهر اقتلاع الغابات والتصحر وتدهور التربة في مختلف بقاع القارة، فيما تتوسع المدن بسرعة كبيرة لا تسمح للحكومات بتهيئة الخدمات الضرورية لسكانها، ما يقود إلى مشكلات صحية.

- يعتمد سكان آسيا والمحيط الهادئ الذين يشكلون ٦٠ في المئة من سكان العالم، على ٣٠ في المئة من أراضيه ويبدو أن النمو الاقتصادي والطلب على الطاقة سيقودان إلى تخريب البيئة. ولا يحصل واحد من كل ثلاثة أفراد من سكان المنطقة على مياه صالحة للشرب، وتؤدي عمليات توسع المدن إلى نشوء مدن عملاقة مثل طوكيو ودلهي وجاكارتا وهناك تأثير ملموس على الوسط المحيط حيث تشكل حرائق الغابات مشكلة كبرى، وقد فقدت أندونيسيا مليون هكتار من غاباتها العام ١٩٩٧م، كما تدهورت الثروة السمكية بسبب سوء الاستغلال والتلوث. ■

بقلم: حسين عبدالفتاح أحمد

الإسلام وحماية البيئة الحيوانية

في منظور الإسلام، لكل كائن حي دور في البيئة المحيطة به، وعلى الإنسان ألا يعرقل هذا الكائن عن أداء دوره سواء عن طريق القتل لغير مصلحة نفعية له، أو عن طريق حرمانه من البيئة التي يعيش فيها. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن للناس في الحيوان منافع، فقال تعالى: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) النحل:٥. وقد أكدت السنة النبوية على الرفق بالحيوان وعدم التعرض له بالقتل أو الإيذاء أو التعذيب، وذلك من خلال الأحاديث التالية:

- عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»(١).

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا إليها ولدها» ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن يا رسول الله: قال: «لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»(٢). - وعن عمرو بن الشريد قال، سمعت الشريد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله - عز وجل - يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة»(٣).

- وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ الحيوانات هدفاً لعبث أو تخريب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»(٤). أي هدفاً تصوبون إليه سهامكم.

ويحكي لنا التاريخ أن حمامة نزلت وعششت بفسطاط «خيمة» عمرو بن العاص إبان الفتح الإسلامي لمصر، فلما أراد الانصراف لم يهجها بتقويض الفسطاط، بل تركه من أجلها، فكان ذلك سبباً في تكاثر العمران حوله وقيام مدينة كبيرة عُرفت بهذا الاسم وهي مدينة الفسطاط.(٥) وقد أثبتت التجارب الكثيرة أن تدخل الإنسان في الطبيعة والإخلال بالنظم البيئية قد أدى إلى تخلخل النظام البيئي في كثير من بقاع الأرض، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: في العام ١٨٨٦م اشتكى فلاحو إحدى الولايات الأميركية من فتك الطيور الجارحة بصغار الدجاج، فأصدرت الحكومة قانوناً يقضي بقتل واصطياد هذه الطيور، حتى قضي على نحو ١٢٥ ألف طائر من هذه الطيور خلال ١٨ شهراً، وكانت المفاجأة التي أعقبت حملة الصيد الجائر هذه ظهور مشكلة أخرى أعقد من السابقة، تمثلت في ازدياد عدد الفئران والجرذان زيادة مخيفة إلى الحد الذي أحدث من خلاله أضراراً بالغة بالمحاصيل الزراعية، يفوق قيمة الدجاج الذي تمت المحافظة عليه أضعافاً مضاعفة، ذلك لأن الصقور والبوم لم تكن تغذيتها مقصورة على الدجاج، وإنما كانت تتغذى على تلك الحيوانات أيضاً.(٦)

وهذا المثال - وكثير غيره - ليس إلا تأكيد لما جاء في القرآن الكريم حينما قال المولى - عزّ =وجل - (إنا كل شيء خلقناه بقدر). القمر:٤٩ وقد دعا الإسلام كذلك حفاظاً على البيئة الحيوانية إلى إقامة المحميات الطبيعية، عندما جعل مكة والمدينة حرمان آمنان ووضع التشريع الملائم للحفاظ على الحياة البرية في هاتين المحميتين، فقد حرم الله - سبحانه وتعالى - الصيد على الحجاج في الأراضي المقدسة، فقال سبحانه وتعالى: (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً...) المائدة:٩٦.

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمن عرفها».(٧) ومن ثمَّ، فإن مكة والمدينة - شرَّفهما الله - تعدان أول محميتين طبيعتين في العالم. أما العالم المعاصر فلم يعرف نظام المحميات الطبيعية إلا في القرن التاسع عشر، إذ إنه في العام ١٨٦٤م أعلنت حكومة واشنطن وادي «يوسميتي» محمية طبيعية.(٨) والجدير بالذكر هنا أن رسول الله ﷺ قد حمى النقيع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصعب بن جثامة قال: «بلغنا أن النبي ﷺ حمى النقيع وأن عمر حمى الشرف والربذة».(٩) ■

الهوامش:

١ - أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٢) ومسلم برقم (٢٢٤٢)، خشاش الأرض: حشرات الأرض.

٢ - أخرجه أبو داود برقم (٥٢٦٨). الحمرة: طائر صغير. تعرش: أي ترفرف بجناحيها.

٣ - أخرجه النسائي (٢٣٩/٧) عج: أي رفع صوته بالشكوى.

٤ - أخرجه مسلم برقم (١٩٥٧).

٥ - د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني، الدار المدينة، والشرف والربذة: موضحان بين مكة والمدينة.

٦ - المرجع السابق، ص٥٥.

٧ - أخرجه البخاري برقم (١٥٨٧) ومسلم برقم (١٣٥٣).

٨ - عبدالعظيم أحمد عبدالعظيم، الإسلام والبيئة، ومؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٩٩م ص٦٣.

٩ - أخرجه البخاري برقم (٢٣٧٠) والنقيع: مكان على بعد ٢٠ فرسخاً من المدينة، والشرف والربذة: موضعان بين مكة والمدينة.

بقلم: عبدالعظيم السيد الطنطاوي

ليلة النصف من شعبان وتحويل القبلة

بين تشكيك اليهود واستقلالية التوجه الإسلامي وتميزه

يتميز شهر شعبان في ذلك الحدث التاريخي الذي كان له أبعد الأثر في تاريخ المجد الإسلامي، فتحويل القبلة، عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة كان في ليلة مباركة هي ليلة النصف من شعبان، التي خصها الله تعالى بالكثير من الخيرات والرحمات.

وقد فرضت الصلاة على المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج، ويذهب بعض العلماء إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يستقبل في صلاته وهو في مكة بيت المقدس قبل أن تُفرض الصلوات الخمس، وبعد أن فرضت، لم يكن يستدبر الكعبة، بل كان عليه الصلاة والسلام يجعلها بينها وبين بيت المقدس، وذلك بأن يقف بين الركنين الأسود واليماني.

ويذهب البعض الآخر إلى أنه كان يستقبل في صلاته وهو في مكة المسجد الحرام، لأن المسجد هو قبلة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولأنه صلى الله عليه وسلم عربي وأرسل بين قومه من العرب، واعتزازهم بالمسجد الحرام أشد من اعتزازهم بأي مسجد آخر، وعلى ذلك فالمصلحة والحكمة تقتضيان بأن يستقبل المسلمون وهم بمكة المسجد الحرام.(١)

الصلاة إلى بيت المقدس يكشف سوء نوايا اليهود وفساد ضمائرهم

لما هاجر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، لم يكن الجمع ممكناً بين الكعبة المشرفة وبيت المقدس، بل لابد من استدبار إحدى القبلتين، وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرّمة والكعبة الشريفة تحيط بها الأوثان، ولم يكن ثمّة ما يؤذن من الأمور بزوالها، فكان استقبالها لا يخلو من استقبال الأوثان المحيطة بها، والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على أن تكون الكعبة الشريفة هي القبلة، وحريصاً على أن تزول الأصنام عنها.(٢)

ومهما يكن من أمر، فإن ما لا شك فيه، أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد الهجرة لم يكن يستقبل في صلاته غير بيت المقدس، وذلك بأمر من الله عز وجل، وقد جاء في ذلك أحاديث نبوية شريفة صحيحة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه - صلى الله عليه وسلم - صلى أول صلاة صلاها كانت العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت»(٣).

لقد كان في استقبال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - في صلاته بيت المقدس بعد هجرته إلى المدينة بعض التأليف لقلوب اليهود، لأنه رمز وحدتهم وقبلتهم، وكان - عليه الصلاة والسلام - يرجو أن يستجيبوا لدعوته، وأن يسارعوا في الدخول في الإسلام، والانضواء تحت رايته، ولكنه كان كلما أمعن في القرب منهم ازدادوا منه بعداً، وكلما أراد أن يتودد إليهم جددوا له بغضاً وكرهاً، وهم بسوء صنيعهم هذا قد بدّلوا نعمة الله كفراً، وأخذتهم العزة بالإثم وأصروا على الضلال والعناد، وأحلوا بالمسلمين أذاهم، وأعرضوا عن هداهم، وعارضوهم في مسعاهم، ولا غرابة في أن يحصل كل هذا وأكثر منه من اليهود، وقد أخبرنا الله تعالى بخبث طباعهم، وسوء نياتهم، وتغلغل العداوة والبغضاء في صدورهم، قال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) المائدة:٨٢.(٤)

وظل اليهود في طغيانهم يعمهون، وأخذوا يشيعون بين الناس أن محمداً قد اتجه إلى قبلتهم وعما قريب سيتبع ملّتهم ودينهم، وأن في اتجاه المسلمين إلى قبلتهم نوعاً من اقتباس الهدى منهم.

وقد كشفت آيات القرآن الكريم سوء نية اليهود والمنافقين: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) البقرة:١٤٢.

تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى البيت الحرام

لقد تأثر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من مواقف اليهود الدنيئة وافتراءاتهم عليه وعلى المسلمين، وحينئذ انبثقت في نفسه أمنية التحوّل إلى الكعبة الشريفة في صلاته، أخذ يدعو ويبتهل إلى الله عز وجل كي يوجهه إلى البيت الحرام.

واشتد تشوّق الرسول عليه الصلاة والسلام إلى نزول الوحي يأمره بالتوجه إلى بيت الله الحرام، وكان يتوقع أن يستجيب الله رجاءه ودعاءه، لأن الكعبة أقدم القبلتين، وهي قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام،

وقد أجاب الله تعالى رجاءه وولاه القبلة التي يرضاها، ونزل قوله عز وجل: (قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) البقرة:١٤٤.

وقد استقبل المشركون ومن على شاكلتهم ممن في قلوبهم مرض هذا التحويل بالجحود والإنكار والاستهزاء، وبلبلة الأفكار وإثارة الشبهات وتشكيك المسلمين في عقيدتهم، فكان مما قالوه: إن محمداً قد تحيَّر في دينه، ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا.

وقالت اليهود: «إن القبلة - وهي بيت المقدس - إن كانت على حق فقد تركتم أيها المسلمون الحق، وإن كانت باطلاً، فعبادتكم السابقة باطلة، ولو كان محمد نبياً حقاً ما ترك قبلة الأنبياء، وتحوَّل إلى غيرها، وما فعل شيئاً اليوم وخالفه غداً» وحاولوا فتنته مرة أخرى بقولهم: «إنهم يتبعونه إذا هو رجع إلى قبلته»(٥).

ولكن المولى تبارك وتعالى حسم الأمر وفضح نواياهم السيئة في كتابه العزيز: (سيقول السفهاء من الناس ما ولا هم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) البقرة: ١٤٢، ١٤٣.

ولم يكن مقصد اليهود وهدفهم الأول من وراء ذلك الكلام وهذا التشكيك سوى الطعن في شريعة الإسلام، ونبوة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.(٦)

وقد كان هذا التحويل امتحاناً صادقاً ميّز الله به الخبيث من الطيب، فأما المؤمنون فقد صدقوا ولم يرتابوا، والعرب قد رأوا في القبلة الجديدة إحياء لمجدهم ودعماً لمكانتهم.

ولما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتوجه إلى البيت العتيق، خطب الناس فأعلمهم بذلك وكانت أول صلاة صلاها إلى الكعبة هي العصر، كما جاء في الصحيحين من رواية البراء، ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى إنها الظهر، وقال: كنت أنا وصاحبي أول من صلى إلى الكعبة، وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة، فسمي مسجد القبلتين.

وفي حديث ثويلة بنت مسلم، أنهم جاءهم الخبر بذلك، وهم في صلاة الظهر، قالت فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال «ذكره الشيخ أبو عمر بن عبدالبر»، وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلا في صلاة الفجر، من اليوم التالي، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله قد أُنزل إليه الليلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»، وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله وإبلاغه، لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء. والله أعلم.(٧)

ومن الجدير ذكره أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما قصد ذلك وأحبه عن سخط في التولي إلى بيت المقدس، ومجرد هوى في النفس وشهوة في التولي إلى الكعبة المشرّفة، ولكن ذلك كان لمقاصد دينية وأغراض سامية وافقت مشيئة المولى عز وجل، ولذلك فإن وعد الله جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم - ترتب عليه الإنجاز السريع والتنفيذ العاجل، حيث قال عز وجل: (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام)، ثم عمم هذا التشريع على الأمة الإسلامية جميعها، فقال جلَّت حكمته: (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)، أي وحيث ما كنتم في بر أو في بحر فولوا وجوهكم جهة المسجد الحرام ونحوه.

وقد جاءت هذه الجملة موجهة إلى الأمة الإسلامية جميعها لدفع توهم أن يكون الخطاب في الجملة السابقة خاصاً بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ولأنه لما كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام أمراً على جانب كبير من الخطورة خصهم بخطاب مفرد ليكون ذلك أبلغ وآكد، فالآية الكريمة فيها أمر لكل من يتخذ من الإسلام ديناً أن يجعل قبلته الكعبة المشرّفة، فيتجه نحوها بصدره وقت قيامه بتأدية الصلاة سواء أكان بالمدينة المنورة أم في مكة المكرمة أم في أي مكان من العالم.(٨)

الحكمة من تأكيد وتكرار الأمر بالتولية نحو الكعبة

ورب سائل يقول: لماذا تكرر الأمر باستقبال الكعبة؟ ونقول أولا :ذلك لحكمة بالغة اقتضتها العناية الإلهية، فهذا أول نسخ ورد بإزالة حكم بحكم آخر متأخر عنه، وفقد نسخ الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس بالأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام، فاقتضى ذلك التوقيت حتى لا تكون هناك فتنة أو تردد إلا عند الذين ظلموا، وثانيا: لأن كل آية من هذه الآيات لم تخل من فائدة مع الآية الأولى، قرن الله الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله: (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) البقرة:١٤٤. وفي الآية الثانية، قرن الله تعالى الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله مبيناً الحكمة من ذلك: (لئلا يكون للناس عليكم حجة) البقرة:١٥٠.

ويرى بعض المفسرين أن التكرار جاء لفائدة عظمى، فالآية الأولى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) البقرة:١٤٤ خطاب لمن في المسجد، والآية الثانية: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) البقرة:١٤٩ خطاب لأهل الحرم، والآية الثالثة: (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة١٥٠، خطاب لمن هم خارج الحرم في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هنا فقد أفاد التكرار فوائد جمة.(٩)

ونأخذ من الآية الحكمة من تحويل القبلة كما نصت على ذلك:

فالحكمة الأولى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) البقرة: ١٥٠ فهذا قطع لمعاذير المبطلين، لقد علموا أن الحق في ما أمر الله به ورسوله وظهر واتضح لهم ذلك. (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) التوبة:٤٨، فهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.

الحكمة الثانية: قوله تعالى: (فلا تخشوهم واخشوني) البقرة: ١٥٠ إنكم يا أمة محمد على حق وهم على الباطل، وصاحب الحق لا يخشى إلا الله سبحانه، فالحق أبلج والباطل زهوق، فلا تخافوا مطاعنهم، بل اجعلوا خوفكم مني وحدي، ولا تخافوا اليهود ومن على شاكلتهم من المناوئين للإسلام والمسلمين من المشركين والوثنيين والمنافقين.

الحكمة الثالثة: قوله تعالى: (ولأتم نعمتي عليكم) البقرة: ١٥٠، ومن

تمام النعمة أنه تعالى قد عرَّفكم كيف تتجهون في صلاتكم حتى توحدوا صفوفكم وتكونوا على قلب رجل واحد، فالكل يتجهون في صلواتهم إلى الكعبة مهما بعدت مواقعهم، ولتكون قبلتكم مستقلة عن قبلة اليهود وغيرهم، والجملة معطوفة على قوله تعالى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة).

الحكمة الرابعة: قوله تعالى: (ولعلكم تهتدون) وكلمة «لعل» هنا يُراد بها «اللام» الدالة على الغاية أي «ولتهتدوا»، لأن الترجي يفيد توقع حصول الأمر المحبوب، والتوقع يفيد الجهل بالمستقبل، والجهل على الله محال، ونعمة الهداية من أجل النعم (من يهد الله فهو المهتد) الإسراء:٩٧.

ويكون المعنى على هذا: «لتهتدوا بسبب إرسالنا فيكم رسولاً منكم، وتلك نعمة كبرى جعلها الله منَّة منه على المؤمنين، فهو الرسول المعظَّم والقدوة المقدم، قال تعالى: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران:١٦٤.(١٠)

وعلى هذا، تكون جميع الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة قد ثبتت المؤمنين وأبطلت كل شبهة أوردها اليهود وغيرهم ممن هم على شاكلتهم في هذه المسألة.

تحويل القبلة سمة من سمات التميز الإسلامي

وقد وضح هذا التميز الإسلامي في أكثر من جانب، وكان ذلك كله بأمر من الله تعالى، واستجابة لرغبة نبيه الكريم في الاستقلال والانفصال وصولاً إلى التميز المطلوب، ومن هذه الجوانب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وكان لهذا الحدث دوي كبير في المجتمع المسلم والمجتمع اليهودي على السواء فقد أنهى كل نقاط الالتقاء بين الفريقين، وتمت المفاصلة بين المسلمين واليهود، وأصبح للمسلمين قبلتهم الخاصة بهم جهة الكعبة المشرفة، مما حرَّك الحقد والكيد الدفين في قلوب اليهود.

وكان هذا إيذاناً باحتدام المعركة مع قريش، فالمسجد الحرام قبلة المسلمين تحت سيطرة قريش، والوثنية ضاربة أطنابها فيه، ولا بدَّ من تحريره، وهكذا اتجهت أنظار المسلمين ثانية إليه، وبنظرة جديدة تحمل كل معاني الإصرار على العودة إليه، وتخليصه من براثن الوثنية.

ولم ينته الأمر في شعبان شهر التميز عند هذا الحد، فلقد جاء إضافة إلى التميز في قبلة الصلاة التميز في الصيام، فكأن الأمر بصيام شهر رمضان بعد أن كان الصيام قاصراً على صوم يوم عاشوراء الذي كان يصومه اليهود أيضاً.

فلقد فرض صوم رمضان في السنة الثانية للهجرة هو شهر الصيام للمسلمين، وإن كان أصل الصيام قائماً بين المؤمنين، كما وأن أصل الصلاة قائم ومشترك بين المؤمنين، لكن تميز القبلة يعني انفصالاً في الشعائر، وتحديداً للهوية الإسلامية: (ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض)البقرة:١٤٥.(١١)

فجدير بنا معشر المسلمين أن نأخذ من تحويل القبلة العزم على أن يكون للأمة الإسلامية استقلالها في كل شأن من شؤون حياتها فلا تمشي في فلك غيرها ولا تتبع جهة غير الجهة التي أرادها الله لها، وقد أراد الله تعالى لنا أن نكون رؤوساً، فلا ينبغي أن نكون أذناباً، وأراد لنا أن نكون قادة فلا يصح أن نضع أنفسنا موضع المنقادين المتساقين.(١٢)

ونحن المسلمين عديدنا أكثر من ألف وخمسمئة مليون مسلم، توجد لنا قبلة واحدة، لذا يجب أن يوجد بيننا هدف واحد، وغاية واحدة، ويجب علينا أن نهب لإنقاذ المسجد الأقصى من براثن اليهود لأنه أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ولم يجعله الله تعالى أولى القبلتين لمجرد الصدفة، بل ليشد إليه القلوب، ويوجه نحوه الأبصار، ويحمِّل المسلمين مسؤولية تحريره والحفاظ عليه إلى أن تقوم الساعة، كما أن الله عز وجل قد خصَّ المسجد الأقصى بمعجزة الإسراء، وجعله نافذة الأرض إلى السماء، عندما جعل المعراج من حرمه، ومن فوق صخرته.

وبعد... فالواجب الديني يحتم على المسلمين أن يعملوا على إنقاذ القدس وتحرير المسجد الأقصى من براثن الصهيونية وأرجاس اليهود، لكي نمحو من أذهاننا ما تخيلوه من أن قبلتنا الثانية سوف تنسينا قبلتنا الأولى، أو سنتحول عنها، ولا نسعى إلى تخليصها، حتى يعود الأقصى الشريف ومدينة القدس إلى أحضان المسلمين من جديد.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى تلك الروح القوية التي كان عليها المسلمون أيام المعتصم بالله العباسي وصلاح الدين الأيوبي لمواجهة أعداء المسلمين والبشرية جمعاء، لكي نخلص مقدساتنا من براثنهم ومكرهم... «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» عزَّ وجلَّ. ■

الهوامش:

١ - محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي - شعبان وتحويل القبلة، مجلة منار الإسلام، شعبان ١٣٩٩هـ «بتصرف».

٢ - محمد أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ص٦١٠.

٣ - عبدالحميد كشك، في رحاب التفسير، ج٢، ص ٢٦٥.

٤ - إبراهيم سليمان عيسى، ليلة النصف من شعبان يوجي فضلها بتحرير القدس، منبر الإسلام ع٨ «بتصرف».

٥ - محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي، مصدر سبق ذكره «بتصرف».

٦ - المصدر السابق.

٧ - الشيخ إبراهيم الدسوقي، شعبان شهر الحصاد والإعداد، منبر الإسلام ع٨ «بتصرف».

٨ - محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي مصدر سبق ذكره «بتصرف».

٩ - عبدالحميد كشك مصدر سبق ذكره ص ٢٧٤.

١٠ - المصدر السابق ص ٢٧٥.

١١ - منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٢٣٣-٢٣٦ «بتصرف يسير».

١٢ - عبدالمنصف محمود عبدالفتاح، إشراقات نورانية من السنة النبوية، ج١، ص ٢١٩:٢٢٠ بتصرف.

إعداد الدكتور: عبدالفتاح محمد العيسوي

أهداف القصة في القرآن الكريم

من المعروف أن القصة بمعناها العام وسيلة للتعبير عن الحياة أو عن قطاع معين من الحياة يتناول حادثاً أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي وينبغي أن يكون لها بداية ونهاية فضلاً عن احتوائها على عناصر رئيسة كالموضوع والشخصيات والحوار وذلك من الناحية الفنية، والقصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الحال في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي تهدف إلى أغراض دينية ذلك أن القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

ولقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأهداف الدينية، ولكن هذا الخضوع الكامل للهدف الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية ولا سيما التصوير في التعبير.

أنواع القصص في القرآن الكريم:

هناك ثلاثة أنواع من القصص في القرآن هي:

أولاً: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

ثانياً: قصص قرآني يتعلق بحوادث عابرة مثل قصة طالوت وجالوت، وأهل الكهف، ومريم وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وغيرهم.

ثالثاً: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر، وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة والهجرة والإسراء ونحو ذلك.

الأهداف الدينية:

تستهدف القصة القرآنية تحقيق أهداف دينية بحتة فتناولت عدداً كبيراً من هذه الأهداف يصعب استقصاؤه لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأهداف القرآنية وأهمها وضوحاً ما يلي:

١ ـ إثبات الوحي والرسالة وبيان أن الدين كله من عند الله تعالى منذ عهد نوح إلى عهد محمدﷺ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله الواحد رب السموات والأرض، ففي سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالة، فقد ورد في السورة قصص الأنبياء فذكرت طرفاً من قصة موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل وذا النون وزكريا ومريم، ثم جاء عقب ذكرهم جميعاً هذه الآية الكريمة (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢، وذلك هو الهدف الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وغير ذلك من الأهداف الأخرى التي تأتي عرضها في ثناياه.

٢ ـ بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وأن استقبال قومهم متشابه وأن الدين من عند الله إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد قال جلّ ذكره: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين. ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) إلى آخر الآيات هود:٢٥ـ٤٩، (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) إلى آخر الآيات: هود:٥٠ إلى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...) هود:٦١. ومن الواضح في هذه الآيات الكريمة أن دعوة الرسل واحدة واستجابة قومهم تكاد تكون واحدة، وأن قصة كل نبي تتشابه مع الأخرى في الدعوة وسبل الجهاد والبداية والنهاية.

٣ ـ بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين وفي ذلك تثبيت لقلب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب أمته وبث الثقة فيهم بنصر الحق وخذلان الباطل وأهله، لقد نصر الله تعالى نوحاً وأغرق قومه، وأنقذ إبراهيم من النار ونجّاه من كيد المكذبين، وأنقذ لوطاً وأهلك قومه. قال جل ذكره (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) العنكبوت:٣٩ـ٤٠، هكذا يصف قصص الأنبياء نهاية المكذبين وما ذاقوه من ألوان العذاب وفي الوقت نفسه فيه موعظة وذكرى للمؤمنين قال تعالى: (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين. وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون) هود:١٢٠ـ١٢١.

٤ ـ تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وغيرهم فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء توضح النعمة في مواقف كثيرة.

٥ ـ بيان قدرة الله تعالى بالخوارق مثل قصة خلق آدم، وقصة مولد عيسى لأن مولدهما دليل القدرة الكاملة لله، قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران:٥٩، كما عرض القرآن قصة موسى من مولده وحتى نجاته من القتل وقصة إسماعيل حيث ولد لإبراهيم على الكبر، وقصة ميلاد يحيى حين استجاب الله لدعاء والده زكريا وفي ذلك إشارة واضحة إن الله يجيب دعوة الصالحين.

٦ ـ بيان عاقبة الاستقامة والصلاح، وعاقبة الانحراف عن جادة الصواب كقصة بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصة سد مأرب وقصة أصحاب الأخدود.

٧ ـ توضيح الفارق بين الحكمة الإنسانية العاجلة، والحكمة الإلهية بعيدة الأجل مثل قصة موسى والخضر وغير ذلك من الأهداف الدينية التي ترمي إلى أخذ العبرة والموعظة والتي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها وتحقق أغراضها.

٨ ـ ذكر أنباء غيبية بأبلغ كلام وبتناسق لا يعرف له مثيل بهدف إبراز الإعجاز القرآني لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً ولا عُرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود ورهبان النصارى، وعلى الرغم من ذلك جاءت قصص الأنبياء في القرآن كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى دليلاً على أنه وحي يوحى، والقرآن الكريم ينص على هذا الغرض في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها كما جاء في سورة يوسف (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف:٣، وجاء في سورة هود بعد قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العاقبة للمتقين) هود:٤٩.

٩ ـ وصف الأنبياء والرسل بالكمال ومحاسن الأعمال ليكونوا قدوة صالحة لقومهم تزيد قدرتها إيماناً وهدى، فلم يقصد في القصص القرآني تاريخ الرسول ولا تاريخ قومه وإنما قصد دروساً وعبراً أخلاقية وموعظة وهدى لكل داع إلى الحق ولكل مدعو إليه كأن يعلن للناس أن الله في القديم كان يجازي المستقيم على استقامته ويعاقب الشرير على شره.

١٠ ـ بيان روحانية القرآن الكريم التي جاء ذكرها حين خاطب الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) الشورى:٥٢، فالله سبحانه وتعالى جعل القرآن روحاً لأنه يحيي به نفوس الخلق فله فضل الأرواح في الأجسام وجاء نوراً يضيء ضياء الشمس في الآفاق.

١١ ـ يستهدف القرآن من تكرار بعض آياته بعبارات مختلفة ولكن أصل المعنى واحد، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لبيان النعمة وتتابع المنة والتذكير بالمنعم، واقتضاء الشكر فضلاً عن أن ترديد الكلام حول معنى واحد في آيات مختلفة تتشابه لفظاً ومعنى وفصاحة وبلاغة سرّ من أسرار القرآن وضرب من ضروب القدرة الكلامية اختص بها القرآن حيث تنبل الأغراض وتبلغ المقاصد التي سيق لها الكلام قمم الرفعة والسمو، الأمر الذي لمثله يستطاب التكرار، وحكمة ذلك أن القرآن تحدى ببلاغته وهديه العرب وغيرهم ولهذا كرر بعض معاني آياته في موضع على طريقة الإطناب وفي آخر على طريقة الإيجاز ليتجلى إعجازه وتظهر فصاحته ورصانة لفظه، وليعلم أنه ليس بكلام البشر فالشاعر أو الكاتب أو القصص إذا كرر قولاً لا يكون كلامه الثاني بدرجة الأول في الفصاحة، بل تظهر عليه بوادر الصنعة والتكلف والتفكك.

والتكرار أيضاً من أفضل سبل الإقناع وأقوى الوسائل لتركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية ولهذا نرى في عصرنا الحالي أصحاب الدعايات يعمدون إلى التكرار في وسائل الدعاية مع التنوع في عبارتها للوصول إلى هدفهم، فخضوع القصة في القرآن الكريم للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها فقد لمس القرآن الوجدان واتبع في ذلك طريقة التصوير فبلغ الغاية بمادته وطريقته وجمع بين الهدف الديني والهدف الفني من أقرب الطرق وأرفعها.

فالقرآن يجعل من الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفني، ولكن مظاهر التنسيق الفني في القصة القرآنية، لا يخضع للقواعد الفنية للقصة الحديثة فهي تتوافق معها في بعض الأحيان، وتنفرد بإبداعها الفني في بعض الأحيان، ولكنها في حالتي الاتفاق والاختلاف تبقى دائماً قصة قرآنية لها سماتها وخصائصها وموازينها الخاصة دون أن تكون عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، ويبقى هدفها الأول والأخير هو الهدف القرآني ذاته. ■

المراجع:

١ ـ محمد كامل حسن المحامي، القرآن والقصة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٢ ـ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الاعتصام، القاهرة.

٣ ـ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، لجنة النشر للجامعيين، القاهرة.

٤ ـ عبدالله محمود شحاته، علوم القرآن، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥ ـ مصطفى عبدالرزاق، الدين والوحي والإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦ ـ خليل إبراهيم علي، لمحات من قصص القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

بقلم: محمد إقبال عروي

من أسرار عدم تكرار قصة يوسف في القرآن

المتأمل في طرائق السرد القصصي في القرآن يدرك أن هذا السرد اختار، وفق حكم ظاهره وخفيه، أنماطاً ثلاثة من البناء السردي.

١ ـ البناء الكامل: وهو بناء القصة بناءً تاماً من بدايتها إلى خاتمتها، مثل قصة يوسف عليه السلام التي قصت بدءاً من طفولته إلى أن صار وزيراً عند عزيز مصر.

٢ ـ البناء الالتفاتي: ولتحديد دلالة البناء الالتفاتي، لا بأس من التذكير بمفهوم الالتفات في الدراسات البلاغية، فهو يعني الانتقال من وضع زمني إلى آخر، مثل «انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة. أو الانصراف عن المخاطبة إلى الإخبار»(١) ويتأمل قصص القرآن، يلاحظ أن بعضها قُصَّ بطريقة اعتمدت الالتفات والانتقال من الحاضر إلى الماضي، بشكل يخالف طبيعة الزمان الرياضي، ومن هنا يمكن أن نعرف البناء الالتفاتي في بعض قصص القرآن بأنه بناء يتقاطع فيه الحاضر مع الماضي، إذ يلتفت السرد إلى لحظات وأحداث ماضية خارج «سيرورة» الزمن الأول.

وقصة موسى في سورة طه نموذج لهذا البناء الالتفاتي، فقد ابتدأ الحديث عن موسى عليه السلام في الآية التاسعة، إذ أشار القرآن إلى رؤية موسى للنار، ثم تلقيه الوحي بجانب الوادي المقدّس، وكلام الله له إلى حدود الآية السادسة والثلاثين، ثم يعود السرد فجأة إلى لحظة موغلة في ماضي شخصية موسى، وهي لحظة ولادته ووضع أمه له في التابوت مخافة أن يقتله أعوان فرعون، وذلك في قوله تعالى: (ولقد مننا عليك مرة أخرى. إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي. أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) طه:٢٧ـ٢٩ ثم يستأنف السرد لمخاطبة موسى وهارون من أجل دعوة فرعون إلى الإيمان، انطلاقاً من الآية الواحدة والأربعين.

٣ ـ البناء الحلقي: وهو راجع إلى مفهوم التصور التناسبي على أن السورة لاتستدعي من القصة إلا حلقة معينة تناسب السياق الحافّ بها سابقاً ولاحقاً. وهذا البناء الحلقي في الكثير من القصص مثل قصة موسى وإبراهيم وصالح، ذلك أن القرآن يركز في كل سياق على جانب معين من جوانب القصة المسرودة، أو على حلقة مخصوصة من حلقاتها، استجابة لمتطلبات السياق الواردة فيه، وخدمة للجو العام الذي يمثل طابع السورة. ولعل أدق تحديد لمفهوم البناء الحلقي في القصص القرآني هو الذي نجده عند د. أحمد أبو زيد في قوله: «إن القصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدي وظيفة فيه، وقلّ أن ترد القصة بكل حلقاتها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها»(٢)

وقد تنبه القدماء إلى هذا الجانب من قصص القرآن، يقول ابن أبي الأصبع: «فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لاتكاد تشتبه في موضعين منه، ولابد أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً»(٣)

والجدير بالذكر أن هذه الأنماط السردية تدعو إلى البحث في أشكالها وأنواعها وجمالها، وتشجع على الغوص في دقائق أمورها بغية الوقوف على بعض الأسرار المعنوية والفنية الكامنة خلف بناءاتها المتعددة.

وليس ادعاء القول: إن البحث في هذه المعطيات يمثل جزءاً من البحث في إعجاز القرآن، بل لعله يكون شعبة من شعبه. إلا أنه بحث داخلي لا يقوم على المقارنة بين خطاب القصص القرآني وخطابات الأدباء، وإنما يقتصر على البحث في البناء الداخلي لنظام القرآن اللغوي والتركيبي والدلالي.

وعلى ضوء ما سبق، نشير إلى أن قصة يوسف عليه السلام قُصَّت في القرآن مرة واحدة، وهي مسرودة بكاملها في السورة التي تحمل اسم نبي الله يوسف.

وقد بحث المفسرون وعلماء البلاغة في أسرار عدم تكرار هذه القصة كما كرر غيرها من قصص النبيين والرسل، ووصلوا في ذلك إلى نتائج سنعمل على وضعها

داخل إطار منهجي، مع الاستدراك على بعضها مما نراه لا يقوى على أن يعد سراً في إفراد قصة يوسف بالحكاية مرة واحدة، محكمين في ذلك كله مقولة: «التوجيه والتفسير والتقويم»، توجيه أقوال السلف، وتفسير ما يستحق منها البسط والتوضيح، وتقويم ما يراه الدارس في حاجة إلى تقويم، إما من حيث زاوية النظر أو دليل النظر.

١ ـ السبب الأخلاقي:

وقد تبناه بعض المفسرين قديماً وحديثاً، وهو سر أخلاقي، مفاده، كما يقول الإمام السيوطي(٤)، إن في قصة تشبيب النسوة بيوسف، وحال امرأة ونسوة فتنوا بأبدع الناس جمالاً، وبما أن هذا المشهد داعٍ للحرج، ناسب ألا تتكرر في القرآن. وكأن في تكرارها إحياء لنفسية الحرج، وقد استدل السيوطي لتأكيد سلامة هذا السر في عدم تكرار هذه القصة، بحديث قال عنه: إنه من تصحيحات الحاكم في مستدركه، وفحوى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تعليم النساء سورة يوسف.

وقد ذهب إلى هذا التفسير باحث معاصر هو د.عبدالعظيم إبراهيم المطعني في كتابه القيم: «خصائص التعبير القرآني» فهو يقول: «أما تكرار القصة في القرآن فذلك سمته الغالبة على معظم قصصه، إذ لم يأتِ فيه غير مكرر إلا القليل مثل قصة يوسف عليه السلام، وللعلماء توجيه في سردها مرة واحدة دون تكرار، أهم ما في هذا التوجيه أن حرص الإسلام على صيانة الأعراض كان سبباً في ذلك، لأن في قصة يوسف محاولة إغراء على جريمة خلقية، لذلك فرغ القرآن من سوقها للعظة والاعتبار مرة واحدة».(٥)

إن هذا التفسير يستند، بالأساس، إلى الحديث الذي قال عنه السيوطي: «إن الحاكم قد صححه في مستدركه»(٦)، وللرد على هذا التفسير، نستحضر الحقائق التالية:

١ ـ إن المتخصصين في علوم الحديث يعلمون أن الحاكم متساهل في تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة وللعلماء في هذا الشأن كلام دقيق.

ب ـ لقد وضعتُ الحديث الذي رواه السيوطي سابقاً بين يدي مجموعة من المتخصصين في علوم الحديث، وقد أكد لي بعضهم أن «نسخ المستدرك» لا تتضمن ذلك الحديث أصلاً. وهذا الإشكال يجعل الباحث أقرب، في حالة قيام البرهان عليه، إلى وصف الإمام السيوطي بعدم الضبط في نقله هنا، إذ كيف يقول إن الحاكم قد صححه في مستدركه، وهو غير موجود فيه أصلاً؟

ونحن نوجه هذا السؤال لعلمائنا أهل الحديث، وبخاصة أننا نجد حديثاً آخر أغلب الظن أنه حديث ضعيف، مخالفاً لمضمون الحديث الوارد عند السيوطي في كتابه «معترك الأقران»، وهذا الحديث رواه الزمخشري بعد أن ختم تفسيره لسورة يوسف. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علموا أرقاءكم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعطاه القوة ألا يحسد مسلماً».(٧)

ج ـ إن من مقاصد الإسلام الكبرى أن يتعلم الناس تلاوة القرآن، وفهمه وتدبره وتطبيقه في حياتهم الخاصة والعامة، وبموجب هذا المقصد الأسمى، يتعين على الإنسان، ذكراً وأنثى، أن ينهل من كتاب الله دون قيد أو شرط، ومن هنا لا يعقل أن نحرم قطاعاً كبيراً من أفراد المجتمع المسلم من تعلم سورة يوسف بدعوى إثارتها لموضوع يتعلق بالأعراض، بل إن قصة يوسف تتضمن قيماً أخلاقية رفيعة لا تجاوز الصواب إن قلنا إن الشباب اليوم ذكوراً وإناثاً، في أمسّ الحاجة إليها لمواجهة قيم التغريب والميوعة والانحلال، إنها قيم العفة والالتزام بتقوى الله وخشيته، والابتعاد عن مواطن الإغراء، والتمسك بالوفاء للعهد، عهد الله وعهد الناس، وهذه القيم واجبة بنص القرآن والحديث، فكيف يحرم منها نساء المسلمين بدعوى الحرج الأخلاقي؟

د ـ إن الأمر الذي ينساه من ذهب إلى هذا التفسير هو أن مضمون الإغراء في القصة سرده القرآن بطريقة رائعة، متعمداً فيه على الحذف والإيجاز، حذف الكثير من الجزئيات، والإيجاز في التقاط المشهد المؤثر في البناء الكلي للقصة ومغزاها التربوي والنفسي.

هـ ـ إن القول بحرص الإسلام على صيانة الأعراض يمثل، في الأصل، دافعاً ومبرراً لأن يتكرر التذكير بقصة يوسف، لأن فيها تحذيراً من مغبة الانسياق خلف الشهوات، وهذا يعني أن الحاجة تدعو، منطقياً، إلى معاودة قراءتها من حين لآخر والاعتبار بها، وليس للنهي عن تعلمها.

لهذا فالدارس لا يرتاح إلى التفسير الأخلاقي للسر من وراء عدم تكرار قصة يوسف في القرآن كما كرر قصص آخر، وإذا كانت الأصوات ترتفع، من حين لآخر، داعية إلى تجديد التفسير ومناهجه، فلا شك أن أول مرحلة علمية ومنهجية أن يُعمد إلى ذلك التراث التفسيري، فينقتح ويهذب، ليزال عنه ما علق به من مستبعد التأويل ومرجوح التفسير ومردود التعطيل، فضلاً عن ضعيف الأحاديث وموضوعها، محكمين في ذلك معاني القرآن الكلية ومقاصده السنية.

٢ ـ السبب الإعجازي:

وقد قال به علماء أجلاء وفي مقدمهم الإمام أبو أسحاق الإسفراييني، ومؤدى هذا السبب أن القرآن الكريم تحدى العرب بوسيلتين من السرد القصصي: وسيلة السرد الحلقي الذي يقتصر على مشهد قصصي واحد، ووسيلة السرد الكامل للقصة من بدايتها إلى خاتمتها. وفي هذا الاختيار المتحدي إعجاز للعرب من جانبين: إعجازه لهم على أن يأتوا بمثل النمط الأول، وإعجازه لهم على أن يأتوا ـ لو ركبوا مطية العناد ـ بمثل النمط الثاني.

وقد يُفْتَرضُ تعلقُ العرب بشبهة أن لا قبل لهم برواية القصص بالطريقة «الحلقية»، كان من الحكمة أن يسايرهم القرآن في أنماطهم المعهودة المتمثلة في سرد القصة كاملة، فجاء بما هو معهود لديهم حتى لا يتعلقوا بأي شبهة، وحتى يستقر التحدي في نفوسهم، ويظهر العجز جلياً عليهم.

وهذا السبب الإعجازي مقبول، لأن له تعلقاً بمقولة الإعجاز المشهود بحجيتها نصاً وعقلاً.

٣ ـ السبب المقامي:

تذكر كتب التفسير والسيرة أن من أسباب نزول سورة يوسف أن الصحابة رضوان الله

عليهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقصّ عليهم قصة(٨)، فاستجاب الله لطلبهم، فقصّ عليهم قصة نبي الله يوسف وبتحليل هذا السبب النزولي، يتجلى أمران متلازمان:

- أما الأمر الأول، فهو أن الصحابة طلبوا من رسول الله ذلك المطلب، وقد اشتد عليهم الأذى النفسي والجسدي بعد محاصرة المشركين لهم وملاحقة خطواتهم نحو الإيمان بدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان الطلب مجسداً لرغبة نفسية في التسلية والترويح عن النفس والنزوع نحو اليقين في أن الحق ظاهر رغم ضعفه وقلة حيلته، وأن الباطل زاهق رغم انتفاخه وتجبره.

- وأما الأمر الثاني، فهو أن من اقتضاءات الحكمة أن يستجيب الله عز وجل لطلب المؤمنين، وأن يقصّ عليهم القرآن قصة يوسف كاملة ضافية ليحصل لهم:

أ - التسلية والترويح.

ب - اليقين بظهور الحق ولو بعد حين.

وبهذا تتجلى أسرار سرد قصة يوسف كاملة، لأن خلفها سبباً معيناً ومقاماً خاصاً ارتبطت بموجبها رغبة الأرض بقدر السماء، فقد «نزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة، وترويح النفس بها، والإحاطة بطرفيها(٩)، ولو أن سردها اقتصر على حلقة الأزمات التي اعترضت حياة يوسف مثل بغض إخوته له، ورميهم له في الجب، وبيعه في السوق، ودخوله السجن، لما أدت القصة وظيفتها التربوية والنفسية، ولانعكست سلباً على نفسية المتلقين من الصحابة المضطهدين والمعذبين، والله أعلم بأسرار نظم كتابه.

٤ - السبب الضمني:

يمكن للدارس أن يضع يده على القضية المحورية التي تتقاطع حولها مختلف قصص القرآن، وذلك بتأمل أهدافها ومقاصدها، فيصل إلى أن من المعاني الثابتة في قصص القرآن إفادة «إهلاك المكذبين».

والسبب الكامن خلف هذا المعنى الثابت هو إصرار المشركين على تكذيب رسول الله، وتكرار هم لهذا التكذيب بعد كل حجة وبرهان، فناسب أن تتكرر قصص القرآن المفيدة للوبال الذي ينزل بالمكذبين للأنبياء والرسل عبر التاريخ الطويل للرسالات والأمم، وهذا ما تشهد به آيات كثيرة في القرآن، مثل قول تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) الأنفال:٣٨، وقوله تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) الأنعام:٦.

وقصة يوسف على خلاف هذا السياق العام، سياق التكذيب من جهة المشركين والتهيد بعاقبتهم من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام عبر ذكر عاقبة مكذبي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، إذ إن مضمونها متصل بالتسلية والعفو والتجاوز عن الأخطاء.

ومادام الجو العام والمتكرر في علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشركين هو الدعوة والنذير تلو النذير من جهته، والإنكار والإعراض من جهتهم، كان الأنسب أن تتكرر قصص الإنذار والهلاك، دون أن تتكرر قصص التسلية والغفران التي تنتهي نهاية إيجابية.

إننا، مع هذا السبب الضمني، إزاء توسعة شاملة لمفهوم مراعاة مقتضى أحوال المخاطبين، لئلا تتعلق هذه المراعاة بالمستوى اللغوي والأسلوبي، وإنما تمتد لتستوعب المستوى الدلالي، وكأن واقع المشركين يقتضي أن تتكرر قصص الإهلاك لأنهم مكذبون للرسول ومحاربون لدعوته، ولم يكن يقتضي أن تتكرر قصص التسلية والغفران، ولعل هذا ما قصد إليه السيوطي بقوله: «إن قصص القرآن إنما كررت، لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم».(١٠)

***

هذه باختصار شديد، بعض الأسباب الكامنة وراء السر في ورود قصة يوسف مرة واحدة في القرآن الكريم، والرأي ميّال إلى قبول السبب الثاني والثالث والرابع، لأن لها اعتبارات، ومرجحات غير مختلف فيها، أما السبب الأول وهو السبب الأخلاقي، فلا يمكن قبوله، فضلاً عن كونه يشكل مدخلاً لتبعيض القرآن تلاوة وفهماً، ومنفذاً لتسرب الأوضاع التفسيرية المختلة التي تمثل أحد أسباب الأزمة الحضارية في علاقة المسلمين بكتاب ربهم.

إن أحد أهداف الاشتغال بمثل هذه الموضوعات التذكير بأن التراث التفسيري غني وقوي، لكنه محتاج في بعض جوانبه إلى تنقية وتقويم بغية التأصيل العلمي الشامل، والتجديد المنهجي الثاقب، وما قصة يوسف سوى نموذج جزئي نورده للتذكير بالإشكال العام، والله الموفق للصواب. ■

الهوامش

١ - ابن المعتز: «البديع» ص:١١٦.

٢ - د. أحمد أبو زيد: «التناسب البياني في القرآن»، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط:١، ١٩٩٢، ص:٦٧.

٣ - ابن أبي الأصبع: «بديع القرآن» تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، ط:١، ص:٢٩٠.

٤ - السيوطي: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٦٤.

٥ - د. عبدالعظيم إبراهيم المطعني: «خصائص التعبير القرآني»، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٣٣.

٦ - السيوطي: «معترك الأقران»، ج١، ص ٢٦٤.

٧ - الزمخشري: «الكشاف»، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٣٤٧.

٨ - انظر الأحاديث المروية في هذا الشأن في «جامع البيان» للطبري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، المجلد السابع، ص ١٤٧ - ١٤٨.

٩ - السيوطي: «معترك الأقران» ج١، ص ٢٦٥.

١٠ - المرجع السابق نفسه.

بقلم: د.حسن عزوزي

يشكل الإعلام الغربي بكل مكوناته من صوت وصورة وكلمة وكاريكاتور أبرز قنوات الاتصال التي تنتج وتفرخ سياسة التخويف من الإسلام في ديار الغرب، فهي بما تمتلكه من إمكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير استطاعت أن تجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، وبالتالي فقد أمكنها استغلال هذا الأمر لترسيخ صورة إسلام رهيب مخوّف وكاسح في مخيلة المشاهد أو القارئ الغربي. ولبلوغ هذا الهدف لا يتوانى الإعلام المطبوع والمرئي والمسموع في التنافس من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو مهدداً للغرب من جانب الإسلام والمسلمين، ويتم ذلك عن طريق العمل على تشويه صورة المسلمين والتعتيم على أمورهم وقضاياهم وتزييف الوقائع والحقائق بحسب المنطلق والأهداف والأطماع والمصالح المتعارضة.

سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي

● مؤتمرات المسلمين في الغرب تبدد مخاوف الغربيين من الإسلام

وتعتبر الصحافة الغربية أكثر القنوات الإعلامية إثارة لهذا الموضوع، وذلك من خلال التقارير والاستطلاعات والملفات الصحافية التي تتبارى الجرائد والمجلات في تقديم أكثرها اجتذاباً وتأثيراً وأوفرها إثارة ولفتاً للانتباه.

وتتم تغذية تلك التقارير والملفات بما يجعل القارئ الغربي تأخذه الدهشة ثم الحذر والخوف، فالإحصاءات المبالغ فيها عن كثرة المساجد الموجودة ببلاده مثلاً أو عن ازدياد نمو الجالية المسلمة المقيمة على أرض بلاده والتوقعات المستقبلية لاحتمال وجود إسلامي قوي بالغرب، كل ذلك يسهم في إذكاء مشاعر الخوف والتوجس في صفوف الغربيين.

ولكي نكون أكثر وضوحاً، نشير إلى أن

الخبير الفرنسي في شؤون الحركات الإسلامية جيل كيبل كان قد أصدر العام ١٩٨٧م كتاباً ضخماً يحمل عنوان: «ضواحي بلاد الإسلام»(١) ضمنه الحديث بتفصيل عن واقع الوجود الإسلامي في فرنسا.

ومن خلال استطلاعاته الميدانية أمكنه استنتاج وجود أكثر من ألف مسجد في فرنسا «وهذا العدد يشمل بطبيعة الحال في أكثر من أربعة أخماسه قاعات للصلاة لا يتجاوز طولها بضعة أمتار»، لذلك كان كافياً التصريح بهذا العدد الكبير لكي يكون له وقعه وأثره السيئ في نفس المواطن الفرنسي الذي أمسى يتخيل وجود مسجد أو أكثر في كل ركن من أركان بلدته الصغيرة، وأذكر أن الصحافة الفرنسية عندما تحدثت عن الكتاب قبل وبعد صدوره كان أبرز عنوان مثير تصدر الحديث عنه هو «فرنسا بلاد الألف مسجد ومسجد»(٢)، وهو عنوان له بريقه وجاذبيته تناقلته مختلف الصحف والمجلات عن بعضها بعضاً سعياً وراء الإثارة والسبق الصحافي وتحريك مكامن الخوف والذعر في نفوس المواطنين الفرنسيين، إن مثل هذه الإثارة المقصودة لا يمكن أن تمر دون أن تعمل عملها في نفسية القارئ الغربي الذي لا يستطيع أن يتقبل مثل هذا.

من جانب آخر أظهرت بعض الإحصاءات الرسمية في الولايات المتحدة الأميركية في العام ١٩٩٨م أن عدد المسلمين بها ستة ملايين نسمة، أضحى يفوق عدد اليهود، وبذلك أمسى الإسلام هناك يحتل المرتبة الثانية بعد النصرانية، وهي المرتبة التي كانت اليهودية تحتلها إلى عهد قريب، ولم يكن الإعلان عن الإحصاءات الجديدة لتمر دون تعليق وتحليل من طرف الصحافة الأميركية، حيث أجمعت الصحف والمجلات السيارة في الديار الأميركية على إبداء امتعاض كبير وتخوف شديد من احتمال تكون لوبيات إسلامية قوية تعبّر عن انتمائها وتمسكها بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وبذلك ستشكل لا محالة خطراً إسلامياً قد يتهدد الغرب برمته.

ولم تتورع الصحافة الأميركية ومعها الصحافة الأوروبية في الاستنجاد بالمصطلحات الرنانة التي يتم اقتناصها ببراعة، قصد توظيفها واستغلالها في أثناء أوقات الأزمات ونشوب الخلافات مثل مصطلحات «اليقظة الإسلامية» أو «الإحياء الإسلامي» أو «عودة الإسلام» أو «الانفجار الإسلامي» وغير ذلك.(٣)

وعلى سبيل الإيضاح، وتحت العنوان الأخير «الانفجار الإسلامي»، نقدم مثالين معبّرين، فقد نشر الصحافي الأميركي مايكل والتزر مقالته «الانفجار الإسلامي» في ديسمبر ١٩٧٩م أي عند تفجر الثورة الإيرانية تناول فيها عدداً ضخماً من الوقائع والأحداث التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، وأكد أن عنصري العنف والغلو موجودان لدى الثورة الإسلامية، كما أكد بشيء من الإلحاح على ما وقع في إيران وفلسطين ولبنان، وقد خلص بعد سرد تلك الوقائع بكثير من التشويه والتمويه إلى القول: إنه من الممكن تفسيرها كوقائع لشيء واحد مخيف هو «الإسلام»، فهو مرآة كل ما يقع ضد الغرب، وبالتالي فهو نمط ثابت من القوة السياسية الضاغطة على الغرب، كما أنه شعور معنوي وديني خلاق لكنه مخيف، فمثلاً عندما يقاوم الفلسطينيون الاحتلال الإسرائيلي يؤكد صاحب المقالة أن تلك المقاومة إنما هي مقاومة دينية لا سياسية أو مدنية أو تحريرية، ويبالغ والتزر في تأكيد أن الإسلام شيء مخيف عندما يصفه لقرائه بأنه «قوة تتخطى المسافات زماناً ومكاناً، والتي تفصل بين كل الوقائع والأحداث التي تقع هنا وهناك».

ويؤكد الرجل في مقالته التي تنضح «بالنزعة الاسلاموفوبية» أنه حيثما وجدت الجرائم والحروب والنزاعات الدائمة التي تتخللها الفظائع والأهوال «لعب الإسلام بوضوح دوراً رئيساً» ويخلص والتزر إلى القول: إن الإسلام بطبيعته معادٍ للولايات المتحدة الأميركية وضار بمصالحها، كما أن المسلمين أينما وجدوا يكرهون أميركا ويبغضونها.

من جهة أخرى، خصصت مجلة «التايمز» الأميركية في عددها الأخير من العام ١٩٧٩م صفحتين كاملتين لندوة تحمل عنوان «الانفجار في العالم الإسلامي» شارك فيها سبعة أشخاص: ثلاثة من العالم الإسلامي يقيمون في الولايات المتحدة وأربعة باحثين أميركيين مشهورين بتخصصهم في تاريخ الإسلام، وكانت جميع الأسئلة الموجهة إليهم أسئلة سياسية يشير كل منها إلى تهديد الإسلام للمصالح الأميركية، وخطره عليها، واستنتجت المجلة من خلال الندوة القول: «إنه إذا كان الإسلام يحكم تصرفات المسلمين فليتم التحاور مع الإسلام وجهاً لوجه، وأوحت المجموعة الأخيرة من أسئلة «التايمز» بوضوح أن المنطق والإقناع لن ينجحا، وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء إلى القوة كملاذ أخير».(٤)

وهكذا أبانت مقالة والتزر وندوة «التايمز» عن مدى ومبلغ البغض والكراهية اللذين يكنهما الإعلام الأميركي لظاهرة الصحوة الإسلامية، ويبدو من خلال استعراض الخطوط العريضة لما جاء في كلا التقريرين أن الهدف كان هو عرض مواقف ازدرائية ترمي إلى إذكاء هاجس اليقظة والحذر، كل ذلك من أجل إرضاء القراء الذين يملأ قلوبهم الشك والريبة والخوف والتوجس من الإسلام.

إن مثل هذه المقالات والندوات الصحافية التي يطالها كثير من التمييع والتشويه يراد من خلالها ترويج مقولات وشعارات التخويف والتحذير من الإسلام والمسلمين.

ولعل أبرز ما يحكم تلك التصورات الموغلة في التشاؤم ظاهرتان أساسيتان هما:

١- ظاهرة توجه التيار الإسلامي الجديد في الغرب إلى ممارسة دور سياسي متعاظم ينمو شيئاً فشيئاً، ويمثل أهمية كبرى ما فتئ الخبراء الاستراتيجيون والمستشرقون الغربيون يدرسونها تحت يافطة «الإسلام السياسي».

٢- ما يسمى ظاهرة «التطرف الديني» التي يحلو للغربيين أن يبالغوا في توصيفها وتحليلها وذلك بإلصاق تهم العنف والإرهاب والتعصب بكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة من غير تمييز أو تفريق.

يقول برنارد لويس الأستاذ بجامعة برنستون الأميركية وهو يرمي إلى ذلك: «الإسلام قوة جبارة جداً، وإذا كان الإسلام لم يلعب دوره في المجال الدولي، فما ذلك إلا لفقدان القيادة التي تستطيع القيام بذلك ولكن ظهور هذه القيادة محتمل جداً. إن وصول الإسلام إلى مركز القوة أمر له خطورته، فهل سيتسامح الإسلام مع غير المسلمين؟ هل سيتسامح مع اليهود في إسرائيل أو النصارى في لبنان أو مع أوروبا ذات الخلفية الصليبية»(٥)

● مجموعة من المسلمين الجدد في إحدى الدورات التي ينظمها مكتب الإعلام الإسلامي في السويد

إن الإسلام من منظور أجهزة الإعلام الغربية يبدو ديناً يتسم بالانغلاق والجمود، ويثير الخوف والرعب، ومن هنا تكمن ضرورة تقزيمه وتحجيم دوره وذلك عن طريق جعله مادة استهلاكية في وسائل الإعلام من أجل التأثير بشكل سلبي على تشكيل الرأي العام الغربي وحتى العالمي في رؤيته للإسلام.

وتعتبر سياسة التخويف من الإسلام أنجع السبل من أجل تحقيق الأهداف المرسومة لمجابهة هذا العدو الجديد ومقاومته، وهذه السياسة الجديدة التي تفتقت عنها أذهان الغربيين لها آلياتها ومناهجها، فلا يعزبن عن البال مثلاً أن التغطية الإعلامية للإسلام في الغرب ترتبط في جميع مراحلها وخطواتها بالتعمية والتمويه ما يعتبر إفرازاً «للأدلجة» وغياب إرادة المعرفة، إذ لم يكن استهداف الحقيقة يوماً ما غاية الإعلام الغربي في تغطيته للإسلام، فهو لا يريد الاستئناس بالمرجعية الأصيلة التي تؤرخ لهذا الدين وتبين حقيقته وطبيعة مبادئه وقيمه، كما لا يهمه تقديم الإسلام وتشكيله للرأي العام في قالب يبدو للمتتبع الحصيف أبعد ما يكون عن واقع الأمر وحقيقته مع أنه قد بات أمراً طبيعياً طرح أي رأي كائناً ما كان في حق الإسلام والمسلمين عبر شاشات التلفاز أو عبر الصحافة المكتوبة الغربية كي يسود المشاهدين والقراء على السواء قابلية لا مثيل لها لتقبل تلك الآراء المتحاملة والخاطئة والدعوات التخويفية المثيرة شرط أن تكون جديدة وطريفة غير تقليدية أو شائعة التداول، فتصبح بذلك الصورة السلبية عن الإسلام والنزعة التخويفية منه أكثر تمكّناً في العقل الغربي.

ولا أحد يجادل في أن «وجبات الإسلام» التي أصبحت تقدم للمشاهد والقارئ الغربي بين الفينة والأخرى - وبخاصة في أوقات الأزمات - قد تميعت بشكل صارخ ومما زاد من حدتها ما يرافقها من مشاهد وصور تمثل الإسلام والمسلمين في أشكال مقولبة موغلة في التضليل والتعمية والإثارة، وهذا ما زاد من إقبال الغربيين على مشاهدة وقراءة كل ما ارتبط بالإسلام، لذلك كان من الطبيعي أن تدأب الصحافة الفرنسية مثلاً على الزيادة في حجم مبيعاتها من الصحف والمجلات بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ في المئة، كلما كان ملف العدد الرئيس يتعلق بالإسلام، فالصحافة الفرنسية يحلو لها كثيراً أن تجعل من الحديث عن الإسلام موضوع «غلاف العدد» ولو كان عدد صفحات التحقيق حوله والمبثوث داخل العدد أقل من عدد الصفحات المخصصة لموضوعات أخرى يحملها العدد نفسه، فموضوع «الإسلام قد أضحى مثيراً وجذاباً ما يدفع إلى حبك صورة الغلاف بما يكون أكثر إثارة وتمييعاً ولفتاً للانتباه».

أما العناوين الطنانة والنعوت الرنانة التي ترفق بالمقالات والتحقيقات الصحافية المخصصة لموضوع الإسلام فهي بالغة التمويه والإثارة وموغلة في الاستفزاز والازدراء.

ونقدم فيما يلي أمثلة موثقة عن ذلك من الصحافة الأميركية والفرنسية.

* «الانفجار في العالم الإسلامي»: مجلة التايمز الأميركية، الأسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٧٩م.

* «الإسلام المقاتل: الزوبعة التاريخية»: النيويورك تايمز - يناير ١٩٨٠م.

* «جذور السعار الإسلامي» مجلة اتلانتيك الشهرية ١٩٩٠م - مقالة كتبها برنارد لويس.(٦)

* «الإسلام في حمى»، جريدة لومند الفرنسية، - ١٠ أعداد متتالية ٣/٤/١٩٨٩م - ٤/٤/١٩٨٩م.

* «فرنسا: هل يجب الخوف من الإسلام؟ مجلة «حدث الخميس» - العدد ٢٧٠ - ٤ يناير ١٩٩٠م.

* فرنسا: أرض للإسلام مجلة الاكسبريس - عدد ١٩٧٥ - ١٩ مايو ١٩٨٩م.

* صدام الإسلام والغرب مجلة L'evenement du Jeudi يونيو ١٩٩٦م■

الهوامش

١ - Gilles Kepel: Les Banlieus de L'Islam- Paris 1987.

٢ - انظر على سبيل المثال مجلة لونوفيل أو بسرفاتور عدد ١١٩٦ - أكتوبر ١٩٨٧م.

٣ - معظم تلك المصطلحات البراقة تجد طريقة وبسهولة إلى أغلفة أعداد المجلات التي تتضمن الحديث عن الإسلام، بل هناك كتب ضخمة تحمل عناوين مماثلة، كما هو الحال في كتاب «عودة الإسلام» لبرنارد لويس.

٤ - إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ص ١١١.

٥ - Bernard Lewis: Le retour de L'Islam, ed Gallimard - Paris 1985 p89.

٦ - تم تعريبها ضمن أبحاث كتاب «الإسلام الأصولي» لبرنارد لويس وإدوارد سعيد، دار الجيل - بيروت ١٩٩٤م ص٩ - ٣٣.

٧ - إمعاناً في التضليل والتشويه تم إرفاق كل مقال من المقالات العشر برسم كاريكاتوري موغل في الازدراء والاحتقار للإسلام وحياة المسلمين الاجتماعية.

بقلم: د. أحمد عبدالوارث مرسي محمد

حقيقة الشفاعة والرد على منكريها

الشفاعة: مصدر من الفعل الثلاثي «شفع» وهو ضد الوتر، يقال: كان وتراً فشفعه، والشفيع، هو صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة واستشفعه إلى فلان سأله أن يشفع له إليه، وتفسير ذلك أن صاحب الحاجة كان مفرداً في طلبها فضم إليه آخر يتقوى به.(١)

وقد وردت الشفاعة في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة بالفعل واسم الفاعل والمصدر(٢) كما في قوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة:٢٥٥، وقوله جل شأنه: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الأنبياء:٢٨، إلى آخره.

وعند علماء السنة أن الشفاعة نوعان رئيسيان هما: شفاعة دنيوية، وشفاعة أخروية، أما الأولى فمنها المحمودة والمذمومة، والمذمومة ما كانت في باطل أو الاعتقاد في شفاعة الموتى أياً كانت درجات إيمانهم وأعمالهم التي رأيناها منهم في حياتهم، وأما الشفاعة المحمودة في الدنيا فهي ما كانت في قضاء حوائج الناس، ورفع مطالبهم التي لا يستطيعون رفعها لدى أهل الشأن، والاستشفاع في رفع المظالم عن المظلومين وبيان حق من خفى حقه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بها وحض عليها في مواضع كثيرة من السنة المطهرة كقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»، وغير ذلك الكثير والكثير مما يضيق المقام عن ذكره.

أما الشفاعة الأخروية أي الشفاعة في الدار الآخرة، فمنها المقبولة ومنها المردودة، فأما المردودة فهي شفاعة آلهة الشرك وشفاعة الكفار والشفاعة من دون إذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ والأصل في ذلك قوله الله تعالى: (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر:٤٨، وهم الكفار والمشركون وقوله: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) سبأ:٢٣، وذلك عن رد شفاعة من لم يأذن له الله بذلك وقوله: (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) طه:١٠٩.

وأما الشفاعة المقبولة فهي شفاعة الأعمال الصالحة، وشفاعة العلماء والشهداء وشفاعة الملائكة وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الشفاعة ـ أعني شفاعة الأنبياء ـ وخصوصاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هي مدار بحثنا هذا، فهي التي يقول فيها القائلون وينكرها المنكرون بما رسخ في أذهانهم من رغبة ملحة وعطش شديد إلى الجدل الذي لا يأبهون بعاقبته، فلديهم الجرأة واللامبالاة وعدم الخوف بالعواقب الوخيمة التي تنتظرهم في الآخرة إن لم يتوبوا، وربما كانت الألقاب العلمية التي يحملونها تجعلهم يتجرأون على ذلك نسأل الله العفو والعافية لنا ولهم.

فأما هذه الشفاعة ـ أعني شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وقد سبق وأن ذكرت بعضاً من آيات الله في ذلك، وهي وإن كانت تنكر الشفاعة فهي تنكر على الكافرين أو الشفاعة من دون إذن الله تعالى، وهذا في حد ذاته دليل واضح وحجة قوية على ثبوتها لغير من ذكرت الآيات، فإذا كان الله يعلمنا بأنه لا شفاعة للكافرين فالوجه الآخر هو ثبوت الشفاعة للموحدين المؤمنين وإذا كان الله يقول (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) فمفهوم الاستثناء أن من يأذن له الرحمن بها يصير شفيعاً، ومَنْ مِنَ الخلائق يرضى الله له قولاً ومن ثمَّ يأذن له بالشفاعة كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهو الذي تهرع الخلائق إليه جميعاً يوم النشور راجين منه الشفاعة وانتهاء الموقف العصيب والقضاء ذلك اليوم الذي يقول عنه رب العزة (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) هود:١٠٣، ويقول عنه في موضع آخر (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) الحج:٤٧، عند ذلك يقول أنا لها أنا لها ويسجد تحت العرش فيناديه الرحمن: «ارفع رأسك واشفع تُشفَّع وسل تعط».

تلكم هي الآمال التي نعيش عليها في الحياة الدنيا بعد أن أثقلت الذنوب والمعاصي كواهلنا فليس لنا من سبيل غير رحمة الجليل وشفاعة سيد المرسلين.

وأما السنة فمواضع الشفاعة وورودها كثيرة كثيرة وهي على درجة من الصحة والثبات لا يتطرق إليها شك أو زيف فقد رواها من أجمعت الأمة على صحة أحاديثهما، وهما الإمام البخاري والإمام مسلم رحمهما الله، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»(٣)، كما أخرجا رضي الله عنهما ـ في صحيحهما عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج الله من النار قوماً بشفاعة محمد، صلى الله عليه وسلم فيدخلهم الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميون»(٤).

وقد تعدى مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المقامات فلم تقتصر شفاعته على أمته فحسب، ولكن ورد إلينا بالطريق الصحيح أن شفاعته نائلة ـ إن شاء الله ـ الخلائق كلها يوم الفزع الأكبر، يوم الهول والحساب، وقد سبق لي ذكر ذلك وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً».(٥)

وفي غير البخاري ومسلم جاءت أحاديث الشفاعة كثيرة وصحيحة منها ما رواه الإمام أحمد «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وما رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها».

وقد أثبت الشفاعة خلق كثير من الفقهاء والعلماء والعارفين، فقد أورد الشيخ عبدالرحمن بن يوسف بن حسين في كتابه القيم عن الشفاعة بعنوان «شهب أهل السنة والجماعة على منكري المحمود والشفاعة»، موقف كبار الفقهاء في هذه المسألة، فروي عن الإمام الطحاوي: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار»، وعند القرطبي المفسر عن القاضي عياض(٦): شفاعات نبينا يوم القيامة خمس، شفاعات تدور كلها تقريباً حول ما ذكرناه سابقاً.

والإمام الغزالي(٧) يوسع دائرة الشفاعة فيرى أنها تصل إلى الصدّيقين والشهداء والصالحين، وقد نقل الإمام الغزالي قوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة، وبعثت للناس عامة».

وابن تيمية(٨)، يثبت للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات، الأولى أنه يشفع في أهل الموقف - كما ذكرنا في الحديث الدال على ذلك سابقاً، الثانية أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة. وأما الثالثة فإنه يشفع صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار.

والخلاف في أمر الشفاعة موضوع قديم يرجع إلى عصر الجماعات والفرق الإسلامية، فقد رفضها المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الذين قالوا لا يخرج من النار بشفاعة أحد أياً كانت درجته. كما أنكر الشفاعة - أيضاً - الخوارج بل رأوا أنها تتعارض مع القرآن الكريم، ذلك لأنهم استشهدوا بالآيات التي تنكر الشفاعة للكافرين مثل قوله تعالى: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» غافر:١٨، وقوله - جل وعلا - (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر:٤٨، ومما يذكر - كما هو معلوم - أن هذه الآية مسبوقة بقوله تعالى: (إلا أصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين) المدثر:٣٩-٤٧. فهل هؤلاء المجرمون يستحقون شفاعة أحد من عدل الله المطلق الذي ينتظرهم يوم القيامة.

وامتداداً لفكر الخوارج وجرأتهم في هذا الأمر سلك أقوام في العصر الحاضر المسلك نفسه، ووقعوا فيما وقع فيه الخوارج والمعتزلة ومن سار على شاكلتهم فأنكروا الشفاعة واعتبروها على شاكلة محسوبيات الدنيا وعلى طريقة مراكز القوى وهم يعتقدون أنهم أهل الرأي الحر أو كما يقولون عن أنفسهم أهل التنوير «نور الله قبور المؤمنين فقط»فصالوا وجالوا ولو كانوا مغمورين لقلنا إنهم ساروا على طريقة «خالف تعرف» ولكن - للأسف - معروفون تماماً ولهم تاريخ أسود، ودارت المعارك بينهم وبين العلماء قبل ذلك سجالاً وكانت في أعز شيء على الإنسان والزاد الوحيد له في الآخرة وهو العقيدة.

وهاهم الآن يوجهون هجماتهم الشرسة إلى دين الله فيحاولون النيل من أساسياته، الكتاب والسنة فهم يقولون: إن ما جاء في البخاري حول أحاديث الشفاعة مناقض للقرآن، وهم يريدون - بذلك - أن يشككوا في كل ما جاء في أحاديث البخاري ليكتمل لهم بذلك التشكيك في أمر الفرائض كلها وبذلك يتحقق لهم ما أرادوا.

والإمام البخاري ما جاء بكلام من عنده، بل هو صاحب منهج نقدي في اعتماد الأدلة وتمحيصها ولو صح لهم ما قالوا عن البخاري - ولن يكون - لتطرق الكلام إلى القراء الذين رووا بالطريق الثابت الصحيح - القرآن على ما قرأوه به.

وهم يقولون إنها ليست شفاعة ولكنها بشارة من الملائكة، وهذا في حد ذاته - إثبات عفو إلهي وقد سماها رب العزة شفاعة وسموها بشارة، إذن فمن الذي تصح تسميته لدينا؟. الرحمن الرحيم أو أهل الجدل والضلالات؟ لقد كان أمر الشفاعة مسار مناقشة تمت في فجر الإسلام بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكأنه توقع ما نحن فيه الآن - وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فيما رواه الطبراني وفي مجمع الزوائد عن الجامع الكبير للسيوطي عن عبدالرحمن بن أبي رافع أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متبرجة وقد بدا قرطاها، «ومفهوم التبرج - هنا ليس مفهوماً عصرياً ولكن التبرج المقصود هو بيان قرطيها فقط كما ذكر» فقال لها عمر بن الخطاب: اعلمي أن محمداً لا يغني عنك شيئاً... فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لن تنال أهل بيتي إنها تنال حاوحكم(٩)(١٠)، أي أن شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة مؤكدة وسوف تنال - إن شاء الله - كل من مات مؤمناً موحداً غير ملحد ولا مجادل في أمور الدين وبخاصة في الثوابت فيه.

وباب التوبة مفتوح من الله على عباده حتى تطلع الشمس من مغربها. ويوم القيامة، يوم الخزي والندامة يوم يستحق - بجدارة - العمل له والاستغفار عن كل ما كان من الإنسان من خطأ فالله سبحانه وتعالى يقول: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) الأنفال:٣٣.

فليعد هؤلاء إلى رشدهم وليلجأوا إلى ساحات دينهم الحنيف ولينفضوا عنهم غبار الخزي وبخاصة إذا كان الإنسان قد اقترب من باب قبره بتقدم عمره، وليعلم أن شهرة الدنيا بالاختلاف في الرأي في أمر الدين ستعود عليهم بالخسران والخذلان يوم الفزع الأكبر، نسأل الله لنا ولهم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ■

الهوامش

١ - لسان العرب - مادة «شفع».

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٣ - البخاري ٧٤٧٤، مسلم ٣٣٨.

٤ - البخاري ٦٥٦٦، صحيح مسلم ٣٢٠.

٥ - صحيح البخاري.

٦ - في كتاب «التذكرة في أمور الموتى وأحوال الآخرة».

٧ - في إحياء علوم الدين.

٨ - في كتاب «العقيدة الواسطية».

٩ - حاوحكم: قبائل غير معروفة ولا نسب لها في الجزيرة العربية.

١٠ - رواه الطبراني وانظر اللسان مادة (ح و ح).

بقلم: غازي التوبة

عرَّفت الموسوعات السياسية الأمة فقالت: «أمة مجموعة بشرية يكون تآلفها وتجانسها القومي عبر مراحل تاريخية تحققت خلالها لغة مشتركة وتاريخ وتراث ثقافي ومعنوي وتكوين نفسي مشترك والعيش على أرض واحدة ومصالح اقتصادية مشتركة، ما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية، وتطلعات ومصالح قومية موحدة ومستقلة».

أمتنا وشخصيتها الحضارية التاريخية

ومع هذا، فهذه الشروط ليست نهائية ولا قاطعة، فهناك أمم لا تتوافر فيها كل هذه الشروط، وهناك شعوب توافرت فيها ولم تبرز إلى حيّز الوجود كأمم بل جماعات قومية داخل أمم متفرقة أخرى» (موسوعة السياسة، ج١ ص٣٠٥).

إذا دققنا في التعريف السابق لنرى مدى مواءمته للأمة الإسلامية، ومدى مناسبته لها لوجدناه منطبقاً عليها، متحققاً فيها، وقد جاء التجانس والاشتراك والوحدة في الثقافة والتراث واللغة والمصالح والتكوين النفسي، جاء كل ذلك من الوحدة الثقافية التي كانت تقوم على الدعامتين الرئيسيتين: القرآن والسنة اللتين أعطتا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون والحياة والإنسان، ورسمتا لهم أهدافاً واحدة تزاوج بين التطلع إلى الآخرة وإعمار الدنيا، وحددتا لهم قيماً واحدة تقوم على التطهّر والتزكّي، وأوجبتا عليهم واجبات واحدة تعود على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا قبل الآخرة، وملأتا قلوبهم بتعظيم الله ورجائه وحبّه ما أورثهم غنىً نفسياً وامتلاءً معنوياً تجسد في أوقاف بلغت ثلث ثروة العالم الإسلامي، ووجهتا عقولهم إلى التفكر والتدبّر والأخذ بالتجريب، والابتعاد عن الأوهام والظنون ما جعلهم يبتكرون مخترعات تغني الحياة البشرية في مختلف العلوم والمجالات: كالفيزياء والكيمياء والميكانيكا والرياضيات والفلك والطب والأدوية والصناعة والزراعة ... إلخ

اهتمام علماء الأمة بنصي القرآن والسنة لم يكن لقدسيتهما فقط بل لحفظ وحدة الأمة ولتعزيزها

إن وعي علماء الأمة وقادتها وأهمية الوحدة الثقافية في استمرار وحدة الأمة جعلهم يتوجهون إلى دعامتي الوحدة الثقافية الأساسية: القرآن والسنة، فيحرصون على جمعهما، ويبتكرون العلوم التي تساعد على ضبطهما، ويخترعون الأدوات التي تساعد على توحيد فهم حقائقهما، فكانت علوم المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والنحو والصرف والبلاغة والبديع، ومصطلح الحديث وترجمة الرجال وعلوم الدراية والرواية وعلم أصول الفقه ومدارس التفسير ومعاجم اللغة ... إلخ

من هذه الزاوية يمكن أن نقرر أن اهتمام علماء الأمة بنصي القرآن والسنة لم يكن لقدسيتهما فقط، ولكنه اهتمام مرتبط بوعي أهميتهما في حفظ وحدة الأمة وتعزيزها، وتحقيق استمرار وجودها.

وإذا قارنا وضع الأمة الإسلامية التاريخية بالتعريف الذي ورد في الموسوعة السياسية السابقة نجد أن الأمة الإسلامية لم تحقق الوحدة فقط، بل حققت آفاقاً أخرى رسمها الإسلام لها وهي:

١ ـ أفق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء في قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) آل عمران:١١٠، وقد أورث ذلك الأفق الأمة حيوية في مواجهة أمراضها الداخلية، وقد تجسدت تلك الصفة بمؤسسة الحسبة التي كان المقصود منها ضبط السلوك العام للمسلمين، وجعل السلوك المستقيم سجية وطبعاً عندهم وليس أمراً خارجياً، لأن الحدود كان المقصود منها أن تكون رادعة للمسلم، لذلك أناطتها الحكومة الإسلامية بالقاضي وهي تحتاج إلى إقامة البيّنة والشهود وتدرأ عند الشبهات، أما الحسبة فهي تشجيع على الخير وتوجيه وتنبيه وتأديب وزجر

وردع، ثم تأتي العقوبات والتعزير ويجب ألا تصل بحال من الأحوال إلى مستوى حد من الحدود، وللمحتسب واجبات متعددة منها: منع التعديات على الشوارع، والحفاظ على قواعد الاحتشام، ومراقبة الأسواق، والاطمئنان على النظافة العامة... إلخ

٢ - أفق الشهادة الذي يتمثل في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، وقد تجسدت الشهادة بوعي واقع الآخرين والحرص على هدايتهم، لذلك أصبح المسلم داعياً إلى الله في كل أحواله: حين يتاجر، وحين يسافر، وحين يتعبد، وحين يتعلم... إلخ، وقد كانت النتيجة انتشار الإسلام عن طريق الدعوة أكثر من انتشاره عن طريق الفتوح، ففي الواقع انتشر الإسلام في أفريقيا من الصومال شرقاً إلى السنغال غرباً عن طريق التجارة، فقد قامت شبكة القوافل التي كانت تعبر الصحراء الكبرى بهذا الدور، ولم يكن العرب هم الذين قاموا بالدور الحاسم في غرس الإسلام في هذه المناطق، لكن الفضل الأكبر يعود إلى البربر أصحاب الجمال الذين كانت قوافلهم تجوب دروب الصحراء، وفي الشمال الشرقي من أفريقيا لعب الصوماليون دوراً مماثلاً كتجار قوافل في الركن الشمالي من القرن الأفريقي، وكان هناك جماعات محلية أخرى مثل الهوسا وريولا في غرب أفريقيا قامت بعد اعتناقها الإسلام بنشر الدين من خلال علاقاتها التجارية الواسعة.

أما شرقي آسيا فوصل الإسلام فيه إلى أندونيسيا وماليزيا والفلبين عن طريق التجار المسلمين في الهند ووصل إلى سهولها الداخلية عن طريق المتصوفة والمبشرين المسلمين وعندما جاء القرن السادس عشر كانت جميع الشعوب التركية في أوراسيا مسلمة تقريباً، وبهذا يكون الإسلام قد حل مكان الأديان التي كانت منافسة مثل المسيحية والمانوية والبوذية.

الثالث أفق العالمية: وقد تحقق هذا الأفق لأن الرسول صلى الله عليه وسلسم بُعِثَ إلى الناس كافة وليس للعرب وحدهم، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، وقال تعالى: أيضاً: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨، وقال تعالى: (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف:١٥٨، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في أحد أحاديثه فقال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» رواه مسلم.

وقد تحقق أفق العالمية لأن القرآن الكريم كتاب الله إلى الناس جميعاً فقال تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص:٨٧، ولأن الإسلام أقام الرابطة بين الناس على أساس الإيمان بالله ولم يقمها على جنس أو نسب أو قبيلة فقال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يأيها الناس إن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

عالمية الإسلام تتحقق لأن الرسول بعث للناس كافة وليس للعرب وحدهم

لذلك مزجت الأمة الإسلامية مختلف الأجناس والأعراق والقبائل والشعوب في بوتقتها، وهذا المزج هو ما حلم به الفيلسوف أرسطو وتلميذه القائد العسكري الإسكندر المقدوني، وسعيا إلى تحقيقه بمزج العرقين: اليوناني والفارسي في بابل من خلال زواج الإسكندر المقدوني بابنة كسرى ملك الفرس وزواج كبار ضباطه بشريفات الأسر الفارسية، لكن هذه المحاولة انتهت بوفاة الإسكندر المقدوني

وقد أثمرت عالمية الأمة الإسلامية حضارة عالمية كان للعرب دور مستقل في بداية ظهور الإسلام ولفترة وجيزة، لكن الشعوب الأخرى شاركتهم بعد ذلك في كل عناصرها العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلخ...، لذلك نجد أن الصرح العلمي في الحضارة الإسلامية بناه علماء من العرب والفرس والهنود إلخ...، وأن الأرض الإسلامية دافعت عنها قبائل وأسر سلجوقية وزنكية، وكردية، وتركمانية، وشركسية، وعثمانية ... إلخ، وأن القيادة السياسية تسلمها العرب من البربر والترك والفرس ... إلخ.

وما ساعد في تحقيق هذه الحضارة العالمية اعتبار الإسلام الأمة الإسلامية مع أمم الأنبياء السابقين أمة واحدة فقال تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون:٥٢، وقال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢، وقد جاء الوصف بالأمة الواحدة في السورتين بعد حديث تفصيلي عن معظم الأنبياء السابقين ومنهم: موسى، وهارون، وإبراهيم، ولوط، وإسحق، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ... إلخ.

وما عزز هذه العالمية إفراد مساحة تشريعية وبخاصة في التعامل مع أهل الكتاب: أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، حيث أباح الإسلام أكل ذبائحهم والزواج بنسائهم فقال تعالى: (وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) المائدة:٥.

الأرض الإسلامية دافعت عنها قبائل وأسر سلجوقية وزنكية وكردية وتركمانية وشركسية وعثمانية

إن هذه الآفاق الحضارية التي حققتها الأمة الإسلامية في التاريخ جديرة بأن تكون محل بحث تفصيلي لكي نحسن فهم واقعنا، ونحسن التعامل معه حاضراً ومستقبلاً ■

بقلم: أحمد محمد بكر موسى

يسعدني أن التقي بكم هذه المرة لكي نجيب على السؤال التالي: موضوعات حقوق الإنسان التي تختلف فيها المواثيق الدولية مع الشريعة الإسلامية، هل نتبع فيها المواثيق الدولية المستخلصة من الحضارة الغربية «الأميركية خصوصاً» أم من حقنا أن نتمسك فيها بالشريعة الإسلامية؟ أو بمعنى آخر هل نكون نحن كما نريد نحن أم نكون نحن كما تريد أميركا؟ هذا هو موضوع عولمة حقوق الإنسان، والذي نتناوله من خلال الموضوعات التالية:

عولمة حقوق الإنسان!!

العولمة:

إن التوصيف الإجرائي للعولمة يشير إلى الدعوة إلى سيطرة الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الغربية على شعوب العالم الثالث، وعلى حساب تراث تلك الشعوب، بدعوة أن العالم أو الكوكب يعيش كقرية كبيرة تتأثر بما أنتجه الغرب من مؤثرات مادية وتكنولوجية، بل يؤدي هذا التأثر إلى غياب أصل التراث الحضاري لهذه الشعوب، وبذلك يعيش أفراد هذه الشعوب في غربة فكرية عن جذورهم الثقافية التي جعلت منهم شعوباً متميزة بثقافتها عبر العصور التاريخية.(١)

فالعولمة: تدل على فعل وليست صفة، يراد بها محاولة إخراج شيء عن طبيعته الإقليمية وفرضه على المجتمعات الأخرى، وإن لم يتفق في طبيعته ونتائجه مع طبيعة وظروف تلك المجتمعات، فالعولمة لا تعترف بالآخر، بل تنكر حقه في الاحتفاظ بخصوصياته الثقافية والاجتماعية.(٢) فهي واقع أخذت قوى الغرب بقيادة الولايات المتحدة في تطبيقه من أجل صياغة العالم على قالبها ونمطها ونموذجها الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي وعلى دول العالم أن تغمض عيونها عن حقوقها وخصوصيتها الثقافية والحضارية والقانونية، أي أن التعددية والتنوع ينبغي أن ينتهيا من العالم لحساب القوة الأعظم.(٣) ولقد تناول المفكرون موضوع العولمة من أغلب الزوايا: السياسية، الاقتصادية، الإعلامية، الثقافية،، وغيرها، ولكن أحدا منهم لم يفرد موضوع عولمة حقوق الإنسان ببحث، ويسعدني أن أحاول ملء هذا الفراغ.

الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان:

أشرنا في لقاء سابق إلى الاهتمام العالمي الكبير والمتنامي بحقوق الإنسان، وكيف نال هذا الموضوع الحيوي الاهتمام على المستوى العالمي المتمثل في الاهتمام البالغ من منظمة الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية العالمية، ولقد تنوع هذا الاهتمام من الاهتمام بالإنسان عموماً، وذلك مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦م والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والثقافية ١٩٦٦م، وكذلك تناول الاهتمام بحقوق قطاعات معينة من البشر مثل اللاجئين، فصدرت لحمايتهم على سبيل المثال الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين ١٩٥١م وغيرها، كما كان الاهتمام البالغ بالقضاء على التمييز العنصري، مثل الاتفاقية الدولية لقمع جريمة التمييز العنصري والمعاقبة عليها ١٩٧٣م وغيرها. وكذلك حماية حقوق الأطفال، مثل اتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩م وغيرها، وكذلك حماية حقوق المرأة، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ١٩٨١م وغيرها، وكذلك حماية حقوق عديمي الجنسية، مثل اتفاقية وضع الأشخاص عديمي الجنسية ١٩٦٠م، وغيرها الكثير والكثير من الإعلانات والاتفاقات العالمية التي لا يتسع المجال لذكرها، ولم تنل موضوعات حقوق الإنسان الاهتمام على المستوى العالمي فحسب، بل نالت الاهتمام على المستوى الإقليمي أيضاً، مثل ذلك الاتفاقية الأميركية لحقوق الإنسان الصادرة عن منظمة الدول الأميركية، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان الصادرة عن مجلس أوروبا، الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب الصادر عن منظمة الوحدة الإفريقية، الميثاق العربي لحقوق الإنسان الصادر عن جامعة الدول العربية، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام وغيرها كثير.

واقعية الاختلاف:

من المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصيته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يتكرر فهي أشبه بالبصمة الثقافية المتفردة، كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها الثقافية مثل المنطقة الإسلامية على سبيل المثال، وإن كانت هذه الخصوصية الثقافية لا تنفي في الواقع القاسم المشترك مع باقي المجتمعات والمناطق الحضارية، بحكم أننا جميعاً ننتمي في الواقع إلى القاسم المشترك مع باقي المجتمعات والمناطق الحضارية، بحكم أننا جميعاً ننتمي إلى الجنس البشري، فالإنسان أولاً وأخيراً هو الإنسان في كل مكان(٤)، وكما يقول هنتنجتون: فإن العالم توجد به سبع حضارات رئيسة هي الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، أميركا اللاتينية، الإفريقية، وهذا بخلاف الحضارات الصغيرة(٥)، فعلى سبيل المثال الحضارة الغربية الراهنة هي نتاج الفكر اليوناني والمسيحي والنهضة الصناعية، وهي تختلف عن الحضارة الإسلامية أو الصينية التي تستند إلى أسس ثقافية وقيم وممارسات مختلفة.(٦)

وإذا نظرنا إلى قضية الاختلاف في الشريعة الإسلامية، نجدها قد حسمت بقول الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود آية ١١٨ ـ ١١٩، فالشريعة الإسلامية تقرر واقعية الاختلاف، بل تعترف بحق الآخر في الاختلاف ثم تنظم ممارسة الاختلاف، انظر قول الله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦.

شرعية الاختلاف:

وفي الواقع لا يتمتع الاختلاف بصفة الواقعية ولا بالشرعية الإسلامية فحسب، بل يتمتع أيضاً بالشرعية الدولية، فالاختلاف والحق في الاختلاف منصوص عليه في قرارات المنظمات الدولية العالمية والإقليمية، وكذلك التجمعات الحضارية، وفي معرض تدليلنا على أن الاختلاف مشروع ويقره القانون الدولي، وسنسوق من الأمثلة التي لا حصر لها، ثلاثة فقط أحدها عالمي، والثاني إقليمي، والثالث حضاري.

الدليل العالمي:

هذا الدليل مستمد من الأمم المتحدة «قمة المنظمات العالمية بلا خلاف» وبالتحديد من الجمعية العامة التي هي أصل السلطة في الأمم المتحدة، فقد تنبهت الجمعية العامة إلى أهمية الاختلاف والتباين بين المجتمعات وتأثيره على عالمية حقوق الإنسان، وقد جاء في قرار الجمعية العامة في ١٦ ديسمبر ١٩٧٧م ما يلي: «وأن بحث هذه الحقوق ينبغي أن يتم في إطار عالمي، مع الأخذ في الاعتبار تباين المجتمعات واختلافها».

الدليل الإقليمي:

يأتي هذا الدليل من آسيا، حيث اجتمعت الدول الآسيوية قبل شهرين من انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لحقوق الإنسان والذي انعقد في فينا في الفترة من ١٤-٢٥ يونيو ١٩٩٣م وقد اجتمعت في بانكوك وأصدرت بياناً بأن حقوق الإنسان يجب النظر إليها «في إطار ... الخواص القومية والإقليمية والخلفيات التاريخة والدينية والثقافية المختلفة»(٧).

الدليل الحضاري:

وهو دليل حضاري وإقليمي أيضا وهو يأتي من جامعة الدول العربية، حيث الحضارة الإسلامية، حيث أصدر مجلس الجامعة قراره رقم ٢٦٨ وذلك في دورة الانعقاد العادية لمجلس الجامعة بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٧٠م، وقد نص القرار على تشكيل لجنة من الخبراء لوضع مشروع إعلان عربي لحقوق الإنسان على أن يراعي هذا المشروع «الظروف التاريخية والتراث الحضاري والروحي والثقافي للأمة العربية».(٨)

وكذلك صدر عن مجلس الجامعة العربية القرار رقم ٥٨١٩ بتاريخ ١٩٩٨/٩/١٧م وذلك بخصوص الموافقة على الخطوط الاسترشادية في مجال وضع معايير لعالمية حقوق الإنسان، وقد جاء في القرار: توصي اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان بالاسترشاد بما يلي:

١ ـ التمسك بالخصوصيات الدينية والاجتماعية والثقافية، التي تشكل موروثات وروافد تسهم في إثراء المفاهيم العالمية المشتركة لحقوق الإنسان.

٢ ـ التمسك بالسمات الخصوصية والقيم الأصلية في كل مجتمع لايعني الاغتراب الحضاري أو الانغلاق على الذات.(٩)

نسبية حقوق الإنسان:

بعد العرض السابق الذي بان فيه أن الاختلاف واقع وأنه مشروع دولي، وذلك من واقع قرارات المنظمات الدولية العالمية والإقليمية وبعد هذا العرض أستطيع القطع بأن مفهوم حقوق الإنسان نسبي وليس مطلقاً. فمفهوم حقوق الإنسان بطبيعته ينتمي إلى العلوم الاجتماعية، وهي العلوم المتصلة بالقيم السياسية والأخلاقية، وهذه القيم بطبيعتها نسبية ومتغيرة فما يعتبره مجتمع ما قيمة سياسية أو أخلاقية لا ينظر إليه مجتمع آخر النظرة نفسها، ولنا في مفاهيم الحرية والديموقراطية والعدالة والمساواة والعلاقات الجنسية وغيرها خير شاهد على ما نقول، فكل مجتمع يفسر هذه المبادئ والمثل بطريقته، فبعض المجتمعات تهتم بالمفهوم السياسي للحرية، ومجتمعات أخرى تهتم بالمفهوم الاقتصادي، والشيء نفسه ينطبق على الديموقراطية والمساواة والعلاقة بين الجنسين، بل أحياناً بين أفراد الجنس الواحد فهي تدخل في نطاق حرية الفرد لدى مجتمع ما، وتدخل في نطاق القيم الأخلاقية لدى مجتمع آخر.(١٠)

ونسوق مثالاً للتدليل على أن ما يصلح لمجتمع ما قد لا يصلح لمجتمع آخر، وذلك تبعاً لاختلاف التراث والثقافة والعقيدة وغيرها من عوامل الاختلاف بين المجتمعات، وهناك مثل آخر عن ما صدر عن هيئة الأمم المتحدة موافقة الجمعية العامة في يوليو ١٩٩٩م على تطبيق التوصيات التي أقرها مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٩٤م، ومن أهمها حق المرأة في الإجهاض، فهذا الحق المزعوم قد يوافق المجتمعات الغربية، ولكنه لا يوافق المجتمعات الإسلامية بأي حال من الأحوال، فمعلوم أن الشريعة الإسلامية أضفت حماية بالغة للجنين وحرمت الإجهاض وعاقبت على الجناية عليه بالدية إذا نزل حيا وبالغرة إذا نزل ميتاً بالإضافة إلى الكفارة وذلك على تفصيل لايتسع له هذا المجال. ولكن الذي

يعنينا في هذا المجال هو توضيح علة منع الشريعة الإسلامية للإجهاض والتشديد في معاقبة فاعله، تلك العلة التي تتمثل في الضرر الذي يلحق بالأم والمجتمع، فأما الضرر الذي يلحق بالأم فيتمثل في احتمال تعرضها للمخاطر الصحية التالية في أثناء عملية الإجهاض والتي منها:

١ ـ الصدمة العصبية في أثناء عملية الغسيل المهبلي أو عند إدخال الأجسام الغريبة داخل الرحم.

٢ ـ النزيف نتيجة فصل المشيمة أو قطع أحد الأوعية الدموية.

٣ ـ انثقاب الرحم عند استعمال الآلات.

٤ ـ تقيح الغشاء المبطن للرحم نتيجة استعمال آلات غير معقمة.

٥ ـ التسمم نتيجة استعمال العقاقير، وغيرها كثير من الأضرار الصحية التي لا يتسع المجال لذكرها.(١١)

وأما الضرر الذي يلحق بالمجتمع، فإن الإجهاض يؤدي إلى تناقص النسل مما يهدد بانقراضه ويؤدي إلى انتشار الفاحشة فتزداد الفوضى الجنسية وتقتل روح الأمومة عند المرأة والشعور بالمسؤولية عند الرجل.

هذا وقد نص إعلان حقوق الإنسان في الإسلام في الفقرة (أ) من المادة السابعة على التالي:

«لكل طفل منذ ولادته حق على الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية، كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤهما عناية خاصة»، وهل يعقل أن ننظر إلى الإجهاض على أنه حق للمرأة ولا ننظر إليه من ناحية حق الجنين في الحياة؟!

وعلى هذا فإباحة الإجهاض تتناسب مع الثقافة الغربية التي تقوم على الفوضى الجنسية والإباحة المطلقة.

وتجريم الإجهاض يتناسب مع الثقافة الإسلامية التي تقوم على تنظيم ممارسة الجنس وتحريم الزنى، فهل يجوز أن يفرض على المجتمعات الإسلامية إقرار حق المرأة في الإجهاض وهو يتعارض مع عقيدتها وأعرافها؟.

عولمة حقوق الإنسان:

عرضنا لواقعية الاختلاف وشرعيته في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، فماذا تفعل الولايات المتحدة حالياً بخصوص حقوق الإنسان؟!! إن أميركا التي تتشدق بالديموقراطية وتعدد الأحزاب، ترفض رفضاً باتاً الاختلاف وتعدد الحضارات على المستوى العالمي، فهي تسعى إلى فرض مفاهيمها عن حقوق الإنسان والتي بثتها في المواثيق والإعلانات الدولية على العالم أجمع بغض النظر عن مخالفة تلك المفاهيم لثقافات وعقائد الشعوب الأخرى، فالولايات المتحدة التي تحض العالم على إلغاء عقوبة الإعدام، قد حكمت بالإعدام على التنوع والاختلاف دون أن تسمع دفاع باقي الحضارات ولم تسمح لأحد بالطعن في الحكم وهي ماضية بالفعل في تنفيذ هذه العقوبة.

فعولمة حقوق الإنسان نقصد بها «محاولة فرض مفاهيم حقوق الإنسان الغربية ـ الأميركية وبخاصة ـ على سائر مفاهيم الحضارات الأخرى»، فهي ـ بهذا نوع من التعصب الأعمى للذات ـ التي تتطرف في تحويل ذاتها إلى مطلق وتكسب ما ينبثق عنها صفة «الإطلاقية والتقديسية»، كلماتها، أفكارها، شعارها، إلخ. وتفرضها على الآخرين الضالين الذين عليهم أن يرتقوا إلى سن الرشد المزعوم، وطلب الغفران، والرجوع بعد الضياع إلى فردوس أفكار المُخَلِّص.(١٢)

بالطبع لا يجوز بأي حال من الأحوال فرض تلك المبادئ المستخلصة من الثقافة الغربية على جميع أنحاء العالم، لأن في ذلك انتهاك لحق الإنسان في الاختلاف، إن لكل أمة هوية هي الأساس في تحديد النظم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية لتلك الأمة، فلا يجوز فرض ثقافة على ثقافة أخرى لأي سبب أو بأي حجة، وعلى ذلك فما تفعله الولايات المتحدة حالياً من محاولة فرض إعلانات حقوق الإنسان على العالم أجمع ـ على ما فيها من مبادئ تتعارض مع ثقافات وعقائد الأمم الأخرى ـ ما هو إلا نوع من العنف الثقافي تسخّر له الولايات المتحدة كل إمكاناتها العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، بل قوتها العسكرية إذا اقتضى الأمر لفرض تصوراتها الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الإنسان، وغير ذلك من المفاهيم التي لها تصور خاص عند كل أمة، بل عند كل توجه فكري وسياسي.

وحول هذه العولمة أو «الأمركة» قال جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي في عهد الرئيس ميتران أمام اليونسكو في المكسيك «إنني استغرب أن تكون الدولة التي علمت الشعوب قدراً كبيراً من الحرية ودعت إلى الثورة على الطغيان، هي التي تحاول فرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم، وأن هذا الشكل من أشكال الإمبريالية الفكرية لا يحتل الأراضي ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش». ويذهب عبدالإله بلقزيز إلى أن «الاختراق الثقافي ليس غير هذا العنف الذي يقوم على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته وأن العولمة بهذا المعنى ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم و«التقانة» في ميدان الاتصال، وهي «أي العولمة» التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات الآخر، وبخاصة في أفريقيا وأميركا الشمالية والوسطى والجنوبية»، إن العنف الثقافي فعل عنف وتكثيف إعلامي شرس وإنكار للثقافات الأخرى وفتح العدسة إلى أقصاها على الثقافة الأميركية كي تبهر العيون، فلا يبقى سواها مع الوقت في عصر العولمة».(١٣)

والولايات المتحدة في سبيل عولمة حقوق الإنسان تستعمل الكثير من الوسائل، منها على سبيل المثال، الإعلام، المنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية، الحكومات العميلة وغيرها كثير، وسنعرض لبعض هذه الوسائل، وقبل أن نعرض لهذه الوسائل أحب أن أشير إلى أن الولايات المتحدة وهي تقوم بدور العولمة هذا فهي تقوم بدور فرعون حين قال لقومه في القرآن الكريم: (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) غافر:٢٩، هذه الآية الكريمة

التي مثلت الوصفية والمعيارية الثقافية التي تحدث عنها هنتجتون في صدام الحضارات حيث يقول: «يمثل التنوع والاختلاف الحضاري تحدياً للاعتقاد الغربي والأميركي وبخاصة في عالمية الثقافة الغربية، هذا الاعتقاد يتم التعبير عنه على نحو وصفي وعلى نحو معياري في الوقت نفسه.

وصفياً: يرى أن كل المجتمعات تريد أن تتبنى القيم والمؤسسات والممارسات الغربية، وإذا ظهر أن لديهم الرغبة أو أنهم يريدون أن يكونوا ملتزمين بثقافاتهم التقليدية، فلابد أن يكونوا ضحايا وعي زائف.

معيارياً: فإن المعتقدات الغربية العالمية تفترض أن شعوب العالم بأسره لابد أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية، لأنها تجسد أرقى فكر ولأنها أكثر استنارة وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضراً»(١٤).

فعلى هذا فإن قول الله تعالى على لسان فرعون: (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) غافر:٢٩، ينطبق تماماً على الوصفية الثقافية، وقوله تعالى: (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ينطبق تماماً على المعيارية الثقافية، هكذا تسير أميركا في طريق فرعون نفسه، فهل ستلقى مصيره أم ستدوم لها الهيمنة والزعامة والملك؟!.

وهيا بنا إلى الوسائل التي يتخذها فرعون - معذرة - التي تتخذها أميركا في سبيل عولمة حقوق الإنسان، لتحكموا بأنفسكم هل «تفرعنت» الولايات المتحدة أم لا؟

الإعلام:

لاشك أن الإعلام هو أهم وسائل الولايات المتحدة إلى فرض وجهة نظرها عن حقوق الإنسان على العالم أجمع، فهي تستغل إمكاناتها الاتصالية الفائقة في محاولة إقناع العالم بأفكارها وبمبادئها وذلك بغض النظر عن فكر ومبادئ الآخرين، فمثلاً تسمع من القسم العربي لصوت أميركا عقب نشرات الأخبار تعليقاً يصدره المذيع بعبارة «تقدم صوت أميركا وجهات نظر مختلفة وفيما يلي تعليق يعبر عن سياسة الحكومة الأميركية»، ثم يبدأ المذيع في كيل الاتهامات للدول التي يرى أنها تنتهك حقوق الإنسان فيقول إن دولة كذا تنتهك حق الإنسان في كذا، أو أنها تتبنى سياسة كذا، ومن أجل هذا فإن الولايات المتحدة ستتخذ ضدها إجراءات عقابية حتى ترتدع عن هذه الأعمال، ثم يختم المذيع التعليق قائلاً: «كان هذا تعليقاً يعبر عن سياسة الحكومة الأميركية»، إذا هي وجهات نظر وباعتراف أميركا نفسها، ولكنها تريد أن تفرض وجهة نظرها هذه على العالم أجمع، وكثيراً ما تكون هذه الأعمال التي تعتبرها الولايات المتحدة انتهاكاً لحقوق الإنسان لا تعد كذلك من وجهة نظر الحكومات التي تقول أميركا أنها منتهكة ولا من وجهة نظر شعوبها أيضاً، فأين حرية الرأي وأين حرية العقيدة وأين حق الإنسان في الاختلاف؟ إن هذه الأمور لا تعترف بها أميركا التي تقول «لا أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد».

ولقد أفلحت أميركا أيما فلاح في السيطرة على عقول الكثير من مفكري العالم بغض النظر عن ثقافتهم وعقائدهم، وهذا ما حدث بالفعل في عالمنا الإسلامي، وإن تفاوت هذا التأثر بهذا الغزو الأميركي المتمثل في محاولة عولمة حقوق الإنسان. حتى أن أساتذة الجامعات المتخصصين في الشريعة الإسلامية أنفسهم لم يسلموا من هذا التأثر، فكثير منهم أصبح يتحرج من قول إن الشريعة الإسلامية كفلت حقوق الإنسان أفضل من القانون الوضعي ويتردد أيضاً في الإشراف على رسائل الدكتوراه التي تقارن بين الشريعة الإسلامية وقانون حقوق الإنسان، فكأن هؤلاء يقولون كيف نواجه هذا السيل الإعلامي الأميركي المناصر لمواثيق حقوق الإنسان؟ وكيف نقول ما يخالف وجهة النظر الأميركية التي تريد أن ترفع تلك المبادئ إلا حد التقديس؟.

وفي الواقع لم يسلم من التأثر بهذه العولمة حتى كبار العلماء المدافعين عن الشريعة الإسلامية، ويحدث ذلك حتى في المؤتمرات التي تعقد خصيصاً لخدمة الشريعة الإسلامية، وإليكم مثالاً على ذلك من واقع أعمال المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد في القاهرة في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول سنة ١٤٢٠هـ، فقد تقدم الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري الأسبق ببحث إلى المؤتمر تحت عنوان «أثر العولمة على الهوية الثقافية في العالم الإسلامي»، وكان بحثاً بالغ الجودة والإتقان تعرض فيه لكثير من موضوعات الحضارة الإسلامية وبين تميزها وفضلها، ثم تناول موضوع حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وهنا ظهر تأثره بالإعلام الأميركي حول حقوق الإنسان، فقد تعرض لبعض حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية فأجاد، ثم ختم موضوع حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية بالعبارة التالية «وهكذا يتبين أن الحضارة الإسلامية تتلاقى مع الحضارة الغربية في خصوص كفالة حقوق الإنسان»(١٥)، وتعليقي على هذه العبارة، أن الحضارة الغربية هي التي لن تتلاقى بأي حال من الأحوال مع الحضارة الإسلامية في كفالة حقوق الإنسان واحترام آدميته وكرامته، فالعقل البشري مهما تقدم لن يصل إلى مستوى التشريع الإلهي، فإعلانات ومواثيق حقوق الإنسان التي صاغها البشر مليئة بالأخطاء والمتناقضات، وذلك على خلاف الحقوق المستمدة من الشريعة الإسلامية التي هي من عند الله العليم بأحوال عباده وما يصلح دينهم ودنياهم في كل زمان ومكان، وبالطبع فإن الدكتور صوفي أبو طالب لا يجهل هذه الحقائق وهو خير من يصيغ العبارة، ولكن الذي دفعه إلى هذه الصياغة «من وجهة نظري» هو ذلك الغزو الإعلامي وذلك السيل الإعلامي الجارف الذي يؤيد إعلانات حقوق الإنسان، فكأنما تحرج سيادته أمام هذا السيل أن يقول إن الحضارة الإسلامية تتفوق على الحضارة الغربية وتتجاوزها.

المنظمات غير الحكومية:

وهذا الأخطبوط المسمى الولايات المتحدة لم يكتفِ بنسج خيوطه الإعلامية والسياسية والاقتصادية وغيرها لفرض وجهة نظره حول حقوق الإنسان على العالم أجمع بل راح يجند في الدول التي يريد أن يقتل ذاتيتها وخصوصيتها، يجند فيها من أبنائها من باعوا دينهم ووطنهم ويكوّن منهم منظمات يسميها منظمات حقوق الإنسان و«الإنسان والإنسانية منها براء»، وهذه المنظمات لا همَّ لها إلا محاولة هدم ذاتية أوطانها وملء قلوب

المواطنين بتقديس مبادئ حقوق الإنسان، على الرغم من تعارض بعض تلك المبادئ مع عقائد هذه الشعوب.

وأعضاء هذه المنظمات لايؤمنون بصلاح ما في يد الأمة الإسلامية من تراث وعقيدة لمواجهة متطلبات المسلمين واحتياجاتهم الحاضرة والمستقبلية، فاتجه هؤلاء إلى الحضارة الغربية ينشدون عندها الحل، وأسرفوا في هذ الاتجاه بحيث تخلوا عن تفكيرهم المستقل وعن شخصيتهم المستقلة واستحسنوا كل ما رأوه في الحضارة الغربية دون مراعاة الفوارق بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، وأن ما يصلح للمجتمعات الغربية قد لا يصلح للمجتمعات الإسلامية، وكانت نتيجة ذلك التعصب للنموذج الغربي وفرض سيطرته وهيمنته، مع السعي إلى اختراق خصوصيات الغير وطمس القسمات التي تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب الأخرى وبخاصة المستضعفة منها.(١٦) فلا شك أن المنظمات والاتحادات غير الحكومية تتأثر مواقفها بالاعتبارات الشخصية المرتبطة بأعضائها وبتوجهاتهم السياسية والفكرية، ما يجعل من الضروري أخذ ما تنشره تلك المنظمات والاتحادات بنوع من الحذر ومن ثمَّ فإن التدقيق والتحري لمعرفة صحة ما تحتوي عليه نشرات تلك المنظمات أمر مهم للباحثين والدارسين الجادين.(١٧)

ونسوق مثالاً لهذه الأعمال التي تقوم بها تلك المنظمات بدعوى الدفاع عن حقوق الإنسان، آخر هذه الأعمال ما قامت به تلك المنظمات العاملة في مصر، حيث ادعت وجود تمييز ضد العقيدة بمصر وأن الأقلية القبطية تتعرض لانتهاك حقوقها، وقد دحض تقرير أعده مجلس كنائس نيويورك عن أوضاع المسيحيين والأقليات في مصر كل ما يتردد في وسائل الإعلام الأجنبية وخصوصاً الأميركية من مزاعم حول تعرض الأقباط في مصر للاضطهاد، وأشار التقرير الذي قدمه الدكتور كورنيلس هالسمان عالم الاجتماع والصحفي ونائب رئيس جمعية المراسلين في القاهرة في مؤتمر صحفي عقده مجلس كنائس نيويورك أن وفداً من المجلس قد زار مصر في مارس ١٩٩٩م لاستطلاع أوضاع الأقباط في مصر وأن الوفد لم يلمس أي مظاهر للاضطهاد، وأشار الدكتور هالسمان إلى أنه التقى بثمانين فتاة مسيحية قيل إنهن قد تعرضن للاختطاف وأجبرن على اعتناق الإسلام، وأكد أنه لم يعثر على حالة واحدة استعملت فيها القوة أو القسر للإجبار على تغيير الديانة أو التحول إلى الإسلام.

وطالب هالسمان جمعيات حقوق الإنسان بمصر والخارج بضرورة توخي الدقة والموضوعية فيما يتعلق بمزاعم اضطهاد الأقباط وإجبار المسيحيات على اعتناق الإسلام.(١٨)

وبهذا يكون قد شهد شاهد من أهلهم ضد الكذب والافتراءات التي تروجها المنظمات بهدف النيل من مصر وشعبها، وأقول للدكتور هالسمان إن طلبك من تلك المنظمات أن تتوخى الدقة وعدم الاعتماد على الإشاعات لهو طلب في غير محله، إذ إنه يقوم على افتراض حسن النية لدى تلك المنظمات، والحقيقة غير ذلك تماماً، فهذه المنظمات تتعمد نشر الإشاعات ولا أبالغ إذا قلت إنها تختلق من تلقاء نفسها وقائع لم تحدث أصلاً، وذلك لتحقيق أهدافهم الخبيثة وإرضاء لمن يقدمون لهم الدعم المادي والمعنوي.

والعجيب في هذا الموضوع أن البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية قد أعلن في أميركا أن الأقباط في مصر يتمتعون بكل حقوقهم، وأن الحكومة لا تفرِّق بين مسلم ومسيحي، فالكل أمام القانون سواء، وعلى الرغم من ذلك، فإن الولايات المتحدة قد أصدرت تقريرها عن وضع الأقليات واتهمت مصر باضطهاد الأقباط!! فهل أميركا أدرى بشؤون الأقباط من البابا شنودة؟ (١٩) حقاً إذا لم تستح فافعل ما شئت، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى مع باقي وسائل الولايات المتحدة لعولمة الإنسان ونتائج العولمة ودور العالم الإسلامي في مواجهتها. ■

المصادر

١ ـ د.رأفت غنيمي الشيخ ـ جريدة العالم الإسلامي ـ عدد ١٦٠٨ ـ ٢١ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٩.

٢ ـ د. السيد محمد الشاهد ـ جريدة عقيدتي ـ القاهرة ـ عدد ٣٤٨ ـ ١٤ ربيع الآخر، ١٤٢٠هجرية ـ ص٧.

٣ ـ د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ جريدة عقيدتي ـ عدد ٣٣٧ ـ ٢٥ محرم ١٤٢٠ هجرية ـ ص١٠.

٤ ـ السيد ياسين ـ العولمة والطريق الثالث ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٩م ـ ص٤٠.

٥ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ دار سطور ـ القاهرة ـ طبعة ٢ ـ ١٩٩٩م ص٤٨.

٦ ـ د.محمد نعمان جلال ـ مصر العروبة والإسلام وحقوق الإنسان ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٩٩م ـ ص ١٠١.

٧ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص٣١٤.

٨ ـ د. محمد نعمان جلال ـ مرجع سابق ص ص١٠١.

٩ ـ المرجع السابق ـ ص٣١٨.

١٠ ـ المرجع السابق ـ ص٢٤.

١١ ـ د.ماهر مهران ـ الإجهاض ـ ص١٠٩ وما بعدها.

١٢ ـ نضال درويش ـ مجلة الطريق ـ بيروت ـ عدد ٢ مارس ١٩٩٩م ـ ص٤٥.

١٣ ـ د. مصطفى عبدالغني ـ مجلة الكويت ـ عدد ١٨٩ ـ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٢٦.

١٤ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠١.

١٥ ـ نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة ١٩٩٩م ـ ص١٠٦.

١٦ ـ د.رأفت غنيمي الشيخ ـ جريدة العالم الإسلامي ـ عدد ١٦٠٨ ـ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٩.

١٧ ـ د.محمد نعمان جلال ـ مرجع سابق ـ ص٤٥.

١٨ ـ جريدة الأخبار القاهرية ـ عدد ١٤٧١٦ ـ الأربعاء ١٩٩٩/٦/٣٠م ـ ص٥.

١٩ ـ جريدة عقيدتي القاهرية ـ عدد ٣٥٥ ـ ٤ من جمادى الآخرة ١٩٢٠ هجرية ـ ص٦.

واحة الأرواح

: عبدالغني أحمد الحداد

موئلُ النورِ والهُدى والأمانِ
في مغانيهِ كمْ تطيبُ المعاني

تَأْنسُ الروحُ في حِماهُ وتسْمو
في سماءِ علْويَّةِ الخفقانِ

ولها فيه دافقٌ من عطاءٍ
وانْطلاقٌ في عالمٍ رَحْماني

إنَّهُ واحةٌ ترفُّ ظِلالاً
تَحْضنُ الروحَ في جفافِ الزمانِ

خَشَعَتْ أنْفُسُ الهُداةِ صفاء
إذ تنددَّت بعاطرِ القُرْآنِ

وانطلاقُ الدعاء من كلِّ قلب
خاشع كي يؤوبَ بالغُفرانِ

إنَّهُ المسجدُ الذي يَحْتويها
منْهَلُ النُّور، موردُ الظمآنِ

أُسِّهُ كان من تُقى وصلاح
فارْتقى شامخاً على البُنْيانِ

بين جَنْباتهِ لقاءُ نُفوس
قد تداعتْ لموعد ربّاني

إنَّهُ موعدٌ لنيلِ فلاح
يتعالى مع انْطلاقِ الأذانِ

كُلَّ حينٍ لقاؤُها يتجلَّى
فيه طُهْرُ القلوبِ والوجدانِ

قد تسامَتْ على مظاهرِ زَيْفٍ
لاحَ لألاؤها كموجِ دُخانِ

❖❖❖

من هُنا أشْرَقتْ حضارةُ هدي
تملأُ الأرضَ بالسَّنا الإيماني

من هُنا رايةُ الفُتوحِ أطلَّتْ
تنشرُ العدلُ في مدى الأزمانِ

هي للبذْلِ والبناءِ خُطاها
لا لقَهْرِ الشُّعوبِ والأوْطانِ

أحْيتِ الحبَّ في النفوسِ وألْقَتْ
ظلَّها السَّمْحَ فوْقَ كون يعاني

حلَقُ العلمِ كَمْ تخرَّج فيها
من دُعاةٍ وعالمٍ إنْساني

يأخذُ الناسُ من جَناها ضياءَ
فهْي نورُ العقولِ والأذْهانِ

أيْنَ منَّا رِياضُ علْمٍ وهَدْي
تُثْمرُ العلْمَ وارِفَ الأفْنانِ؟

أين تلك الوجوهُ من كُلِّ فَذٍّ
خالدِ الذِّكْرِ عالمٍ ذي شأنِ؟

هل نَراها تَعودُ بعدَ غياب
تَرْفِدُ الفِكْرَ بالعَطاءِ الباني؟

❖❖❖

إيهِ مَهْوَى القلوبِ أنتَ رَجاها
ماسحاً حُزْنها بكفٍّ حنانِ

مَرْفأَ الحائرِ الذي عاش حيناً
باحثاً في حياتهِ عن الشطآنِ

وشفاءَ النفوسِ من سَقَمِ الجَدْ
بِ وبُرْءَ القلوبِ من أحزانِ

صانَكَ اللهُ للضياءِ مناراً
هادياً كُلَّ مُتْعَبٍ حَيْرانِ

سوف تَبْقَى على الزمانِ عزيزاً
مَوْئِلَ النورِ والهُدَى والأمانِ

بقلم: د.عبدالعزيز انميرات

فقه النقد وآدابه الشرعية

لسنا في حاجة إلى المزيد من التأكيد على ضرورة النقد، والنقد الذاتي بالأساس، لأنه أساس استمرار الرؤية المبصرة والهادية لعلاقة المسلم بدينه من جهة، وعلاقته بغيره من الناس من جهة أخرى، لكن الذي نرغب في تأكيده هنا، هو أن للنقد آداباً شرعية وسبلاً منهجية يقتضيها الفقه الدعوي، إذ لابد من معرفتها وامتلاكها حتى لا نسقط في الكثير من المشكلات والآفات، ونكرس مجموعة من الموبقات الحركية التي لا تخدم العمل الإسلامي، بقدر ما تكرس آفة اتباع الهوى والتعصب والجهل وربما في بعض الأحيان تمكّن لمرض الحزبية الضيقة من الاستحواذ على تفكير المسلم العامل، فتشل حركته وتعيق تواصله مع أفراد باقي الدوائر الأخرى، حتى وإن كان الرأي الذي يعتمده رأياً مخالفاً للهدي النبوي الصحيح.

إننا في حاجة ماسة إلى ممارسة وظيفة النقد، لا بمعناه القدحي والتجريحي، كما هو ملموس في المشهد الدعوي المعاصر، ولكن بمعناه ودلالته التربويتين اللتين بهما نتبين الحق من الباطل خصوصاً والاختلاف بين الناس الذي هو سنة من سنن الله في الخلق وللأنفس مصداقاً لقوله تعالى: (ولو شاء ربك لخلق الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك) هود:١١٨ ـ ١١٩، قد تحول في كثير من الأحيان إلى الفتنة التي هي أشد من القتل، في حين كان عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، مؤسساً على قواعد شرعية وآداب تربوية كان لها الأثر البالغ في تمكين الإسلام من حياة الناس، لأنهم عرفوا المدلول الصحيح لقوله جل جلاله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، وقوله جل جلاله كذلك: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) هود:٨٨.

النقد نوعان: محمود ومذموم

وإذا كان النقد والتنقاد في اللغة يدل على تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها(١)، فإنه في الاصطلاح يُراد به معنيان مختلفان، من حيث الغاية والوسيلة، فهناك النقد البناء، وهو الذي يسعى صاحبه من خلاله إلى بيان الجيد وتمييز الرديء، سواء في الأقوال أو الأفعال، مستعملاً الوسائل المشروعة المستوحاة من هدي النبوة، التي لا تجريح فيها ولا ثلب ولا طعن ولا تنقيص، يصدر عن المؤمن الصادق الذي لا يقوم بهذه الأمانة إلا غيرة على الدين وحرصاً على مصلحة المسلمين، وفي هذا يقول الحافظ ابن نصر الدين الدمشقي: «والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم، منها: أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال وأحوالهم في الانحراف والاعتدال، ومراتبهم من الأقوال والأفعال، وأن يكون من أهل الورع والتقوى، مجانباً للعصبية والهوى، خالياً من التساهل، عارياً من غرض النفس بالتحامل مع العدالة في نفسه والإتقان، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، وكان ممن اغتاب وفاء بمحرم»(٢).في مقابل هذا اللون من النقد، وهو المطلوب شرعاً وواقعاً، هناك النقد الهادم الذي يعتمد أسلوب التشهير والطعن وتتبع الأخطاء والهفوات، فصاحبه لا يتعتمد المنهاج النبوي بقدر ما يستسلم لهواه وجهله بالوسائل والمقاصد معاً، فيقع في آفات التجريح الذي يتحول في كثير من الأحيان إلى الغيبة والبهتان، إذ اختلافه مع الآخر مؤسس على البغي ومجاوزة الحد وفساد النية، يقول ابن تيمية مشيراً إلى الاختلاف المذموم: «وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ونحو ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله، أو غلبته، ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب، أو بلد، أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بني آدم، وهذا ظلم، ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً، والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب:٧٢(٣).

دوافع النقد وأسبابه

من خلال ما سبق يمكن النظر إلى دائرة النقد من خلال الدوافع والأسباب التي تكمن وراءه، والتي يمكن إيجازها في دافعين اثنين تتفرع عنهما مجموعة من الدوافع، وهما: دوافع إيجابية ودوافع سلبية:

١ ـ الدوافع الإيجابية ويمكن النظر إليها من خلال ما يلي:

أ ـ دافع الدعوة إلى الله تعالى.

ب ـ دافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح حال الناس.

ج ـ دافع النصيحة.

د ـ دافع محاسبة الذات وتزكية النفس.

٢ ـ الدوافع السلبية، ويمكن النظر إليها من خلال ما يلي:

أ ـ دافع الجهل واتباع الهوى.

ب ـ دافع الحسد والبغض والكراهية والعداء والغيرة.

ج ـ دافع التعصب والتقليد الأعمى.

بعض صور النقد

إن القيام بمهمة النقد والتقويم يقتضي اتباع المنهاج النبوي في ذلك، وبالجملة يمكن رصد صوره من خلال ما يلي:

١ ـ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، إذ الأصل في النقد تقديم النصيحة المناسبة للشخص المناسب في الزمان والمكان المناسبين وبالأسلوب المناسب.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات والوقوف في وجه الشر والفساد.

٣ ـ محاسبة النفس وتقويم السلوك وتصحيح الأخطاء، وهذه الصورة من أعظم وسائل النقد الذاتي.

٤ ـ الجرح والتعديل وهو من أعظم وسائل النقد المعرفي والفكري والتثبت والتبين.

بعض آداب النقد الشرعية

إن فهم فقه النقد والوقوف على مقاصده ووسائله يحتاج إلى فهم واستيعاب الآداب التي يقتضيها فعل التقويم الذاتي أو الجماعي، وسنسرد فيما يلي بعضاً منها، والتي بغيابها تغيب المقاصد فنسقط في آفات تضر بالأمة جمعاء:

١ ـ العلم واجتناب الظن، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦، وقال: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً...) الحجرات:١٢.

٢ ـ التثبت والتبين قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦، وقال كذلك: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة:١١١.

٣ ـ النصيحة لا الفضيحة، إذ النصيحة، كما قال الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح «كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير، إرادة فعلاً(...) والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك»(٤).

٤ ـ اعتماد الستر: قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»(٦)، وقال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيِّر»(٧).

٥ ـ اتباع منهج الحكمة والرحمة والرفق، قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت:٣٤، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٨).

٦ ـ العدل وقول الحق، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقو الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة:٨، وقال ابن تيمية: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم»(٩)، وقد بايع الصحابة رضوان الله عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم على القسط وقول الحق، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»(١٠).

خاتمة

لقد حاولنا، من خلال هذه المقالة، الوقوف مع بعض صور النقد وآدابه الشرعية وأساليبه التربوية، ملتمسين في ذلك حقيقته وضوابطه التي بها يتشكل فقهه الغائب في كثير من الممارسات الدعوية، عسانا نعي الوعي الشامل أن القصد من النقد، من الوجهة الإسلامية الصحيحة، تصويب الرؤية، وتصحيح المنهج، وفهم المقاصد، والسعي الحثيث لإقامة الإخوة الإيمانية البانية على قواعدها المطلوبة، إذ ما تفرقنا فرقاً وشيعاً إلا من بعدما جاءنا من البينات ولم نعتصم بحبل الله جميعاً، وأملنا في يوم من الأيام أن نكون من أمة التواصي بالحق: أمة الجسد الواحد. ■

النقد الذاتي استمرار للرؤية المبصرة والهادية لعلاقة المسلم بدينه

الهوامش :

١ ـ أنظر لسان العرب: مادة نقد.

٢ ـ الرد الوافر ص ٣٧.

٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم بمخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٧.

٤ ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٧٩ ـ ٨٠.

٥ ـ رواه البخاري ـ كتاب المظالم.

٦ ـ رواه أبو داود.

٧ ـ جامع العلوم والحكم، ص ٨١.

٨ ـ رواه مسلم.

٩ ـ الاستقامة ٢/٢٤٧.

١٠ ـ رواه البخاري : كتاب الأحكام.

بقلم: عثمان أحمد عبدالرحيم

كثر الحديث في العقدين الأخيرين عن أحوال الأمة الإسلامية وأسباب تخلفها وضعفها وهوانها على الناس باعتباره أحد المحاور الأساسية للحركة الإسلامية والتي تميزت بها تلك الفترة، ورأيناه قضية ملحّة تعقد من أجلها المؤتمرات وتقام لها الندوات والتي كانت تنظر لما يعرف بفقه ترشيد الصحوة وأخذ الحديث يتجه نحو عدم الاعتصام بالكتاب والسنة وفقدان القدوة ووقوع الفرقة وحدوث التهارج كأسباب وتفسير لما تعانيه الأمة.

الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

غير أن هذه الأجوبة والأسباب مع أهميتها تكاد لا تقدم أو تأخر في حل المشكلة كثيراً، لأنها أجوبة واسعة فضفاضة شاملة فهي كما نرى أصولاً عامة تصلح لأن تكون عناوين لموضوعات مادة الإنشاء أو التعبير في أحد المعاهد الدينية فهي لا تبين لنا كيف تكون البداية؟ ولا كيف نتابع السير فيها؟ ولا الأصل الذي ترجع إليه والأساس الذي قامت عليه.

نعم... إن غياب الحديث عن السنن الكونية بهذا الشكل المخيف في خطاب الحركات الإسلامية ليوحي بأن القوانين الربانية لم تعرف بعد أهميتها ودقتها التي لها دقة القوانين العلمية والمعادلات الرياضية التي تسمح بجري السفن في البحار ودوران الآلات في المصانع.

إن الناظر إلى كتاب الله تعالى يجد أنه جعل السير في الأرض والنظر في أحوال الأمم السابقة وإدراك السنن والقوانين التي حركت التاريخ من الواجبات المطلوبة من المسلمين كتكليف شرعي له قداسته وقدره وأجره وثوابه، قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل...) الروم:٤٢، وقد تكرر مجيء هذا الأمر في القرآن ست مرات (الأنعام - النمل - العنكبوت - الروم - النحل - آل عمران) ما يوحي بأهميته وعظم قدره.

وجعل القرآن غفلة المشركين عن معرفة هذه السنن وإدراكها من أسباب ضلالهم وبوارهم فجاء الإنكار عليهم بقوله: (أوَلم يسيروا في الأرض فينظروا...) الروم ١٠، مكرراً سبع مرات في كل من (غافر - يوسف - الروم - فاطر غافر - محمد).

ولا شك في أن معطيات الوحي في الكتاب والسنة تضمنت خلاصة السنن التي تحكم الحياة والأحياء بما عرضت له من القصص القرآني عن نهوض الأمم والحضارات وسقوطها وربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ليعتبر أولو الأبصار قال تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذين بين يديه) يوسف:١١١.

يقول الشيخ أبو حامد الغزالي في حديثه عن أقسام العلوم ومدى أهميتها «أما القسم المحمود وذلك أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه». «إحياء علوم الدين:١/١٣٤»

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن من خلقه سنناً يوجب علينا: أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون لها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم وبينها العلماء بالتفصيل، عملاً بإرشاده كالتوحيد، والأصول، الفقه، والعلم، بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة...» (تفسير المنار:١/٢٦٠).

لقد قدم لنا القرآن قصة ذي القرنين كنموذج لإمكان الإنجاز بمعرفة الأسباب وكشف السنن وإدراك القوانين وربط المقدمات بالنتائج، فقد سار ذو القرنين في الأرض من أقصاها إلى أقصاها وتعرّف من خلال هذا السير إلى الظروف والشروط التي تكسبه المنعة وتعطيه القوة ليتمكن من نشر الحق فكان كالمهندس الذي عرف أسباب التردي ووسائل التمكين في الأرض فوضع الخطط ورسم الطريق واستحضر ما يلزم لإتمام الإنجاز من أيدٍ عاملة ومواد مطلوبة وأسباب مشروعة وسطّر القرآن هذه القصة حاضرة أمام العقل المسلم ليقرأها كل يوم جمعة.

لقد بذلت المذاهب الفكرية والمدارس الفقهية والمنتديات العلمية قديماً وحديثاً الجهود وأنفقت الأموال في الحديث عن المسائل الخلافية والاجتهادية ولو أنها أنفقت معشار ما بذلته وأنفقته لتأصيل هذا العلم وتأسيسه لكان ـ لا شك ـ خيراً وأحسن تأويلاً لأنه مهما كان قدر الفروع من الأهمية فلا خوف أن هذا الأصل أسبق والعكوف عليه أجدى.

يقول الشيخ رشيد رضا: «لم يقصر المنصفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى...» (تفسير المنار:١/٤١٠).

ويقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «هذا السير وهذا الاستقراء الذي يحقق الاعتبار لأولي الأبصار لم يأخذ بعد البعد المطلوب في العقل المسلم المعاصر وعلى الرغم مما قيل حتى الآن من تعريف للسنن وأهمية إداركها وضرورة التعامل معها، إلا أن رصيدنا لم يخرج في ذلك عن بدايات ونظرات لم تتجاوز إلى الكنه ولم تتسع لتشكيل مجرى ثقافياً عاماً في الأمة، وإنما بقيت في إطار بعض المفكرين والمتأملين الذين يمكن اعتبارهم رواد الاستطلاع والاستشراف على الرغم من أن القرآن حض على ذلك في أكثر من موضع. (مقدمة كتاب الأمة «أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في خلقه» ص٢٠).

فإذا كان القرآن قد اهتم بتقرير هذه القاعدة أو أمر بها في أكثر من موضع فإن الواجب على الدعاة والمفكرين أن يهتموا بما اهتم به القرآن فأين هذا الاهتمام؟ وأين النظر؟ بل أين السير أصلاً؟ أين التعمق في التاريخ والتبحر في مدخلاته ودهاليزه لاكتشاف هذه السنن والقوانين للاهتداء بها والاتعاظ بما سبق منها أو حتى لتضع أيدينا على مكمن مصاب الأمة؟

إن من يسير في زماننا هذا إما أن يسير سير البلهاء اللاهين المترفين الذين ينتهي بهم قصدهم على مزابل الحضارة الغربية وما أنتجته من إباحية وفساد وإما أن يسير إلى هناك للدراسة أو البحث فيقرأ التاريخ قراءة خاطئة فيعود إلينا مفتوناً مسحوراً يطعن في ديننا ويسب نبينا.

إن غرس العلم في نفوس شباب الصحوة يعطيهم آفاقاً متسعة، وطاقات هائلة من الجد والاجتهاد والالتزام يعلمون من خلالها أن الصراع بينهم وبين أعدائهم يجري على قواعد ثابتة، وطرق قويمة من سار عليها فاز وانتصر وإن كان زنديقاً أو وثنياً، ومن تنكبها، انتكس وخسر وإن كان صدّيقاً نبياً لأن من طبيعة هذه السنن أنها لا تعرف المجاملة أو التمييز والتفريق وعلى ذلك يتخرج ما حدث للمسلمين يوم أحد حين خالفوا إحدى سنن الله بعصيانهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت الآيات ترد كل ما حدث لهم من جراحات جسدية ومعنوية إلى مخالفة القوانين الإلهية والسنن القرآنية وتدعوهم إلى التبصر بها وإدراكها وانتهاجها سبيلاً إلى التمكين والغلبة قال تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) آل عمران:١٣٧ ـ ١٣٨.

يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله عن الآية «والقرآن الكريم يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها والأمور، فهم ليسوا بدعاً في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف الأمور لا تمضي جزافاً إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين من دون الأخذ بأسباب النصر والتمكين وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول والسنن التي يشير إليها السياق هنا ويوجه أبصارهم إليها هي عاقبة المكذبين على مدار التاريخ ومداولة الأيام بين الناس والابتلاء لتمحيص السرائر وامتحان قوة الصبر على الشدائد واستحقاق النصر للصابرين والمحق للمكذبين». (في ظلال القرآن:١/٤٥٠)

إن الأمر سهل ولا يحتاج لعناء أكاديمي أو إرهاق علمي لأن القرآن وضع أقدامنا على بداية الطريق في هذا العلم وقدّم لنا النتائج والمآلات والنماذج من خلال قصص الأنبياء مع أقوامهم والتي تعد منجماً زاخراً بالعبر والدروس، وبحراً لا ينفد عطاؤه بالسنن والعظات إضافة لما لهذه النتائج والدروس من قداسة ونزاهة حيث إنها إخبار العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

كل ما يحتاج الأمر أن تستنبط هذه القوانين وتصاغ في قالب تربوي، ومشروع نهضوي تتضمنه برامج المؤسسات الدعوية والتربوية المنوط بها إخراج الأمة من حفر التخلف التي تعيش فيها ليكون علماً مستقلاً له برامجه ومنهاجه وطرقه التقويمية.

إن ترسيخ هذه السنن والقوانين لن يتأتى بأسلوب وعظي رقائقي أو طرح سطحي هامشي، كما لا يتأتى بمؤتمر ينعقد تحت عناوين فضفاضة وينفض عن ورقة توصيات لا تسمن ولا تغني من جوع. إنما يكون ترسيخ هذا العلم من خلال قراءة متأنية ومعرفة كاملة بمقاصد الشريعة، ومقتضيات العقيدة تغرس في نفوس شبابنا منذ الصغر مع حفظهم للقرآن وتعلمهم الفقه، والتوحيد، والتبصير بمعاني القرآن من قصص وأحداث، وعدم الوقوف عند السرد التاريخي المجرد للوقائع دون نظر إلى الفوائد والعبر، لتكون هذه السنن حية في عقولهم، حاضرة في تصوراتهم، يرتبون عليها حياتهم، وينظمون عليها أولياتهم، ويقيسون بها مدى قربهم من تحقيق النصر والتمكين.■

د. محمد السيد المليجي

العولمة وقيمنا الأخلاقية

من حين لآخر تهب علينا رياح عاتية، تحاول في كل مرة اقتلاعنا من هويتنا وانتزاعنا من قيمنا وأعرافنا وسجايانا الطيبة.

وكانت آخر هذه الرياح، إعصار «العولمة» الذي جرف العديد، وهنا تجدر الإشارة إلى إلقاء الضوء على مفهوم المصطلح نفسه ونشأته التاريخية.

تعريف العولمة:

اختلف الآراء حول معنى العولمة وتحديد مدلولها، ما أدى إلى تعداد التعريفات وتنوع الدلالات التي تحملها هذه التعريفات.

ويمكن القول: إن اختلاف الآراء حول مدلول «العولمة» لم يمنع من النظر إليها على أنها نظام عالمي جديد أفرزته الحضارة الغربية لتحاول من خلاله توحيد النظم والقوانين التي تحكم حركة الحياة في المجالات المختلفة مثل: المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي... إلخ.

وأثبتت كتب التاريخ أن توحيد العالم على نظام عالمي واحد لم يكن من اختراع العقل الغربي في العصر الحاضر، بل دارت الفكرة في أذهان العديد من شخصيات الحضارات الأخرى.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن تاريخ العولمة قديم قدم الحضارة المصرية الفرعونية، حيث كان الملك والفيلسوف «اخناتون» أول من دعا إلى تكوين دولة عالمية تخضع لقانون واحد.

ويذهب باحث آخر إلى أن العولمة خرجت من رحم الفكر اليوناني القديم وبخاصة «الفكر الرواقي».. وكانت مقابل فكرة دولة المدنية أو «المدنية الدولة» التي سادت الفكر اليوناني الأفلاطوني والأرسطي، حيث نادى الرواقيون بفكر سياسي مختلف قام على أساس فكرة «الدولة العالمية» التي تخضع لحاكم واحد وقانون عام.

ومن ثم تصبح «العولمة» مصطلحاً جديداً لمفهوم قديم، أسهمت فيه بعض الحضارات الأخرى بجانب الحضارة الغربية الحديثة.

أبرز التغيرات الأخلاقية في ظل العولمة

إذا أردنا الحديث عن التغيرات التي أحدثتها «العولمة» في مجالات حياتنا يجب علينا أن نلفت نظر ـ القارئ الكريم في البداية ـ إلى أننا لسنا ضد العولمة ولسنا معها، ولكن مع النظرة الواعية لهذه الظاهرة.

تاريخ العولمة قديم قدم الحضارة المصرية الفرعونية

فلا يخفى على كل بصير أو منصف ما أدت إليه العولمة من تغيرات واضحة في المجالات الحياتية المختلفة التي تحيط بالإنسان المسلم من كل جانب مثل: الجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي، والسياسي، والثقافي... إلخ.

وتضيق المساحة التي تتسع لبسط هذه الجوانب ومناقشتها على ضوء الشريعة الغراء، ومن ثم انتقينا بعض هذه الجوانب لنخلص القول فيها، لعلنا نحقق الغاية التي من أجلها كتبت هذه الدراسة وهي «لفت أنظار المسلمين إلى تأثير العولمة السلبي على قيمنا الأخلاقية».

أولاً: في المجال الاجتماعي:

يُقصد بالمجال الاجتماعي ـ في هذا البحث ـ النظم والقوانين والآداب التي تسير عليها الأسرة في الإسلام انطلاقاً من الدستور «الكتاب والسنة» فقد لاحظ المتخصصون في مجال علم الاجتماع وعلم

النفس أن العولمة حاولت وتحاول أن تحطم سياج الأمن والأمان اللذين وهبتهما الشريعة الإسلامية للمجتمع المسلم ممثلاً في: الفرد، والأسرة، والقبائل والدول وذلك عندما أوقعت بين الرجل وزوجته، وساعدت الفتاة على اصطحاب الشباب - على اعتبار أن ذلك حرية شخصية - ودعت المرأة إلى منافسة الرجل خارج البيت، والإسراف في المعيشة، وتفنن بيوت الأزياء في إغراء الشباب عن طريق عروض الأزياء التي تسللت - أيضاً - إلى معظم النساء اللواتي أصبحن يجارين هذه السلعة أو تلك وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة.

ولا يخفى على أحد ما يروج له الغرب - من خلال صور الإعلام المختلفة - عن طريق النظام الاجتماعي في الإسلام ورميه بالتخلف وظلم المرأة في الميراث وعدم المساواة بين الرجل والمرأة... إلخ.

إن حظ الجانب الاجتماعي من العولمة كبير، ولكن نكتفي بحض القارئ على متابعة أضرار العولمة على هذا الجانب في موضوعات أخرى.

ثانياً: في المجال الاقتصادي:

يذكر أحد الباحثين أن تأثير العولمة في المجال الاقتصادي يتمثل في اتجاه الشركات الكبرى إلى الاندماج، وتكوين كيانات اقتصادية عالمية بل قارية، وفي الوقت نفسه لم تستطع الدول الصغرى، وحتى الكبرى أن تدخل حلبة المنافسة الاقتصادية بصورة متفردة فقد بدأت تتجمع في كيانات ضخمة، كما يشاهد حالياً في السوق الأوروبية المشتركة.(٣)

ويرى الدكتور محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف المصري - أن الجانب الاقتصادي من أبرز مجالات العولمة، وتتمثل العولمة في هذا المجال في حرية التسوق وما يرتبط بها من إزالة الحواجز وفتح أبواب التبادل دون عوائق وتكوين التكتلات الاقتصادية الكبرى.

كما يرى أن العولمة الاقتصادية ينبغي أن

العولمة حاولت تحطيم الأمن الذي وهبته الشريعة للمجتمع المسلم

تحمل المسلمين على الاستفادة مما قامت عليه من تكتلات اقتصادية، وهذا يعني أن عليهم أن يتجهوا دون إبطاء إلى تكوين تكتل اقتصادي عربي، وتكتل اقتصادي إسلامي والمشاركة في تكتلات أخرى إقليمية ودولية.

وعندما ينجحون في هذا السبيل فلن تكون هناك على الأرض مخاطر ذات بال، من جانب العولمة على اقتصادات العالم الإسلامي.

وإذا واجهنا القوة الاقتصادية بقوة اقتصادية مقابلة فإننا سنكون مشاركين في العولمة وليس مجرد تابعين لغيرنا، وبالتالي سيكون لنا تأثيرنا الذي لا يمكن تجاهله على اقتصاد العولمة وتصحيح مساره.

ويرى وزير الأوقاف المصري أن القضية تدور حول أسلوب التعامل مع هذا الواقع الجديد والتفاعل معه بطريقة سليمة، أما إذا تجاهلنا الواقع واكتفينا بعبارات الرفض والتنديد والإدانة والاستنكار لأساليب الهيمنة والسيطرة وفرض النظرة الغربية، فإننا بذلك سنظل ندور حول أنفسنا مكتفين بدفاع الحناجر، وهذا أمر

٢ ٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥ ٪ من الناتج العالمي الإجمالي

لا يرضاه مسلم عاقل(٤) ومن الطريف أن تأثير العولمة في المجال الاقتصادي لم يقف عند المسلمين، بل امتد إلى الغربيين أنفسهم، حيث يشير باحثان ألمانيان هما «هانس بيتر مارتين، وهارلد شومان» إلى أن ٣٥٨ مليارديراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة، أي ما يزيد قليلاً على نصف سكان العالم.

وأن هناك ٢ في المئة من دول العالم تستحوذ على ٨٥ في المئة من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى ٨٤ في المئة من التجارة العالمية، حيث يمتلك سكانها ٨٥ في المئة من مجمع المدخرات العالمية.

كما أدت العولمة في الدول المصدرة لها إلى زيادة نسبة البطالة.

ففي العام ١٩٩٥م، كان هناك ٣٤ مليون شخص من دون عمل في بلدان منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي أي ما يعادل ٧,٥ في المئة من القوة وبعد ذلك بقليل بلغت النسبة ١١ في المئة أي نحو الضعف.(٥)

وهذا أدى إلى التفاوت في مستوى الأفراد والشعوب، كما أدى إلى تكوين حواجز وموانع ساعدت على تربية الرغبة في القضاء على الثروات من قِبَل الفقراء وتفجير المشروعات التجارية التي تمتلكها الدول الغنية، ناهيك عن إنبات بذور الحقد والحسد في قلوب الفقراء تجاه الأثرياء وما يظهرونه من ترف بازخ وإسراف في مقابل الجوع والنقص والحرمان.

ومن هنا كان التفاوت الاقتصادي بين الأفراد والشعوب وراء أحداث العنف والإرهاب في شتى دول العالم.

ثالثاً: في المجال الثقافي:

في البدء نشير إلى المقصود بالعولمة الثقافية أو مفهوم العولمة في المجال الثقافي فالمراد بالعولمة في هذا المجال ذلك التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية

بينها وصهرها جميعاً في بوتقة ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة واحدة.(٦)

وتظهر ألوان شتى لفكر العولمة في هذا المجال، وذلك عندما فرض الغرب أنماط تفكيره ومسلكه في الحياة وفي الغذاء، عن طريق تغيير برامج التعليم وإضعاف جوانب الثقافة القومية في هذه البرامج وبخاصة في المجالات النظرية «التاريخ والاجتماع»، بجانب غزو هذه الدول عن طريق برامج إعلامية كثيفة مصاغة بحبكة شديدة وجاذبية عالية، وتهدف في النهاية إلى تمجيد قيم معينة تتسلل إلى وجدان ملايين الشباب في هذه الدول بحيث يصبح القطب الرأسمالي هو المثل الأعلى والنموذج المحتذى وهو البدء والنهاية.(٧)

وقد ظهرت آثار هذا الاتجاه - الرأسمالي - على لغة التعامل بين شعوب أمتنا الإسلامية والعربية، كما ظهرت عند تقدير الناس لبعضهم بعضاً حيث أصبح صاحب المال أرجح - عند الكثير - من صاحب الدين وصاحب الخلق.

ومن الآثار السيئة للعولمة في هذا المجال تهديد الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب، فإن ذلك ربما يكون أهم اعتراض يطرح على الساحة الإسلامية وقد يعد أهم التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.

ولكن الأمر في حاجة إلى شيء من التأمل، فالإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية، وإنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها ما يفيد في مسيرته الحضارية.

فالعقلية الإسلامية يفترض فيها أن تكون عقلية مرنة ليست جامدة أو متشددة، ولدينا من رصيدنا الديني ما يمثل سياجاً قوياً يحمي أجيالنا من أي تيارات سلبية.

وليس بدعاً من الأمم عندما نعمل على تجنب السلبيات التي قد يكون لها أضرار على هويتنا الثقافية، فالدول الكبرى أيضاً تعمل على الحفاظ على هويتها الثقافية.

ويرى الدكتور حمدي زقزوق أن الحفاظ

الأمة تحتاج إلى ثقافة الإبداع المستمد من القانون القرآني

على الهوية الثقافية الإسلامية وحماية أبناء المسلمين من خطر الذوبان في أي ثقافة أخرى يكون بتحصينهم بثقافة إسلامية رشيدة تحرك المياه الراكدة في مجتمعاتنا الإسلامية وتؤدي إلى تغيير العقليات لتنطلق الأمة الإسلامية رشيدة تحرك المياه الراكدة في مجتمعاتنا الإسلامية وتؤدي إلى تغيير العقليات لتنطلق الأمة الإسلامية إلى آفاق التقدم والارتقاء.

إن ما تحتاجه الأمة هو ثقافة التغيير والإبداع التي تستلهم قدرتها على التغيير من القانون القرآني الثابت.(٨) (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم) الرعد:١١.

وليكن هذا التغيير مؤكداً لما يحمله الإسلام من عوامل تقدم وازدهار لكل الأمم وكل الشعوب التي تأخذ به، حتى يتم استعادة النظرة الحضارية التي أثبتها المسلمون الأوائل للإسلام.

واجبنا تجاه العولمة

إن عرضنا لبعض الآثار السيئة التي أتت بها العولمة على جوانب حياتنا الإسلامية، لا يعني يأسنا أو استسلامنا لهذه التيارات ولكن يجب أن نسخر هذه الرياح لمعطيات ديننا ونستروح بها تارة وندفع بها ما توقف في حركة حياتنا، في ضوء الهدي القرآني الكريم والهدي النبوي الشريف تارة أخرى.

«وإذا كانت العولمة تمثل دورة أو موجة من موجات الهيمنة، فإن تمسكنا بهويتنا الدينية والثقافية يشكل الأساس الأمتن في حفظ الذات وحمياتها من مخاطر العولمة، لكننا نرى في الوقت نفسه، أن تأكيد هويتنا الدينية لن يغطي ثمرته المرجوة إلا إذا جددنا فهمنا لأمور ديننا، وخلصناه مما ليس فيه».(٩)

وأخيراً يجب أن يلاحظ المسلمون في ظل العولمة ومع مشارف القرن الجديد، التالي:

أولاً: فقه السنن الإلهية في الكون.

ثانياً: تسييد منطق العلم في شؤون الحياة.

ثالثاً: حسن استغلال الثروات الكونية في العالم الإسلامي.

وبذلك يمكن أن نضع عولمة إسلامية موضوعية تدفع العالم إلى التقدم الحضاري الحقيقي الذي يخلو من الدمار ويبقي على الخير للبشرية. ■

الهوامش

١ - د. مصطفى النشار: العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة - بحث قدم إلى مؤتمر الفلسفة الرابع - جامعة القاهرة - كلية دار العلوم في الفترة من ٤ - ٥ مايو ١٩٩٩م.

٢ - د. علي عبدالمعطي: العولمة من منظور تاريخي - بحث قدم في المؤتمر السابق.

٣ - د. حامد طاهر: ثقافة جديدة لعصر العولمة - بحث قدم في المؤتمر السابق.

٤ - د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة - مقال بجريدة الأهرام المصرية - الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٩٩م، ص ١٠.

٥ - محمد إبراهيم مبروك: الإسلام والعولمة - الدار القومية العربية - القاهرة - ١٩٩٩ - ص ١٩، ٢٠.

٦ - العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة - مرجع سابق.

٧ - د. عبدالله هدية: العولمة والثقافة البائسة - مقال بجريدة الأهرام المصرية - الجمعة ١٨ يونيو سنة ١٩٩٩م ص١٠.

٨ - الإسلام في عصر العولمة - مرجع سابق.

٩ - د. محمد عبدالله الشرقاوي: العولمة وتكريس الهيمنة - بحث قدم في المؤتمر السابق.

١٠ - د. محمد السيد الجليند: المسلمون وفقه السنن الإلهية - الدار القومية العربية - القاهرة - ص٤٦، ٤٧.

بقلم : د. عبدالله المودن

«ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي»

(علم أصول الفقه نموذجاً)

موضوع «المصطلحات» موضوع جدير بالبحث والمقارنة العلمية لما للمصطلحات من أهمية في تأسيس العلوم والمناهج وتوافر عنصر الوضوح العلمي فيها وضمان استمرارها «ومقاومة غزو» العلوم الأخرى خصوصاً الدخيلة منها... ونظراً لما تشكله نعت المصطلح واختياره من أهمية وما تواجهه من صعوبات، ارتأيت أن أسهم في هذا الموضوع بحبة رمل تتعدد في بيان مفهوم المصطلح عند العلماء المسلمين، وإبراز أهمية ضبط المصطلحات من الناحيتين الشرعية والعلمية عامة، وعند علماء أصول الفقه بخاصة.

١ ـ مفهوم المصطلح

من بين ما اعتنى به العلماء المسلمون بيان مفهوم المصطلح، فقد عرفه التهاتوي بأنه «هو العرف الخاص»(١) واعتبره الكفوي «هو اتفاق القوة على وضع الشيء وقيل هو إخراج الشيء، عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد»(٢)، وكذلك قال الجرجاني مورداً جملة من التعريفات هي على النحو التالي:

الأول: هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الثاني: هو إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما.

الثالث: هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

الرابع: هو إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

الخامس: هو لفظ معين بين قوم معينين.(٣)

فاعتماداً على هذه التعريفات المتقاربة فيما ورد فيها من بيان لمعنى المصطلح وكيف يتم اختياره وشروطه وغايته ومن يقوم بذلك نلاحظ ما يلي:

ـ الاصطلاح عبارة عن اتفاق.

موضوع الاتفاق في الاصطلاح: وضع اللفظ بإزاء معنى معين.

ـ العلاقة بين المعنى المعين واللفظ الذي تم اختياره في الاصطلاح، علاقة مجازية، إذ يتم إخراج اللفظ عن معناه اللغوي إلى معنى آخر.

من شروط الاصطلاح، مناسبة اللفظ المختار للمعنى المعين

من شروط الاصطلاح، مناسبة اللفظ المختار للمعنى المعين.

فالذين يقومون بعملية الاصطلاح والاختيار قوم معينون أو طائفة معينة، وهذا يفيد ضمنياً، ضرورة وجود ما يجمع بين عناصر تلك الطائفة.

أخيراً، غاية الاصطلاح وما يتم فيه من اتفاق: بيان المراد.

وعليه، يقصد بالاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى لبيان المراد، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: تطلق كلمة ـ مصطلح ـ في أوساط الناس اليوم ليُراد بها المعنى الذي تعارفوا عليه واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص أو في أعرافهم الاجتماعية.(٥)

٢ ـ أهمية ضبط المصطلحات

لا شك أن المصطلحات تمثل عنصراً

جوهرياً في جميع العلوم الشرعية، وذلك لأن ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي معاً.

٣ ـ ضبط المصطلح مطلب شرعي

يجعل هذا المطلب ضبط المصطلحات يتجاوز الحدود والمعايير الضيقة المتعلقة بعلم معين ليشمل جميع مجالات الحياة باعتبار الشريعة الإسلامية شريعة شمولية واضحة المعالم، وهذا يقتضي أن تكون مصطلحات العلوم الشرعية الميسرة لتطبيقها واضحة ومضبوطة المعاني يقول الأستاذ السعدي في هذا الصدد: لما كان هدف التشريع الإسلامي هو تقويم الإنسان وإبعاده عن التخبط الأعمى أصبح موضوع المصطلحات التي يتعارف عليها الناس فيما بينهم موضوعاً ذا أهمية جسيمة كأنه موضوع ذو قيمة خاصة يستمدها من صلته بشؤون الحياة.(٥) ولما كان الأمر كذلك، فإن غياب الضبط الاصطلاحي يسبب البلاء والفساد... يقول ابن حزم «والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد اختلاط أسماء ووقوع اسم واحد على معانٍ كثيرة فيخبر المخبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيجعله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر فيقع البلاء والإشكال وهذا في الشريعة أضر شيء وأشده هلاكاً لمن اعتقد الباطل إلا من وفقه الله تعالى».(٦)

ويستمد هذا المطلب شرعيته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فنذكر هنا على سبيل التمثيل، قوله تعالى: (وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) البقرة:٣١.

كما نستدل على حرص الإسلام ـ كما في القرآن الكريم ـ على ضبط المصطلح بما ورد في القرآن الكريم من «كلمات بمعان غير المعاني التي وردت فيها من الشعر الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن...» وقد تنبه أحمد بن فارس في كتابه: الصاحبي ـ لهذا فقال: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث

المصطلحات تمثل عنصراً جوهرياً في جميع العلوم الشرعية

آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونَسائهم وقرابينهم، فلما جاء ذلك جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول»(٧)، على أن الألفاظ التي تم نقلها من مواضع إلى أخرى، والتي تمت الزيادة فيها... كثيرة مثل الإيمان ـ الإسلام ـ الكفر ـ النفاق ـ الصلاة ـ الزكاة...(٨) ويحق لنا هنا أن نسجل حرص القرآن الكريم على ضبط معاني الكلمات وإثبات معانيها الجديدة ذات الصبغة الإسلامية الدالة على إعجاز القرآن الكريم لما فيها من تطور دلالي يستحيل أن يصنعه فرد أو أمة في هذا الوقت المحدود»(٩) على أن ما لم يتم ضبطه في كتاب الله، تولت السنة بيانه كما بالنسبة لألفاظ: الصلاة والزكاة والحج.

وبهذا يتضح أن ضبط المصلح ـ مطلب شرعي حرص الإسلام على تحقيقه في مصدره الأساسي «كتاب الله» ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى، وأن ذلك الضبط دليل على إعجاز القرآن الكريم وعلى صدق الرسول صلى

ضبط المصلح ـ مطلب شرعي حرص الإسلام على تحقيقه في «كتاب الله»

الله عليه وسلم، وقبل إعطاء نموذج دال على تنبه المسلمين لأهمية ضبط المصطلح، نثبت أن ضبط المصطلح أيضاً مطلب علمي.

٤ ـ ضبط المصطلح مطلب علمي:

لما كان ضبط المصطلح مطلباً شرعياً إسلامي، وبما أن الإسلام دين العلم فإن ضبط المصطلح مطلب علمي. وتتجلى أهمية هذا الضبط من الناحية العلمية فيما يلي:

ـ ضبط المصطلحات أساس تأسيس العلوم وضمان استقلالية كل علم عن بقية العلوم والحفاظ على مرجعيته العليا «دين ـ ثقافة أو حضارة ما...» والسفلى «مذهب ـ نظرية».

ـ ضبط المصطلح يمكّن الباحث من تجنب الثغرات المنهجية والأخطاء المعرفية كذلك.

ـ في ضبط المصطلحات ضبط للمرجعية التي ينطلق منها ويستند إليها، فهي تمثل السلطة المعرفية للباحث في تحليله ومقاربته لموضوع ما واختلافه مع غيره... بل تجعله بعيداً عن الاضطراب والتناقض والإسقاطات الذاتية وغيرها من المزالق التي تؤثر سلباً في نتائج مقاربته، ولهذا فمن ظن أن العالم قادر على أن يتحدث في العلم من دون جهازه المصطلحي فقد ظلمه ما لا طاقة له به.(١٠)

وأعود لأقول من جديد: لما كان ضبط المصطلح مطلبا شرعيا وعلميا فهو مطلب أصول فقهي باعتبار علم أصول الفقه علماً شرعياً علمياً له جهازه المصطلحي ـ المفاهيمي الذي يميزه عن غيره والذي أفاد به مجموعة من العلوم الأخرى كعلم الفقه وعلم الكلام وعلم اللغة والبلاغة وغيرها... فكيف تعامل الأصوليون مع مسألة المصطلح؟

٢ ـ ضبط المصطلح مطلب أصول فقهي

لما كان علم أصول الفقه علماً شرعياً والعلوم الشرعية ذات جهاز مصطلحي خاص وواضح، ولما كان أيضاً علماً

منهجياً باعتباره «السبل النظرية والمسالك الإجرائية التي يسلكها الفقيه في ممارسته الفقهية»(١١)، اتجهت جهود الأصوليين إلى نعت المصطلح وضبط مدلوله وذلك منذ تأسيس هذا العلم مع الإمام الشافعي «المتوفى سنة ٢٠٤هـ» في مؤلفه «الرسالة» الغني بالمصطلحات الأصولية الواضحة المعنى كمصطلحات البيان والنسخ والاجتهاد والقياس... وغيرها، فعن مصطلح «البيان» باعتباره مصطلحاً مركزياً في «الرسالة»، وباعتباره الكلمة المفتاح لفهم تصور الشافعي لعلم أصول الفقه، عن هذا المصطلح يقول في ضبطه لمعناه : «البيان اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الأصول متشعبة الفروع»(١٢)، فحدد بذلك ما يصح أن يطلق عليه المصطلح وما لا يصح، كما ميز به معناه في الاستعمال الأصوليين عن معناه في غيره من علوم البلاغة والنقد.

على أن الأصوليين - بعد الإمام الشافعي أولوا المصطلحات عناية كبيرة وانقسموا في ذلك إلى ثلاث طوائف:

ضبط المصطلحات أساس تأسيس العلوم وضمان استقلالية كل علم عن بقية العلوم

أ - طائفة حافظت على نهج الإمام الشافعي فاكتفى أصحابها بضبط المصطلح وبيان المراد منه في أثناء تحليل المسألة لأصول فقهية التي لها علاقة به. ومن ذلك مؤلفات أبي إسحاق الشيرازي(١٣) وأبي المعالي الجويني(١٤) وأبي حامد الغزالي(١٥) وغيرهم.

ب - طائفة تفتح مؤلفها بمبحث تخصصه لضبط المصطلحات المركزية في المؤلف وتبين الحدود التي يحتاج إليها في معرفة الأصول كما قال الباجي(١٦)، ومعنى الألفاظ الدائرة بين أهل النظر كما قال ابن حزم(١٧)، ممن نحا هذا المنحى أبو الوليد الباجي(١٨)، وابن حزم الأندلسي(١٩)، والعلامة البناني(٢٠) والفخر الرازي الذي قال: «أما المقدمة ففي تفسير الألفاظ المستعملة في هذا الباب»(٢١).

ج - طائفة تجاوزت عمل الطائفتين السابقتين، فخصت المصطلحات والحدود والأصول - فقهية بالتأليف كما هو الشأن بالنسبة لأبي الوليد الباجي في مؤلفه «الحدود في الأصول» الذي قام فيه بالتعريف بالألفاظ المصطلح عليها «عند الأصوليين خاصة»(٢٢).

وهكذا نخلص إلى أن ضبط المصطلحات من حيث اختيار المناسب منها وبيان معانيها وتميزها عن غيرها، وعن معانيها في حقول علمية تُستعمل فيها، عمل جليل يجنب الباحثين الشغب والالتباس والمضرة والاختلاف المضر كما انتهى إلى ذلك العلامة ابن حزم ولذلك فإن هذا الضبط مطلب مطلوب في عصرنا هذا حيث كثرت المصطلحات والمفاهيم، وتشابهت معاني الكثير مما ورثناه عن أسلافنا، بل قدمنا مصطلحات ومفاهيم الأخير - الغرب - سعياً وراء حداثة زائفة. ■

الهوامش

١ - كشاف اصطلاحات الفنون - للتهاتوي - تحقيق لطفي عبدالبديع - ترجمة النصوص الفارسية عبدالنعيم حسن - مراجعة أمين الخولي - دار الكتاب العربي - ١٩٦٩م - ج٤ ص ٢١٧.

٢ - الكليات - للكفوي - قابله على نسخة خطية ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص ١٢٩

٣ - التعريفات - للشريف الجرجاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢٨.

٤ - في المصطلح الإسلامي - للدكتور إبراهيم السامرائي - دار الحداثة - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥م - ٨:٥.

٥ - أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية - عبدالقادر السعدي مطبعة الخلود - بغداد - ط١ - ١٤٩٦هـ - ١٩٨٦م ص٣١.

٦ - الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري - تحقيق لجنة من العلماء - دار الجيل - بيروت م٢ ج٨، ص ٤٦٤.

٧ - في المصطلح الإسلامي - للسامرائي - ص٨ نقلاً عن ابن فارس في كتابه «الصاحبي» المكتبة السلفية - ١٩١٠م - ص٤٤ - ٤٥.

٨ - المرجع نفسه ص ٩.

٩ - المرج نفسه ص ٧.

١٠ - قاموس اللسانيات - د. عبدالسلام المسدي - دار العربية للكتاب - ١٩٨٤م - ص٢٢.

١١ - المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني - حمو النقاري - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٧.

١٢ - الرسالة - للإمام الشافعي - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار الفكر - ١٣٠٩هـ - ص٢١.

١٣ - التبصرة في أصول الفقه - تحقيق محمد حسن هيتو - دار الفكر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤ - البرهان في أصول الفقه - تحقيق عبدالعظيم الديب - دار الأنصار - القاهرة - ١٤٠٠هـ.

١٥ - المستصفى من علم أصول الفقه - دار الفكر.

١٦ - إحكام الفصول في أحكام الأصول - تحقيق عبدالمجيد التركي - دار الغرب الإسلامي - ط١ - ١٤٠٧هـ - ص١٠٧.

١٧ - الإحكام في أصول الأحكام م١ - ص٣٨.

١٨ - المرجع نفسه: إحكام الفصول.

١٩ - الإحكام في أصول الأحكام.

٢٠ - حاشية البناني على شرح الجلال الشمس الدين المحلي على متن جمع الجوامع للسبكي - مطبعة البابي الحلبي ط٢، ١٣٣٦هـ - ١٩٣٧م.

٢١ - الحصول في علم أصول الفقه - دراسة وتحقيق د. طه جابر العلواني ط١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ج١.

٢٢ - الحدود في الأصول - تحقيق د. نزيه حماد - ط١ - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م - مؤسسة الزغبي - بيروت - ص١٦.

قصة قصيرة

بقلم: عبدالستار خليف

اللص الذي سرقني

هبط ذات مساء على بيتي، دخل بعد أن حطم النافذة، اغتال الأمن والأمان في حياتي الهادئة، سرق بعضاً من محتويات البيت.. من الجهد والعرق الذي بذلته وقضيت بعضاً من عمري في توفيره وادخاره للأيام القادمة.

قلت لنفسي: أمري لله، ماذا أفعل في لص سرقني؟ والسارق دوماً يكون أذكى من المسروق!! وإلا لما استطاع التسلل إلى بيتي وصدري وعقلي وفكري، ثم غافلني وسرقني، في لحظة وهن وضعف مني. لابد أنني كنت نائماً أو مهملاً في سد إحدى الثغرات التي تسلل منها، فلم أكن يقظاً تماماً.. حتى أضع كافة الاحتمالات لوجود مثل هذا اللص الذكي الذي يسرق ويفر من العدالة، نعم، لص ذكي، واعترف بأنه سرقني بذكاء ودهاء، وإن كان ذلك لا يخلو من الخديعة والغدر في الوقت نفسه.

وباع بضاعته المسروقة في السوق جهاراً نهاراً، على مشهد من الجميع، ولا يوجد عندي ما يثبت أنها بضاعتي، سوى دليل باهت وضئيل لم تأخذ به المحكمة، وفر اللص بالغنيمة... ضاع حقي ومتاعي وجهدي وعرق السنين، ورزقي على الله، قلت هذا لنفسي، وأنا أخرج من السوق مبتسماً في حسرة ومرارة وألم.

بعد أيام، شهور... لم يمض عام عندما التقيت مع اللص، قابلته مصادفة، وتعارفنا أكثر، كان لا يزال يذكرني، وكان حزيناً، سألته عن سبب حزنه البادي عليه، أجاب ولشدة المفاجأة قال في انكسار: لقد سُرقت...

عدت أتساءل: سَرقت أم سُرقت؟!. أجاب بضيق: هذه المرة، أنا المسروق، ضحكت بصوت مرتفع حتى كدت أسقط على ظهري، سألني بغرابة: لماذا تضحك هكذا؟! هل هي شماتة من جانبك بي؟!. قلت: لا، أضحك لشيء آخر طرأ على ذهني، سأل بشوق: ما هو؟ قلت: هذه المعادلة الصعبة، كيف تكون السارق والمسروق في الوقت نفسه، الجلاد والضحية، القاتل والقتيل، الجرح والسكين... قاطعني بضيق ملوحاً بيده: كفى، تريد أن تقول فيَّ شعراً...

قلت: أنسيت أنني شاعر...

اعترض قائلاً: لا أعرف سوى أنك كاتب صغير، ترتزق من وراء الأخبار والأوراق...

عقبت: ومع ذلك سرقتني!!. صمت ولم يجب، تبادلنا النظرات الحادة، ثم استطردتُ مواصلاً حديثي: إنني أشعر بالألم، بالنار التي تحرقني ولذلك أنطق شعراً، وإن كان هذا الشعر ليس لي - حتى لا أعد سارقاً مثلك - ولكنني حزين في الوقت نفسه، لأنني اكتشفت بأن هناك ثالث... أذكى مني ومنك، وسرقك في وضح النهار، مثلما سرقتني تماماً، وكما تدين تدان ولو بعد حين، لم يعقب وظل صامتاً، قلت: الآن.. هل شعرت بالمرارة في حلقك وتحت الضروس، مثلما شعرت أنا بها «كيف تكون ضحية» هذه هي القضية، هل لك شعور مرهف وإحساس شفاف مثلي، أنا الضحية، أم أنك متبلد المشاعر كالجلاد؟!

لم يجب، ظل يتفرس بي في غيظ وضيق، فأنا جئت على موضع الألم وضغطت بشدة وقسوة، حاولت أن أكون «المشرط والألم»، والجرح والسكين.

استدار في صمت، ومضى.. وأنا واثق بأنه كان يجفف دموعه ولا يود أن أراها، وكان يضغط على جرحه الذي بداخله، حتى لا يفضحه وتنبجس الدماء أمامي... قلت في نفسي: كما تدين تدان... ولو بعد حين.. ■

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 408
شعبان 1420هـ
نوفمبر / ديسمبر 1999م

الأسرة المسلمة

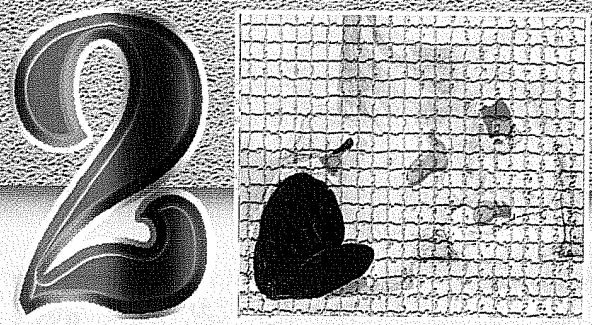

كريمة المرزوية فقيهة مكة في القرن الخامس الهجري

طفلي مولع باللعب ... ماذا أفعل؟

عندما يسرق الطفل كيف نعالجه؟

تحرير المرأة بين كينونتها وبين المقايسة

الطفل في اللغة والاصطلاح

بقلم: آمال عبدالرحمن محمد

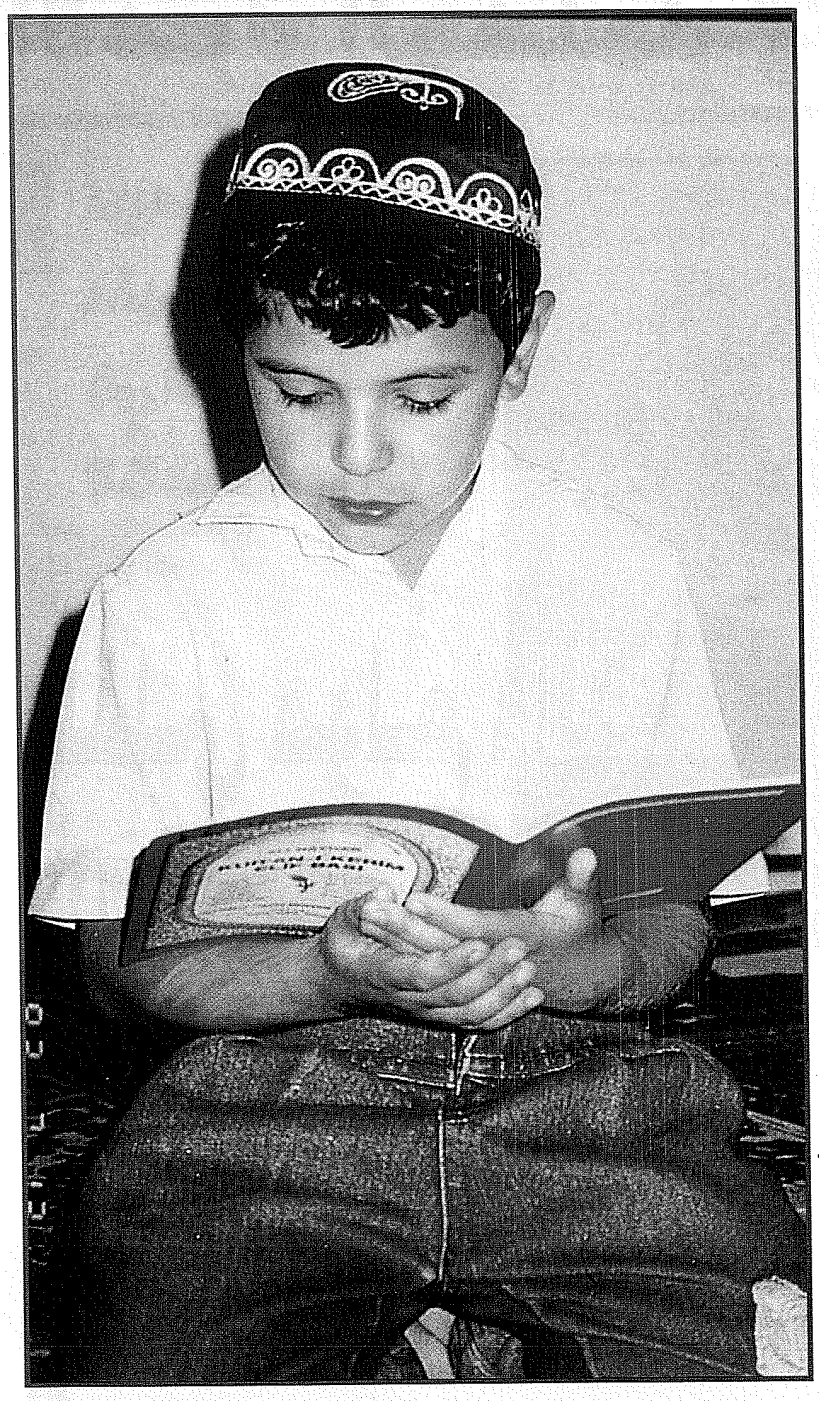

ما أروع الرحمة وما أجملها من صفة إذا اتصف بها إنسان كانت مؤشراً على الصلاح وعمق الإيمان، وإذا سادت في مجتمع خيمت عليه السكينة وانتشرت الألفة والمحبة بين أفراده وصدق الله تعالى إذ يقول: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح:٢٩.

ولقد جعل الله الرحمة من صفات الزواج السعيد كما جاء في قوله: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١.

فبالرحمة تسود المحبة والألفة والتعاون بين ربوع المجتمع وتقل الجريمة وينعدم الانحراف ويعم الخير ويصبح المجتمع كالبستان المثمر الفواح فيستنشق رحيقه الأفراد وينعم المجتمع في ظلها بالأمن والسكينة، فإذا كان للرحمة قيمة تربوية فما أجدرنا أن نربي أبناءنا على تلك الخصال وهذه العادات الحميدة حتى تصبح الرحمة عادة في كيانهم يتحلون بها.

السبل التربوية لجعل الولد ودوداً رحيماً

ولا شك أن ذلك يبدأ من الأسرة فهي التي تؤسس اللبنة الأولى في حياة الصغير، فينبغي على الأسرة أن تربي أبناءها على الرحمة والمودة حتى تجعل ذلك جزءاً من شخصياتهم، غير أننا نلاحظ أن هناك شكلين من أشكال التربية للأطفال. شكل يساعد الأطفال ويبث فيهم روح التنافس، وشكل يبث فيهم روح التعاون.

ونجد في المنطقة العربية عموماً أن الأسرة تقوم عادة بتربية النشء على التنافس وليس على التعاون، وربما دل على ذلك موقفنا من بعض الألعاب الرياضية، حيث نلاحظ أن الفرق الرياضية التي تعتمد في فوزها على لعب الفريق مثل كرة القدم أو السلة... إلخ، قد لا تحقق فيها مراكز متقدمة، ولكننا نحقق المراكز المتقدمة في السباحة وكمال الأجسام والتنس والاسكواش على أساس أنها ألعاب فردية، وهذا يعني أن روح الجماعة تنقصنا في داخلنا ويكون منشأ ذلك هو تربية الأسرة للطفل على أساس حب التنافس، ولكن النوع الثاني من التربية، وهو الذي نريده لأطفالنا في المستقبل لأنه يساعد الطفل على التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ويكون طفلاً رحيماً ودوداً مألوفاً، ولكي ننمي هذه الصفة عند الطفل علينا:

- ألا نقهره ونعني بالقهر هنا كم الأوامر والتعليمات التي يصدرها كل من الأم والأب للطفل بشكل صارم، وكلما زاد كم التعليمات قلت قدرة الطفل على التعاون معنا وبالتالي تقل فيه المودة والرحمة والحب.

- عدم توجيه الانتقاد إلى الطفل على ما يقوم به، بل نحاول أن نظهر مواطن القوة لدى الطفل ونبرز الأعمال التي يبدع فيها والجوانب التي ينجح فيها وليس ما فشل فيه ونقول له ما حققه وليس ما لم يحققه.

- نشجعه على التعاون مع أصدقائه في الفصل في بعض الأنشطة ليشارك الآخرين بشكل مستمر.

- نشجعه على استخدام الأشياء ومشاركة الآخرين مثل مشاركته في ركوب الأراجيح في حديقة الأطفال لفترة ونعوده على أن يتركها للآخرين.

- أن نعوده العطف على الحيوانات والطيور الصغيرة الحجم، كأن نقوم بتربية بعضها ويقوم هو بإطعامها وعندما يذهب إلى حديقة الحيوان يساعد الحارس في إطعام بعض الحيوانات.

- تعويد الطفل على مساعدة إخوانه ممن هم أصغر أو أكبر منه سناً في بعض الأمور.

- وينبغي أن نكون قدوة له فيعطف بعضنا على بعض، كما نجعله يرى تعامل أبويه معاً حتى نجعله يتحسس العطف على الفقراء والمساكين.

- بأن يشترك خلال شهر رمضان في تحضير بعض الوجبات التي نتبرع بها مثلاً أو في أثناء دفع الزكاة، وكذلك المناسبات الأخرى كتوزيع اللحم والنقود في العيدين الفطر والأضحى.

- إلى جانب إعطائه مثالاً في زيارتنا للأهل والأقارب لوصل الرحم، وعلينا أن نشمله بالحب بشكل مستمر، ويمكننا أخذه للقيام بزيارة بعض الملاجئ وأماكن رعاية الأطفال والمسنين والأيتام ليقدم لهم بيديه بعض الحلوى والملابس ويراهم وهو يدخل عليهم السرور.

وكل هذا يدفع الطفل لأن يكون ودوداً رحيماً حيث استطعنا أن نعطي له القدوة وأن نجعله يمر بخبرة العطف والرحمة والمودة، وهذه هي آراء علماء الصحة النفسية.

فضلاً عن أن التربية الإسلامية تدعو إلى الرحمة وتحض الأسرة على أن تقدم الأسوة الحسنة، فالطفل يتعلم بالمثال أكثر مما يتعلم بالمقال. فينبغي أن يرى من والديه ومعلميه أمثلة على الود والرحمة بين الناس وأن نعلّمه الحب، وأن الحب عطاء لأن الرحمة والود تتولدان من عاطفة الحب، وأن نكوّن فيه روح البذل والكرم والشفقة على الضعفاء والمساكين وحب التعاون بين الناس ومساعدة الآخرين لأن هذه المعاني هي المعاني المحيطة بخلقي المودة والرحمة، ومراعاة مبدأ الثواب والعقاب وتطبيقهما على الطفل بحكمة بالغة بحيث يثاب عند صدوره ما يدل على الرحمة والمودة عنه على سبيل التشجيع غير المفرط، ويعاقب إذا ما ظهر منه ما يدل على القسوة والكراهية من غير إفراط أيضاً ولا تكرار له، بحيث يشعر أن الرحمة والود واجب من الواجبات التي لابد أن يتحقق إلا بهما، وأن القسوة والكراهية والبغض من الصفات الذميمة التي ينبغي أن يقلع عنها، والعمل على ربط هذه المعاني برضا الله والجزاء الذي يدخره لعباده المؤمنين في الآخرة.

وإننا نتخلق بهذه الأخلاق ولا ننتظر جزاء من أحد بل نفعل ذلك لوجه الله تعالى، فإن هذا المعنى كفيل بجعل الطفل يتخلق بهذه الأخلاق لعدم ربطها بمقابل مادي أو منفعة شخصية، وهنا يذكره والده ووالدته بأبسط آيات الرحمة وهي آية بسم الله الرحمن الرحيم، وحديث «الراحمون يرحمهم الرحمن» وكذلك حديث «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وغيرها من الآيات والأحاديث التي تتناسب مع سن الطفل والتي تحضه على الود والرحمة. وتعويد أطفالنا على الرحمة والمودة من دون شك يعلمهم أن يرحموا الضعيف وكبير السن ونربيهم على حب الخير، كما أننا ندخر لأنفسنا رصيداً عند أبنائنا ليساندونا عند الكبر وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

بهذا يمكن إنشاء جيل يتمسك بالرحمة في سلوكه وتكون عادة متأصلة فيه ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس. اللهم حفنا برحمتك يا أرحم الراحمين. ■

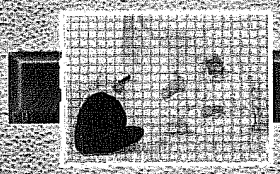

بقلم: د. زيد محمد الرماني

الاستهلاك الرشيد خير وبناء

الوقفة الأولى:

ترشيد الاستهلاك: إن ترشيد الاستهلاك يعتبر من أهم أهداف المجتمعات عامة، فالدول تعمل جاهدة على ترشيد استهلاك مواطنيها وحضهم على تنظيم الاستهلاك الفردي والأسري.

ويتوقف نمط استهلاك الفرد على مدى وعيه بأهداف الدولة وسياستها الاقتصادية، كما يتوقف على نوعية المعلومات والعادات والاتجاهات التي تأصلت لدى الفرد منذ الصغر بالممارسة اليومية.

فلا شك أن التطبيع الاجتماعي للفرد له أثره في تحديد أنماط سلوكه الاستهلاكي، ولهذا، كان الاهتمام بمراقبة الفرد وتوجيه سلوكه التوجيه السليم أمراً ضرورياً، حتى يمكنه أن يشارك بنصيب من الجهد والعمل في تنظيم الاستهلاك.

كما يسعى المجتمع لتحقيق أهدافه الوطنية عن طريق تنمية الصفات المطلوبة في المواطن ووسيلته في هذا: التنشئة الاجتماعية.

وحيث إن كثيراً من المعلومات والبيانات المتعلقة بترشيد الاستهلاك والمستهلك بالدرجة الأولى وتكوين الاتجاهات السليمة لدى المستهلك ليست فطرية، وإنما هي مكتسبة.

ومن ثم فلابد من دراستها وممارستها وربطها ربطاً صحيحاً بجوانب الحياة اليومية ومتطلباتها.

الوقفة الثانية:

عادات الاستهلاك: إن لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده المتوارثة التي يعتز بها لأنها تحدد معالم شخصيته المتميزة عن باقي المجتمعات.

ومن العادات الغذائية التي يتصف بها المجتمع العربي وبخاصة، والتي ينبغي أن يتخلص الأفراد منها، عادة المبالغة في الشراء وكمية الطعام وتعدد أنواعه.

فقد يكون عدد أفراد الأسرة خمسة أشخاص والطعام الذي يُعدُّ لهم يكفي لسبعة أو ثمانية أشخاص، فإلى أين سيذهب هذا الطعام الزائد؟... لابد أنه سوف يُتخلص منه.

إلى جانب ذلك، هناك عادات خاطئة متبعة في الحفلات والمناسبات والزواج والولائم، المبالغة في النفقة فيها كنوع من التفاخر الاجتماعي وهذا يعتبر بذخاً.

بينما الهدي النبوي يوصي بأن المنهج الأسلم في الحياة الاعتدال والبساطة والاقتصاد في النفقات، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة»، وورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «خير النساء أيسرهن مؤنة وأقلهن صداقاً».

الوقفة الثالثة:

أضرار الاستهلاك: من المظاهر المادية للاستهلاك غير الرشيد ومن الصور الظاهرة الإسراف والترف على جسد الإنسان ما يُعرف بـ«البطنة».

وهي إعلان صارخ عن وقوع الفرد في دائرة الإسراف والترف المنهي عنه، وعدم وقوفه عند حد الاعتدال المأمور به، في سلوكه الغذائي، حيث استهلك ما لا يحتاج إليه في أداء وظائفه.

وانعكس ذلك على جسمه في شكل «البطنة»، وهي عِظَمُ البطن واتساع الأمعاء من جراء حشوها بالطعام فوق الحاجة.

ويترتب على «البطنة» عجز الإنسان عن أداء وظائفه الحيوية بطريقة جيدة، كما يترتب عليها الشبع المتزايد تعرّض الجسم لشتى الأمراض.

ولما كانت «البطنة» مظهراً من مظاهر الإسراف في استهلاك الطعام، فقد كان طبيعياً أن يقف الإسلام منها موقف الإنكار والتنفير والتحذير، للحفاظ على سلامة البدن وحماية له من شرور «البطنة».

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه...».

وقال ﷺ لرجل سمين البطن وقد أومأ إلى بطنه بأصبعه: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك...».

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «إياكم والبطنة فهي ثقل في الحياة، ونتن في الممات».

الوقفة الرابعة:

إعلانات الاستهلاك: إن كثيراً من الناس يشترون طعاماً أو ملابس عن طريق الدعايات والأكاذيب التجارية لمنتجات غذائية أنواعها متعددة.

والحقيقة فإن الأسواق التجارية تروّج بضائعها بدعايات وإشاعات وإعلانات مبالغ فيها بكل وسائل الإغراء.

فمثلاً الإعلانات عن إنقاص الوزن باستعمال عقار ما يفقد الماء المخزّن بالجسم، واستغلال مصانع الأغذية إقبال الناس وإخراج الكثير من المستحضرات الغذائية للأسوق وتوزيع عينات مجانية من الغذاء الجديد مع كتيبات تشرح فوائدها وعناصرها الغذائية وطريقة تقديمها.

إن الإنسان بحاجة إلى الغذاء، لتقويم نفسه، مع العناية عند تناولها أن يكون ذلك باعتدال، فالإكثار مضرّ والإقلال مناسب.

لذا، ينبغي الابتعاد عن الدعايات التجارية والإعلانات المضللة، وكذلك ينبغي تعلّم أسس الغذاء والتغذية السليمة وعدم الانسياق وراء أقوال وأمثال لا أساس لها من الصحة.

الوقفة الخامسة:

أنماط الاستهلاك: درج الاقتصاديون على تصنيف أنماط الاستهلاك وفقاً للبنود الرئيسة، على أن يقسّم كل بند إلى أقسام فرعية.

فاستهلاك الطعام مثلاً يضمّ قائمة بأهم بنود الطعام، كاللحوم والخبز والأرز والمشروبات بأنواعها المتعددة.

وهناك من الإحصاءات الرسمية ما يتبع هذا التصنيف نفسه.

وقد تمخضت الجهود في هذا المجال عن تصنيف دولي يضم عشرة بنود للاستهلاك هي:

١ ـ الأغذية.
٢ ـ المشروبات.
٣ ـ المواد الخام.
٤ ـ الوقود المعدني.
٥ ـ الزيوت.
٦ ـ المواد الكيمياوية.
٧ ـ البضائع المصنوعة.
٨ ـ الآلات ومعدات النقل.
٩ ـ مصنوعات منوّعة.
١٠ ـ معاملات غير مصنّفة.

ويتفق الباحثون في مجال الاستهلاك على مبدأ مفاده أن الأسرة أو الوحدة المعيشية تشكل خلية استهلاكية واحدة لها مصدر خاص بها للدخل، قد يسهم فيه فرد واحد أو أفراد عديدون، وأن جميع المستهلكين فيها هم أعضاء في وحدة استهلاكية واحدة.

الوقفة السادسة:

بطاقات الاستهلاك: نظراً لكثرة الاهتمام بالتغذية ورغبة في إيجاد وسيلة لنقل المعلومات الغذائية التي أسفرت عنها الأبحاث التي أجريت في هذا المجال للمستهلك لجأت كثير من الحكومات إلى استخدام ما يُعرف بـ«البطاقة الإرشادية».

البطاقة الإرشادية هي بيان أو إيضاح أو علامة وصفية سواء أكانت مصورة أم مكتوبة أم ملصقة أم محفورة بعبوة المادة الغذائية.

وتحوي البطاقة الإرشادية معلومات مكتوبة تشمل اسم المادة الغذائية، وقائمة المكونات ومحتويات العلبة واسم عنوان صانع أو معبّئ المادة الغذائية وتاريخ الإنتاج والصلاحية، وبلد التصنيع أو المصدر الأصلي للسلعة.

والهدف من نظام البطاقات الإرشادية هو تثقيف المستهلكين غذائياً، وتشجيع شركات الصناعات الغذائية على رفع المستوى الغذائي لمنتجاتهم، ووضع رقابة على المنتجات الغذائية لحماية المستهلك من الغش التجاري. إن البطاقة الإرشادية قناة توعوية وإرشاد اقتصادية غذائية جيدة.

الوقفة السابعة:

مواقف من الاستهلاك: موقف الإسلام من الاستهلاك تحكمه قيم أساسية وقواعد ثابتة، مضمونها العام إباحة الاستهلاك، وإباحة تحقيق أفضل مستوياته الممكنة.

نؤكد ذلك ابتداء حتى لا يتصوّر أحد أن الإسلام يذمّ الاستهلاك أو يقف في وجه زيادته أو تحسين مستوياته.

ذلك أن معنى الاستهلاك لحق به في حسّ كثير من الأفراد مفاهيم غير صحيحة مفادها أن الاستهلاك عملية سلبية وسلوك مرذول يرهق اقتصادات الدول.

وقد ترسّخ، وللأسف هذا الإحساس، بسبب ما تسكبه وسائل الإعلام وأجهزتها في آذان الناس من دعاية جوفاء تحبب في الإنتاج وتدعو إلى زيادته وتحذر من الاستهلاك وتنادي بتقليصه.

على أساس أن الإنتاج يعطي، ويضيف، ويفيد، وأن الاستهلاك تبديد وتحطيم، وغير مفيد.

وإذا كانت الأوصاف التي ألصقت بالإنتاج صحيحة، فإن ما ألصق بالاستهلاك خاطئ غير صحيح.

فالاستهلاك ليس شراً محضاً وليس تبديداً أو تحطيماً للسلع والخدمات وإنما هو خير وبناء للأجسام والعقول، فالبشر لا قيم لهم بغيره، والإنتاج لا وجود له بغيره.

إن موقف الإسلام من الاستهلاك الرشيد هو إباحته والدعوة إليه وجعله من القيام بالواجبات والتكاليف، فريضة لازمة، وجعله فيما هو في حدود ما يمكّن الفرد من أداء المسؤوليات، أمراً مباحاً، وربما واجباً، بشرط الاعتدال فيه ومراعاة القيم المشروعة. ■

بقلم: عبدالحميد عزي بن حسن

طفلي مولع باللعب... ماذا أفعل؟

إن الحياة التي نعيشها ميزة من الصعب علينا - نحن الذين نحياها - تجاهلها، والظواهر الإنسانية تتغير، وتخضع كغيرها لحتمية التطور والتبدل... الحتمية التي تنسحب على تصرفات الناس... علاقاتهم... تصوراتهم... وأنماط تفكيرهم.

والناحية التربوية، هي من أكثر المتغيرات ومن أعظمها وأخطرها تأثيراً على البشر، فالديناميكية هي صفة الحياة، ولا أحد يستطيع توقيف عجلة الأيام، ولا تقيد الحياة بأمراس وسلاسل والذي يهمنا، أن التربية بكل عناصرها، باتت تقوم على وسائل حديثة بغية إعداد المخلوق البشري ليكون إنساناً سوياً، صالحاً ومن أجل ذلك يتطلب أن نعي حقائق ثلاث وهي:

إعداد المربي إعداداً نوعياً متكاملاً متجهاً إلى الإنسان روحاً ومادة، ثم كيفية التعامل مع المتعلم، آخذين بعين الاعتبار حاجاته واستمداداته وسنه وقدراته والفروق بين المتعلمين... والنقطة الثالثة هي إشاعة الألفة والمحبة بين طرفي العملية التربوية عن طريق استخدام تقنيات الوسائل الحديثة في التربية والنزول إلى مستوى الأطفال تلافياً للهوة السحيقة بين المعلم والمتعلم وذلك باستخدام اللعب كطريقة في التربية... اللعب القائم على أهداف حديثة وسامية وخيّرة... وأمام كل ذلك، نجد عزوف الأطفال عن الروضة «نسبياً»، وتدني المستوى التعليمي لدى الأطفال بالرغم من إدخال السمعيات والبصريات ووسائل الإيضاح... أليس السبب هو توجيه التربية في بداية المرحلة الابتدائية إلى عقل الطفل دون مشاعرة... ليكون حصالة معرفية متجاهلة قدراته، والتي هي السبب في إبعاد الطفل عن المدرسة، والضعف الواضح في مستواه التعليمي؟

وسأسوق مجموعة من القصص، تعرضت لها، أو حدثني أصدقائي عنها، وهي السبب في كتابتي هذه علّني ألقي الضوء على هذه المشكلة لنعمل على معالجتها.

القصة الأولى:

ثارت ثائرة إحدى الأمهات على معلّمة الصف الأول الابتدائي في إحدى المدارس، لأنها لا تلقن أو تعلم ابنها الصغير الذي لم يتجاوز سنه خمس سنوات ونصف السنة أو السادسة، الأرقام الكبيرة في الفصل، والضرب وعمليات القسمة وكان على الطفل أن يساعد والده وطبعاً لم تأبه المعلمة لطلب

الأم وتابعت عملها في إعطائه المنهاج المقرر بالطريقة التربوية الحديثة... لقد نسيت الأم أن المعلم لم يعد ملقناً ونبعاً للمعلومات وعليه أن يصب المعلومات كالجدول في مياه البحر... جدول المعلومات في بحر العقل «عقل الطفل» دون مراعاة لقدرات هذا الأخير ودرجة استيعابه ورغباته.

القصة الثانية:

منذ أيام استوقفني رجل طاعن في السن وأخبرني بأن طفلةً في الخامسة من عمره وهو لم يسجل في المدرسة بعد، بل في الكتّاب والروضة وهو لا يحسن القراءة والكتابة حتى أنه يخاف من القلم أن يمسكه أو يحرك الحكك «الطبشور» على اللوح... قلت له: ماذا فعلت؟! قال: «أحضرت له سبورة... وعلبة مكعبات... وأحاول تلقينه حروف الهجاء والأعداد وأجبره على ذلك، لكن دون جدوى».

قلت له: دع ابنك دون أن تلقنه ولا تشعره بمراقبتك له، ولا تقل له: تعلّم كذا... افهم كذا، اتركه يتأمل ما حوله... ينفعل... يقلّد... يدرك عن طريق حواسه المرئيات والمدركات المحسوسة، دعه يرى ويعايش... يلمس ويتحسس ويلعب ويمرح، كن معه صغيراً ولا تطرح عليه الأسئلة المحرجة، اتركه هو الذي يسألك وأجب على أسئلته وتفسيراته بشكل مبسّط ومفهوم دون مواربة أو تهرّب وإذا أكثر عليك الأسئلة شجّعه على ذلك، لأن هذا بداية التعلّم بالنسبة للطفل... أترك ابنك يختار ويسأل.

القصة الثالثة:

تعاتب أم معلمة طفلها في الروضة، على أنها تأخذ راتبها دون مقابل... فهي لا تعلّم طفلها اللغة الأجنبية، ليكون طليقاً بها عندما يكبر علماً أنه لم يتعلم العربية، وتعاتب إدارة الروضة على

أنها لا تجبر معلمات الأطفال على إعطاء الأولاد الواجبات البيتية وغير هذا كثير، فهل الأم هنا محقة؟ أكيد هي مخطئة... ولماذا؟

نسيت الأم أن مهمة الروضة، تربوية ترفيهية، وهي تعدّ مرحلة تمهيدية للأطفال، وهذا عملها الصحيح، تحضيراً نفسياً وانفعالياً لتقبّل المدرسة والعلم لدى الطفل حتى لا يشعر بكراهة التعلّم بعد ترك البيت - موئل الدلال والحنان - وبذلك نجد في حال إذا ما سما الجانب التعليمي أو التثقيفي على الجانب التربوي والترفيهي واتجهنا إلى الطفل كعقل متجاهلين النفس والأحاسيس أن رياض الأطفال تبتعد عن تحقيق رسالتها وتكون سبباً في إبعاد الطفل عن المدرسة والضعف الواضح في مستواه العلمي فيما بعد.

إن فترة ما قبل الدخول إلى المدرسة والتي نسميها رياض الأطفال... أو فترة ما قبل البدء بالتعليم أو التحصيل والتي نعني بها الأشهر الأولى من نصف السنة الأولى في المدرسة الرسمية الابتدائية، إن هاتين الفترتين مهمتان في حياة الطفل بل تؤثران في توجيهه إلى المدرسة والتحصيل... وعلينا أن ندرك هذه الحقيقة مبتعدين عن أسلوب الضغط والإكراه متوجهين إلى الطفل شعوراً ونفساً قبل توجهنا إليه عقلاً عن طريق اللعب والغناء، تاركين التلقين الإجباري بعيداً... مدركين أن الطفل ليس حصالة للمعلومات وعلى المربي أن يكون مرشداً وموجّهاً.

ونحن بدورنا، نقول: أيها الآباء والمربون، دعوا الطفل يلعب... يمرح... يغني ... يسأل... ويتعلم!. كل يتغير، كل يتبدل... يتطور... يتقدم.

فالألعاب وبخاصة «الألعاب الإلكترونية» فن جديد يختلف عن الفنون الأخرى، يعلّم الطفل التكيف مع الظروف التي تحول بينه وبين النجاح، لا تمنعوا أطفالكم من الغناء والموسيقا، حيث إن ذلك أفضل طريق لصقل الشعور وإنماء المواهب وبعث التفكير والانتباه. ■

بقلم: أشرف سعد

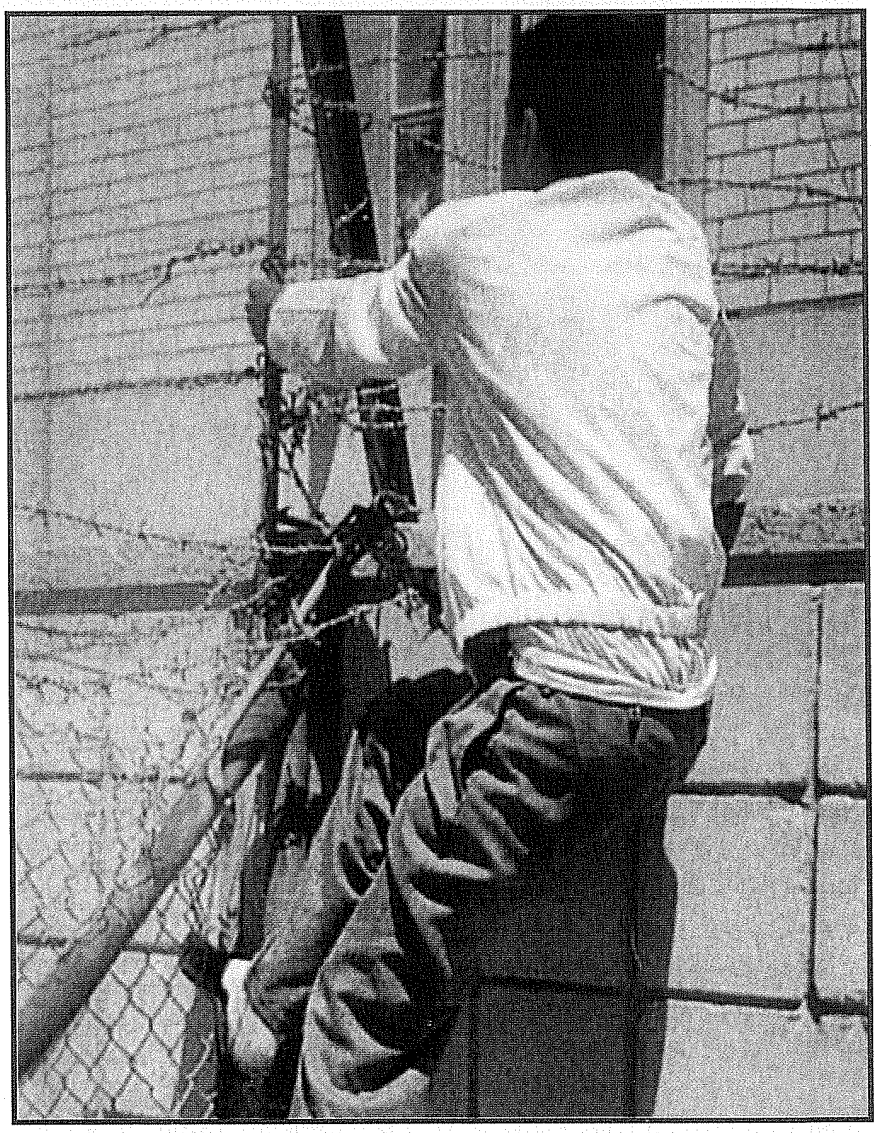

من مشاكل الطفولة

عندما يسرق الطفل ؟ كيف نعالجه

في السنوات الأولى من حياة الطفل وحتى سن الخامسة من عمره قد يحصل الطفل على أشياء لا تخصه «أي يمتلكها كل أفراد الأسرة»، ولكنه حين يفعل ذلك يكون بشكل عفوي، وعادة ما يكون سبب ذلك أن الطفل لم يتحقق له النضج العقلي والاجتماعي اللذين يجعلاه يميز بين الملكية العامة والملكية الخاصة. وسلوك الطفل في هذه الحال قد لا يزعجنا كوالدين ومربين، وكل ما هو مطلوب حينئذ من الكبار المحيطين بالطفل أن يوضحوا له الفارق بين ما هو ملك له وما هو ملك لغيره.

والسرقة سلوك يعبّر عن حاجة نفسية ويمكن التعرف على هذا السلوك في ضوء شخصية الطفل وطرق تكوينها فربما تكون السرقة وسيلة لإثبات الذات، وربما تكون تعبيراً عن ميل للتملك والاستمتاع بالقوة وقد تكون صورة من صور الاضطراب النفسي وهنا تكمن المشكلة.

فالسرقة عندما تظهر كسلوك مرضي على الأطفال فيما بعد سن الخامسة، عادة ما تسبب قلقاً شديداً للآباء والمعلمين الذين يتعاملون مع الطفل، لذا يجب أن نبحث عن دوافع السرقة.

والطفل يشعر بالحاجة للملكية شعوراً تلقائياً في سن مبكرة جداً وقد يظهر هذا الشعور في الفترة الأخيرة من السنة الأولى.

وللأسف الشديد قد يهمل بعض الآباء تكوين اتجاه للتمييز بين ما يملكه الطفل وما لا يملكه فيتركونه من دون ممتلكات... «أي من دون أدوات خاصة به» أو لعب أو يجعلونه ينشأ في منزل يتميز بأن كل ما فيه ملك للكبار، وأحياناً يتسبب الآباء عن قصد في عدم نضوج الوعي والتمييز بين ما يملكه الطفل وما لا يملكه وذلك بأن يشتروا لعبة واحدة يلعب بها أكثر من طفل في المنزل دون تميز ظانين خطأ أن هذه أحسن وسيلة لتعليم الأطفال الإيثار بدلاً من الأثرة، والتعاون بدلاً

الأطفال الإيثار بدلاً من الأثرة، والتعاون بدلاً من الأنانية، وهم بذلك يرتكبون خطأ كبيراً، ولعل أهم القواعد والأسس التي تكوّن اتجاهاً سلبياً نحو السرقة عند الأطفال بل تكون اتجاهاً إيجابياً نحو الأمانة هو احترام حقوق الطفل فيما يملك من أدوات خاصة ولعب ثم تركه يتصرف فيها التصرف المشروع. ويجب على الآباء أن يدركوا أنه قبل تكوين الاتجاهات السلوكية نحو الأمانة لابد من حدوث اعتداءات من الطفل على ما يملكه غيره من الأطفال وبخاصة حين يكون في المنزل أخوة متقاربين في السن.

لماذا يسرق الأطفال؟

١ ـ السبب الجهل قد يسرق الطفل لعبة أخيه أو زميله لأنه يجهل معنى الملكية ويجهل كيف يحترم ملكية الآخرين «أي أن نموه لم يمكنه من التميز بين ماله وما ليس له»، كما أنه لا يفهم أن أخذه للعبة غيره معناه أمر مشين، بل إنه لا يفهم لماذا يأخذها؟ ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعتبره سارقاً ويكفي لكي نعوده على سلوك الأمانة أن ننمي فكره عن الملكية ونخصص له أدوات ولعبا خاصة به تختلف في لونها عن لون الألعاب الخاصة بأخوته.

٢ ـ بسبب الحرمان فقد يسرق الطفل شيئاً محروماً منه وليس في مقدوره الحصول عليه، فيشعر بحاجة ملحّة أو حافز للسرقة... كأن يسرق طعاماً يشتهيه لأنه جائع وقد يسرق لعبة غيره لأنه محروم منها أو قد يسرق النقود لشراء هذه الأشياء. والدافع للسرقة هنا هو محاولة لإشباع بعض الحاجات النفسية نحو ما يسرقه.

٣ ـ الانتقام: قد يكون الدافع إلى السرقة هو الانتقام فقد يسرق الطفل والده لأنه صارم في معاملته له فيتجه الطفل للسرقة انتقاماً من والده رداً على معاملته السيئة.

٤ ـ للتخلص من مأزق: أحياناً يكسر الطفل في المنزل بعض الأشياء الثمينة في أثناء لعبه ولكي يتخلص من المأزق يسرق النقود لكي يشتري بدل الحاجة التي كُسرت لإخفاء فعلته.

٥ ـ الحصول على مركز مرموق: فأحياناً يكون دافع الطفل للسرقة هو حصوله على مركز مرموق بين أقرانه فيسرق للتفاخر بما لديه أو ليقصده زملاؤه بأن يعطيهم مما سرق، ومثل هذا الطفل يعاني عادة من الشعور بالنقص.

٦ ـ الميل إلى إشباع عاطفة أو هواية: مثل ميل الطفل لركوب الدراجة أو دخول السينما أو شراء ما يلزمه لممارسة هواية خاصة مثل التفكير في شراء لعبة أعجبته ويكون الغرض من السرقة هنا إشباع هوايته.

٧ ـ تقليد الأقران وشغل أوقات الفراغ: أحياناً يكون سبب السرقة عند بعض الأطفال هو تقليد أقران لهم في البيئة أو لشغل أوقات الفراغ فيسرق الطفل ليشغل وقته ويحدث ذلك عادة للأطفال الذين يعيشون في جو عائلي مضطرب لا يتصف بالأمن والطمأنينة ومن ثم تنعدم فيه الرقابة والأبوة.

٨ ـ نشوء الطفل في بيئة إجرامية: فعندما ينشأ الطفل في بيئة إجرامية يتعود على السرقة والاعتداء على ملكية غيره وتشعره السرقة بأن هذا نوع من القوة والانتصار وتقدير الذات خصوصاً لأنه يفلت من العقوبة وقد يحدث ذلك عادة لأسباب اقتصادية تدفعه لإشباع حاجته إلى الطعام أو لشراء ما يحتاجه في المدرسة ويعجز والده عن تقديمه له.

٩ ـ شدة حرص الأم على الأشياء: في هذه الحال يلجأ الطفل إلى السرقة وبخاصة في الأسر التي تعودت فيها الأم على الاحتفاظ بكل شيء وتغلق على كل شيء ليكون بعيداً عن متناول الأطفال وهذه السرقة تعبر عن رغبة الطفل في الاستطلاع والمعرفة والوصول إلى ما تحويه الخزانة المغلقة فإذا نسيت الأم إحدى هذه الخزانات المغلقة مفتوحة فالطفل يسرع للعبث بها.

رد فعل الآباء عند حدوث السرقة:

عندما يكتشف الآباء أن ابنهم قد سرق شيئاً يصابون بحال من الذعر تنتابهم، وهم يفاجأون بمثل هذا العمل ويتصورون أن ما وقع هو كارثة كبرى وهذه المبالغة ليست إلا تصرفاً خاطئاً قد يترتب عليه أضرار بالغة لذلك لابد من السيطرة على الموقف وعلينا ألا نلجأ إلى العقاب العنيف حتى نتعرف على الأسباب التي أدت بالطفل إلى السرقة ومبدأ العقاب ليس سيئاً في حد ذاته ولكن علينا ألا نبالغ فيه.

يجب ألا نجرح كرامة الطفل ولا نجبره على الاعتراف بجرمه أمام أفراد الأسرة أو أمام أصدقائه في المدرسة ولا نعاير الطفل بالسرقة أو نعاقبه أمام أصدقائه لأننا لو فعلنا ذلك لعاد الطفل إلى السرقة مرة أخرى انتقاماً منا على عقابه.

كما يجب ألا نتساهل ونمدحه على مهارة وصوله إلى ما سرق لأن الطفل يعتقد في مثل هذه الحال أن كل شيء قد أصبح مباحاً له ويعتاد على السرقة مرة أخرى لأنه لم ينل العقاب أو التوبيخ المناسب على ما فعله.

كيف نتفادى السرقة عند الأطفال؟

١ ـ على الوالدين أن يتجنبا الاندفاع إلى إشعار الطفل بسوء ظنهما فيه وتخوفهما منه وعدم ثقتهما في تصرفاته بقفل جميع الأدراج بالمفتاح ولا يسرفا في ترك مبالغ كبيرة من النقود ملقاة في متناول يد الطفل حتى لا تكون السبب في إغرائه بالسرقة.

٢ ـ على الوالدين إفهام الطفل حقوقه وواجباته وأن هناك أشياء من حقه الحصول عليها، وأشياء ليس من حقه الحصول عليها ونعلّمه على ألا تمتد يده إليها وينصح علماء الصحة النفسية أن نروي للطفل القصص المشوّقة عن اللصوص وما ينالونه من عقاب وسوء معاملة ونهاية سيئة بينما الأمانة تلقى المكافأة ورضا المجتمع وتقديره.

٣ ـ على المربين أن يدرسوا كل حالة على حدة ويهتموا بمعرفة، هل السرقة عابرة أو متكررة؟

كيف نعالج السرقة عند الأطفال؟

١ ـ يجب أن يعيش الأبناء في وسط عائلي يتمتع بالدفء العاطفي المتبادل بين الآباء

والأبناء حتى يشعر الأبناء بالأمن والطمأنينة كما يجب لمن كان ذو سعة توفير الضرورات اللازمة للأطفال من مأكل وملبس ولعب وخلافه.

٢ ـ مساعدة الأطفال على الشعور بالانتماء والاندماج في جماعات سوية في المدرسة والنادي والمنزل.

٣ ـ خلق الشعور بالملكية عند الطفل منذ سنيه الأولى ويخصص للطفل دولاباً خاصاً به يحفظ به ألعابه التي يمكلها.

٤ ـ المرونة والتسامح في حالات السرقة الفردية العابرة التي تحدث في حياة الصغار وبخاصة بعد معرفة السبب الذي ورائها وعلاجه كإشباع حاجاتهم النفسية.

٥ ـ عدم الإلحاح على الطفل بالاعتراف لأن ذلك يدفعه إلى الكذب وقد يجد أنه نجح في الكذب... فيتمادى في السرقة وفي الكذب.

٦ ـ العلاج السلوكي وذلك يتم بتعديل سلوكيات الطفل السارق وبناء ألوان سلوكية جديدة.

٧ ـ العلاج باللعب كتب أستر «١٩٤٣» عن استخدامات اللعب في مجال العلاج ما يلي:

أ ـ يمكن أن يستخدم اللعب كأداة للتشخيص من أجل فهم الطفل.

ب ـ يمكن أن نستخدم اللعب في إقامة علاقة عمل مع الطفل.

٣ ـ يمكن أن يستخدم اللعب للتعرف على طريق لعب الطفل في حياته اليومية وعلى دفاعاته ضد القلق.

٤ ـ يمكن أن يستخدم اللعب لمساعدة الطفل على أن يعبّر بالألفاظ عن مادة شعورية معينة والمشاعر المرتبطة بها.

ولكي تنمي سلوك الأمانة في الطفل يجب أن نحترم ملكية الطفل ومن ثم نعلّمه احترام ملكية غيره ونشبع حاجاته النفسية ونشعره بالأمن والطمأنينة وبالشعور وبالتقدير حتى يشب على درجة معقولة من الثقة بالنفس، وبالتالي نتغلب على مشكلة السرقة إذا صدرت عنه. ■

خاطرة

بقلم : ليلى عبدالرحمن السلطان

إليك لجوئي

حين يستبدُّ بي الضجر... وتهيمنُ عليَّ براثنُ القهر واليأس... تسوء نفسي... وتجدب روحي... وينضبُ مائي... فافتقد نضارتي... ويخبو توهجي... فتفقد الحياة طعمها... ويبهتُ لونها... فيغدو السأمُ ديدني ومالي... وتخمد جذوة عطائي وتدفقي... فأعيش حالة من الانهزام والتقهقر... وأتخبط في سلبية قاتلة... فيغدو الإحجام والتردد هاجسي... لا تدوم هذه الحالة طويلاً... فسرعان ما تتلاشى عندما أبحر في أمواج هذا الكون الفسيح... مرسلة أشرعة النفس المتعبة لترسو في مرافئ خلق الله العجيب... فأستعيد رباطة جأشي... وأعلن بداية جديدة لنضارتي وتدفقي مفتتحاً ذلك بـ«سبحان الله... والحمد لله... ولا إله إلا الله... والله أكبر» وهنا تنقلب الموازين... ليحل الأمل محل اليأس... والفرح محل الحزن... وتنساب شلالات هادئة من التأمل... والتفكر في عظمة خالق الكون... فيلينُ القلب بعد قسوة... وتعود الخصوبة من جديد إلى مسارب الروح المجدبة وتنبض العروق بدفقات جديدة عامرة بالحياة... فترقص النفس في نشوة... وإشراق، مفعمة بالأمل... والحيوية... والعطاء.

إنها ـ ولادة جديدة ـ مفتاحها «سبحانه الله... والحمد لله... ولا إله إلا الله... والله أكبر» وفي مخاض هذه الولادة... أرسل نظراتي إلى السماء... في ليلة افتقد فيها القمر... لأنتقل من نجمة إلى أخرى... وأنصتُ بخشوع لسكون الليل الرهيب... الذي تخترقه أصوات متداخلة لعناصر الطبيعة... وأصوات بعض الحيوانات في الغابة القريبة... إنها معجزة الخالق العظيم.

سبحانك يا رب... ما أعظمك!!... يا من خلقت كل شيء بدقة وإتقان... إليك ترنو العيون الحائرة... إليك تهفو القلوب العاشقة لروعتك وبهائك... يا رجاء ما خاب من وضعه بين ناظريه... يا حباً تزهرّ به القلوب المتصحرة... إليك أرفع أكفي بالدعاء:

اللهم بدد الحزن من نفسي وخاطري... وأبعد القهر واليأس عن جوارحي.

يا إلهي... وأملي... ورجائي... إليك أشكو عجزي... وقلة حيلتي وهواني.

اللهم أنت ملاذي... وإليك لجوئي... يا قويٌّ يا رحيم.

ما خاب من تمسك برحمتك... يا رحمن.

ما خسر من طلبَ عفوك... ومغفرتك... يا غفور.

فاعفُ عني... واغفر لي... وتجاوز عن ضعفي... وذنوبي... وإسرافي في أمري.

إنك أنت التواب الرحيم... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

● **إضاءة :**

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣. ■

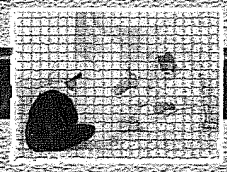

إعداد: طارق البكري

الطفل في اللغة والاصطلاح

الطفل في اللغة

لم تختلف كتب اللغة القديمة والحديثة في تعريفها لمادة «طفل» فجاءت بمجملها متقاربة في المعنى شكلاً ومضموناً مع اختلاف باستخدام الألفاظ.

لسان العرب عرَّف الطفل والطفلة بالصغيرين وأبان أن الطفل هو «الصغير من كل شيء»، وكذا قال صاحب القاموس وفي المختار هو «المولود، وولد كل وحشية أيضاً طفل». وقد جاء في الوسيط أن الطفل هو «المولود مادام نعماً، رخصاً والولد حتى البلوغ» والرخص هو الشيء الناعم.

وفي معجم اللغة العربية «جئته والليل طفل، أي في أوله، إنه يسعى في أطفال الحوائج، «والطفل» سقط النار، أي الشرارة، تطايرت أطفال النار، عشب طفل أي لم يطل، والجمع أطفال».

وذكر معجم عين الفعل أن النبات إن لم يطل «فهو طفل».

أما الطفولة والطفولية فهي «المرحلة من الميلاد حتى البلوغ».

وكذا في الوسيط، وبيَّن اللسان أن «الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم».

وعلى هذا النمط، أو ما يماثله، يسرد أصحاب المعاجم إيضاحات، وتعريفات لغوية لمادة «طفل»، وهي بمجملها تفيد معنى متشابهاً لا يخرج عن كونه دلالة على الصغر، إذا نعتت به الأشياء، أو للدلالة على مرحلة زمنية من عمر الإنسان، تلي المرحلة الجينية، أي منذ أن يخرج الإنسان من رحم أمه وليداً، إلى مرحلة البلوغ التي تدخل الإنسان تحت مظلة التكليف الشرعي، لأن خطاب «التكليف لا يتناول غير مكلف ولا خلاف في ذلك في الواجبات الشرعية»، إذا كان خالياً من العيوب العقلية، وقد حدد الله تعالى بدأ مرحلة التكليف بالاحتلام بقوله: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) النور:٥٩.

الطفل في الاصطلاح:

الطفل في أبسط تعريفاته هو «كل إنسان لا يزيد عمره عن أربعة عشر عاماً».

إذن، فإن الطفل المقصود هو الإنسان، ويخرج بذلك كل المخلوقات الأخرى، كما أنه كل من لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وبهذا يخرج من تجاوز هذا العمر، وهو أمر لم تتفق معه جميع المراجع، حيث ضم بعضهم مرحلة المراهقة التي تمتد إلى أواخر العقد الثاني من عمر الإنسان، فالطفل كما عرفوه «هو ذلك الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد بعد، وعلى ضوء هذا التعريف، فإن الطفولة تمتد منذ الميلاد حتى ما بعد سن العشرين، وهي السن التي يبلغ معظم البشر نضجهم البدني الكامل.

وهذا التعريف يرفع مرحلة الطفولة إلى ما بعد العشرين من عمر الإنسان، ويقيدها بالنضج البدني دون اعتبار للنضج العقلي والنفسي والوجداني.

ويرى بعض المتخصصين أن «الطفولة معنى جامع، يضم الأعمار ما بين المرحلة الجينية ومرحلة الاعتماد على النفس، والطفولة تعبر بالفرد من حالة العجز التام والاعتماد على الآخرين عند الميلاد، إلى تلك المرحلة الفارقة التي يتاح عندها قسط بين اعتماد الفرد على نفسه واضطلاعه بنشاط إنتاجي وابتكاري خلاّق وفعّال لاستعداداته وقدراته الشخصية، وما يتوافر له في مجتمعه من متطلبات التطبيع الاجتماعي والتربية والرعاية الصحية وغيرها، ويعني هذا أن طول مرحلة الطفولة يتفاوت من جيل إلى جيل ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، طبقاً لمتطلبات الحياة ونوعيتها «بدائية - ريفية - صناعية ... إلخ» في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصة».

ويطرح النص السابق، الذي يقدم صورة واقعية للطفولة - كما يبدو لنا - عدداً من النقاط المهمة التي من المفيد التوقف عندها قليلاً.

من هذه النقاط أن الطفولة على الرغم من أنها مرتبطة بالجانب العضوي، إلا أنها أشد التصاقاً بالجانب النفسي الفردي، لأن «الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كل منهم، وأنه لا يوجد أي فردين متشابهين تشابهاً تاماً على الإطلاق، بل لكل شخص طابعه الفريد الذي يميزه عن غيره». وهذه الفروق بطبيعة الحال تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، تأتي أولاً من طبيعة الإنسان نفسه ومدى استعداده النفسي، ومن ثم من محيطه الذي يغرس في نفسه عادات وقيماً، مع الاعتبار هنا أن هذا المحيط لم يعد في عصرنا ذاك المحيط التقليدي من بيت وأسرة ومجتمع ضيق، فقد تجاوز الإنسان هذا الحد كثيراً وأصبح العالم كله محيطاً بالفرد كالأسرة الصغيرة، على ضوء التطورات التقنية الكبيرة التي لم يعرف الإنسان لها مثيلاً في الأزمنة الغابرة.

وبما أن مجتمعاتنا الحديثة، بما حوته من تدفق كبير للمعلومات، وبما أنتجته من وسائل تسهل أساليب العمل، وبالتالي إمكان الاعتماد على النفس، بات ممكناً على الشاب أو الشابة الاعتماد على النفس في قضاء الأمور، بما يتلاءم مع السن والمسؤولية، دون وضع سقف محدد لهذه السن، لأن المسألة مرتبطة بالوعي الفكري وليست مرتبطة بالشكل العضوي.

من هنا يمكن لنا أن نقدم تعريفاً مختصراً للطفولة بأنها: المرحلة التي تعقب الولادة مباشرة وتستمر حتى مرحلة الوعي الكامل والقدرة على اتخاذ القرار والقيام بالمسؤوليات، وهي غالباً ما تكون بعد مرحلة البلوغ بسنوات قليلة. ■

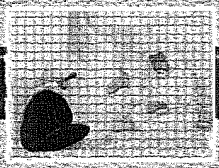

بقلم : إيمان أحمد حسين

نساء في تاريخ الإسلام

كريمة المرزوية

فقيهة مكة في القرن الخامس الهجري

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول: الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا مما علمك الله، فقال اجتمعن في يوم كذا، وكذا، فاجتمعن فأتاهن فعلّمهن مما علمه الله»، ولا يخفى ما في هذا الأمر المؤكد من تكريم للمرأة والعناية برفع مستواها وحضها على طلب العلم. وأي خير أعظم من الدعوة إلى الله وأي ثقافة أنفع من ثقافة الإسلام... إنها ثقافة تكسب الإنسان معرفة الخالق والخلق، وأصول الحياة وسنتها وأحكامها الصحيحة. ومن هنا نجد للمرأة في تاريخ الإسلام ما لا نجده للمرأة في العالم الحديث، فعلى الرغم من الدعوة العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها في أميركا وأوروبا، وعلى الرغم من وجود مدرّسات وطبيبات، لم تبغ فيهم المرأة التي تكون لكبار الرجال إماماً يأخذون عنها. بينما نجد في مختلف عصور الإسلام نساء لهن أثر بالغ يخلده التاريخ، حيث كن للرجال وللنساء قدوة. وهناك السيدة عائشة كانت شاعرة وأديبة وعالمه بالطب... وفقيهة مجتهدة يؤخذ عنها الدين والقرآن والسنن والفتوى.

وفي اتباع الصحابة «كانت حفصة بنت سرين» و«أم الدرداء» في علوم الدين وكانت «عائشة بنت عبدالرحمن» وغيرها في الشعر والأدب وهكذا كثر في العهد العباسي في الشرق وفي ظل الأمويين في الأندلس النساء اللواتي اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية حتى كان ذلك كما قال «لوبون» من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب «حضارة العرب غوستاف لوبون ص ٤٨٩».

وفي الحديث النبوي الشريف أسهمت المرأة في هذا المجال بنصيب طيب بدأً بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مكّنتها صلتها بالنبي ﷺ من إثراء هذا العلم. وبرزت نساء أخريات في فترات متتالية في هذا العلم ومن أشهرهن «أم الكرام بنت أحمد المرزوية» التي انتهى إليها علو إسناد الجامع الصحيح للإمام البخاري في القرن الخامس الهجري، والتي كانت عالمة عصرها في الحديث، ومقصد علماء زمانها حيث كانوا يحضرون مجالسها العامرة في مكة المكرمة للأخذ عنها والدراسة عليها والرواية عنها. ومع كل ما قدمته كريمة أم الكرام للحديث النبوي إلا أنها لم تحظ في العصور المتأخرة بالذي يتلاءم ومكانتها الفذة. وفي هذا المقال محاولة لإلقاء بعض الضوء على حياة كريمة ودورها في خدمة الحديث النبوي الشريف.

نشأتها:

ولدت كريمة في العام ٣٦٥هجرية على وجه التقريب في قرية «كشميهن» إحدى قرى خراسان الواقعة في أقصى الشرق الإسلامي المعروف في ذلك الوقت، والدها هو أحمد بن محمد بن أبي حاتم الذي تغفل المصادر أمره، مكتفية بذكر اسمه فقط ما يدلل على أنه لم يكن له دور يذكر في ميدان العلم، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء وألمعية في مخيلتها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس، موفراً لها كل الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافي والفكري لقرية كشميهن التي ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم الحافظ أبو الهيثم محمد بن زارع الكشميهني الذي كان أول أساتذتها والذي أدركته وهي صغيرة في السن فتلقت عنه مباشرة، ودرست الجامع الصحيح عليه دراسة متقنة حتى أن جلّ المصادر تجعله همزة الوصل بينهما فنجد الذهبي يقول: «روت الصحيح عن الكشميهني» «ويقول ابن خطيب الدهشة «سمعت جامع البخاري عن الكشميهني» ويقول ابن كثير «سمعت صحيح البخاري عن الكشميهني» ويقول ابن الجوزي «سمعت أبا الهيثم وغيره وإلى ذلك يشير كل من العاملية وكحالة».

وكانت كريمة في نحو الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبي الهيثم ولا نعرف على التحديد إذا ما كان لقاؤها به قد تم في كشميهن موطنها لأصلي أو في مدينة مرو الشاهجان التي هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر الكثيرة، وإذا كنا قد عرفنا علاقتها بأبي الهيثم فإن علاقتها بالحميدي غير معروفة فلعلها لم تلتق به. أما أستاذ كريمة الثاني فهو العلاّمة الإمام زاهر

ابن أحمد السرخسي الذي كان من أئمة الحديث في عصره، حظي باحترام معاصريه وتقدير أجيال كثيرة جاءت فيما بعد، وكان معاصراً لأبي الهيثم، ومات في العام نفسه الذي مات فيه أبو الهيثم وهو العام ٣٨٩ هـ. وقد درست عليه كريمة الحديث أيضاً، ولعل ذلك كان في مدينة مرو الشاهجان ولا تشير المصادر إلى علماء آخرين درست عليهم كريمة ولا تتحدث عن أساتذتها أو من أخذت عنهم في مجالات المعرفة الأخرى كالقرآن وعلومه والنحو والصرف واللغة والبلاغة والأدب والتي لا شك أنها قد أتقنتها وألّمت بها.

مجلسها العلمي:

وقد تفرغت لدراسة الحديث وتخصصت في الجامع الصحيح للإمام البخاري حيث ركّزت جلّ جهدها على دراسته وحفظه وروايته وضبطه، حتى أصبحت حجة في عصرها، ودفعها الشغف بالحديث الشريف ودراسته إلى الهجرة من مرو الشاهجان إلى منبع هذا العلم ومصدره «مكة المكرمة»، فرحلت تقطع الفيافي والقفار من أقصى الشرق الإسلامي حتى حطت رحالها في البلد الحرام مهاجرة لله تعالى طالبة مجاورة بيته العتيق، وكانت تشارف على الثلاثين من عمرها حين ذاك. وفي مكة المكرمة ملتقى أفئدة المسلمين، اشتهر أمر كريمة وذاع صيتها في الآفاق الإسلامية عبر الحجيج، فقصدها العلماء والفضلاء للأخذ عنها.

وتدل الأسماء الكبيرة التي أخذت عنها المنتمية إلى أقاليم إسلامية متفرقة في الشرق والغرب على أنها بلغت شأواً بعيداً في العلم وهي في مكة، حيث كان لها مجلس علم يحضره العلماء والطلاب وهي تلقي على كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى.

وكان مجلس كريمة هذا مجلساً حافلاً حضره جملة من أعلام القرن الخامس ومشاهير علمائه من بينهم العالم المؤرخ «أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي» صاحب التاريخ المشهور والذي قرأ عليها صحيح البخاري في خمسة أيام وكذلك العلاّمة السمعاني صاحب كتاب الأنساب، والشريف العالم أبو طالب الزينبي نقيب النقباء في بغداد وأحد علماء الحنفية وأبو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي الذي يروي الصحيح عنها.

علماء يشهدون بمكانتها:

وما يجعلنا ندرك عظمة ومكانتة كريمة في ذلك العصر التي امتدح علمها وأثنى عليها كل من تحدّث عنها، فنجد ابن الجوزي يشير إلى أنها كانت عالمة صالحة، ويقول اليافعي إنها كانت ذات ضبط وفهم ونباهة ويصفها ابن الأثير بقوله «وهي التي تروي صحيح البخاري وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح»، وعدّها ابن الأهدل من الحفّاظ كما نقل عن أبي ذر الهروي وكان من علماء مكة أنه قال عند موته «عليكم بكريمة فإنها تحمل كتاب البخاري عن طريق أبي الهيثم يقصد ترويه بإسناد عال وتقول عنها العاملية وروايتها من أصح الروايات للبخاري «وكانت تضبط كتبها وتقابل بنسخها وكان أكثر ميلها للحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها فكانت محدثّة فاضلة ذات فهم ونباهة. والواقع أن مكانه كريمة الرفيعة في مجال الحديث النبوي الشريف لم تحظَ بمثله امرأة أخرى.

ومما لا مراء فيه فإن الشهرة التي حصلت عليها فاقت بها عشرات من العلماء الفضلاء الذين ظهروا في عصرها وبزت بها أساتذتها من الرجال مما دفع بعالم كبير مثل الخطيب البغدادي أن يحضر مجلسها ويسمع منها ويقف بين يديها موقف التلميذ من الأستاذ. وإذا كان الجانب الشخصي من حياة كريمة يشوبه الغموض، فإن الجانب العلمي من حياتها لا يرقى إلى درجة الوضوح الكامل.

فنحن لا نملك أدلة كافية على مشاركة علمية لها ظهرت في شكل كتاب مستقل، والمصادر التي نملكها لا تشير إلى هذه القضية، إشارة واضحة إذ كل الذي قيل عنها: إنها جمعت الصحيح بروايتها.

ويبدو أن قول العاملية: من أنها كانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها لا يعني أنها وضعت مؤلفات خاصة بها لعلها إشارة إلى جمعها الصحيح للبخاري فقط ولكن على الرغم من ذلك فإن المرء لا يستبعد أن تكون لها مؤلفاتها الخاصة بها في الحديث وعلومه غير أن الجزم بذلك صعب لفقدان الدليل المادي الذي يؤيد هذا الرأي.

العالمة الصالحة:

ولم يكن الجانب العلمي هو كل ما اتصفت به كريمة، بل يضاف إلى ذلك الصلاح والتقوى والكرم والجود حيث وصفت «بالعالمة الصالحة». هذا إلى جانب تمتعها بشخصية قوية تتضح من خلال تفرغها التام للعلم والتدريس حتى إنها عاشت حياتها عازفة عن الزواج وماتت بكراً وهي تشارف على المئة سنة وكان ذلك في العام ٤٦٣ أو ٤٦٥ هجرية في مكة المكرمة، التي عاشت الجانب الأكبر من حياتها فيها مجاورة لبيت الله الحرم. والمؤسف أنه يُتناسى ذكر كريمة في العصر الحديث، مع أنها تمثل عظمة المرأة المسلمة ومشاركتها الفاعلة في الحركة الفكرية الإسلامية، انطلاقاً من قيم الإسلام الخالدة التي أعطت المرأة كل الحق في العمل الجاد والبنّاء والمشاركة. ■

المصادر:

١ ـ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠) الكامل ـ القاهرة ـ ١٢٩٠هـ.

٢ ـ الجاسر الحمد.. أثر الحج في نشرة الثقافة جريدة المدينة المنورة عدد ٢٣٧٥ ٧ ذو الحجة ١٣٩١هـ.

٣ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ.

٤ ـ ابن الجوزي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩هـ.

٥ ـ ابن الخطيب الدهشة تحف الأرب في شكل الأسماء والنسب.

٦ ـ العاملية ـ زينب بنت علي بن حسين ـ في طبقات ربات الخدور ـ القاهرة ـ المطبعة الأميرية ١٣١٢هـ.

٧ ـ ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي ت٧٧٤هـ ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٥٨هـ.

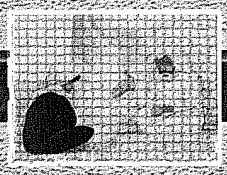

بقلم: عبدالعزيز إدريس

تحرير المرأة بين كينونتها وبين المقايسة

على الرغم من مرور نحو نصف قرن من المحاولات الخجلة للمرأة العربية لخلع الحجاب ودخول «عالم الرجال» ومرور خمس وعشرين سنة من محاولات ناضجة ومتطرفة، متفاوتة للخروج، سواء بالقهر أو بالتناطح، من وضعية الحرمة، لا يزال موضوع المرأة يطرح نفسه وبراهنية ولا يشعر بوضعها الوجودي إلا النساء الواعيات ومن عايشهن في هذه الفترة الانتقالية الخطرة.

والواقع أن وضعية المرأة كقاصر تضعها، حتماً في موضع الأقلية بالمعنى الاجتماعي والوجودي، والأمة التي تصفها بكلمة قاصر أمة قاصرة وسائرة في ملكوت التأخر، وأن وضعية المرأة كأقلية بالمعنى الاجتماعي والوجودي يطرح موضوع فالديموقراطية وحقوق الإنسان على طاولة البحث التي لم يسلم منها أي من المسلمات التي اعتقدنا أو نعتقد.

فالديموقراطية على هذا الأساس هي غياب الأقلية عن محاور الوجود اليومية، وابتلاع الأكثرية التدويبي لهذه الأقلية واعتبارها «عدداً» أو ملحقاً تشبيثياً.

وبالتالي نزع صفة الإنسان عن كائن كلي الحضور عياناً وروحاً، وعدم الاعتراف بأدنى الحقوق الإنسانية له.

إن مجرد الارتضاء الذهني بأن تذوب الأقلية على الحضور المميز يعكس أزمة عقلية ومجتمعية وتاريخية، تكمن في تخفيض الكائن إلى مجرد أو إلى تسمية أو إلى عدد، وبالتالي ينعكس «عموم القهر» إلى أيديولوجية وحس، وسلطة، ومنطق للعلاقات المجتمعية، منذ أكثر من نصف قرن ونخبة المجتمع تتحدث جدياً عن إخراج نصف المجتمع الآخر من أسوار منطق «الحرمة، والعار» وإدخالها إلى الواقع كممارسة وشغل وكفاح وحرية، أو مطالبة الحرية، ورغم مرور هذا الوقت الطويل فإن المطلب الحقيقي للمرأة لم يتقبل خطوة إيجابية نحو الأمام، والواقع أننا إذا أردنا أن نعامل قضية المرأة، فلن نستطيع أن نتناولها بمعزل عن واقع تاريخي ومجتمعي تعيشه الأمة. فوضع المرأة بالمعنى الضيق للكلمة يعكس كينونة الواقع وحصيلة القوى الحقيقية التي تفعل وتتفاعل مع هيكل الأمة ككل. ونحن ميالون إلى الجزم بأن أي تغير في واقع المرأة العربية لابد أن يصاحبه تغير حقيقي في الواقع التاريخي، ووضع على مستوى صراع البحث عن موطن في هيكل الحضارة، وبتجاوز الأنين و«العسيس» إلى المجابهة والتفاعل الجذري فإننا لا نعتبر حقاً أن وضعية المرأة الغربية قد تقدمت عندما دخلت التجربة الواقعية: ونالت حريتها الاقتصادية خصوصا على المستوى الإنساني العام فالتجربة التي تعيشها المرأة لا تزال، وبنسبة ٩٠ في المئة في شروط تاريخية اجتماعية وروحية يسوغها الرجال بالمعنى الزائد.

لقد شهدت تجربة تحرر المرأة في الوطن العربي محاولات جادة وعنيفة عبرت بها الكثيرات عن أزمة المشاعر المولودة، وعن وعي الاضطهاد التاريخي الذي تعيشه المرأة والواقع أن هذه التجارب الإنسانية الفذة، سواء على صعيد الكيان أو على صعيد الحياة الاجتماعية أو النضالية، لم تنعكس إيجابياً على وضع المرأة بشكل حقيقي، رغم أنها أسهمت في شيوع فكرة تحرر المرأة في بعض الأوساط المثقفة وبطبيعة الأحوال فإن الخاسر الوحيد في هذه التجارب هي المرأة ذاتها.

المشكلة في رأينا أن موضوع المرأة، مثل كل الموضوعات التي تدور في فلك التأخر العربي فهي لا تزال بحاجة إلى إعادة فتح ملفها لأنها لم تطرق كعمل جاد، فأغلب مصطلحات التغيير في الوطن العربي مثل الثورة، الشعب، التاريخ، التراث، تحرر المرأة، والأمة، المسألة القومية... إلخ، يغلب عليها الطابع «الوجداني» أكثر من الطابع العلمي أو الواقع المطابق، ولهذا فإن زمن التراجع العربي يطرح ويعنف هذه المسألة على أمل إعادة البحث من أجل إيجاد طريقها الحقيقي نحو التقدم.

إن مشكلة المرأة «من زاوية تجريدية بحتة» هي في منطق المقايسة مع الرجل على أنه المرجع الأساسي للحضور في الواقع وعلى أنه مقياس عكسي لتأخر المرأة، فبقدر حضور وتقدم الرجل تشير الأمور إلى تغييب المرأة، في منطق المقايسة مع الرجل تسعى دوماً للتقدم على منواله، وهي في غالب خطواتها نحو إثبات ذاتها تنظر إلى الرجل كمقياس.

ومن أجل الدخول في عالم «الذكور» فلابد لها من التشبه بهم،

إن هذا الواقع يفقد المرأة كينونتها ووجودها الخاص الذي طبعَ مكوناتها الإنسانية لفترة طويلة ويتجاوز واقع الافتراق والاختلاف عن الرجل وهو الواقع الأول الذي يجب أن يتم التعامل معه بواقعية كشوط في صلب مرحلة تغيير وضع المرأة.

والحق أن إلغاء هذه المقايسة على صعيد الحس العملي أمر صعب للغاية، بل يكاد يكون مستحيلاً، ولكن هذا الخلل المصاحب ضرورة، للوضع الذي تمر به أي مرحلة للتغيير، تشكل مقدمة أساسية ترافق هذه المرحلة الانتقالية الضرورية والمطلوب حالياً من المرأة عمل نهضوي «خاص»، ونقصد بخاص أنه سيكون عملاً نفسانياً وبنيوياً للبحث في الكينونة الإيجابية للمرأة فرضتها طبيعتها التكوينية، وكما كونها النوع التاريخي، فنحن نرى أن المرأة ذات التكوين الخاص خضعت به لعملية التشريط التاريخي التي عاشتها ومن خلال هذا البحث ونتائجه، والذي لن تقوم به إلا الأنثى، وبحس عقلاني فإنه سيكون من الممكن أن تتفتح أزهار عالم جديد تكون المرأة فيه فاعلة قبل كل شيء.

إن مشكلة قضايا «التحرر»، التي طرحت على المرأة، لم تستطع أن تقدم للأخيرة عملاً نظرياً أو واقعياً يجعلها تتقدم حقاً على صعيد منطق الحقوق على سبيل المثال نسجل أن إحدى موضوعات القضايا التحررية ترى أن المرأة يمكن أن تتجاوز الواقع التاريخي والاجتماعي الذي تعيشه بكل بساطة وذلك للثورة عليه مهما كان، إن هذا الرأي الاستفزازي قد أفرز عوالم مختلفة ونتائج أكثر اختلافاً، ولكن كل هذه العوامل كانت تصب آنياً بعكس ما تصبو إليه المرأة، والخاسر الوحيد هو هذا الكائن الذي لا يجد طريقه.

لقد أدت هذه التجربة الفريدة للمرأة إلى مصادمة هيكل اجتماعي قاس لم تستطع المرأة إزاءه أن تخرج حقاً من اساءة وسرعان «ما نبذت». الأمر الذي أدى بالضرورة إلى حالة من الضياع ومزيد من القهر الاجتماعي فما استطاعت المرأة أن تتحرر وسرعان ما خسرت حتى حقوق المرأة الشرقية على قلتها.

من الواضح أن زمن التغيير الجذري لوضع المرأة ليس بقريب، وعلى المرأة أن تعي هذه الموضوعية التاريخية، فآلية التدرج والتدريج هي آلية لتحقيق المزيد من الحقوق، ريثما تتضافر الحيثيات لخلق اللحظة الفاعلة، إننا لا نتفكر لليوتوبيا والحلم، فالمواجهة الآتية هي أولاً: أمر لابد منه للتراكم والتأسيس والتجاوز وهي ثانياً: مقدمة لابد منها، ومكمل في سيرورة التغيير، فالعمل الإنساني كان دائم البدء «بحلم» وبيوتوبيا، ولكن الحس التاريخي يؤكد «ذاتية» التاريخ ومنطقه، وروحه، هي التي تحدد مسار التاريخ وطبيعة التغيرات التي تحدث فيه، فالعالم ليس سديما يشكل بقرار أو رغبة، والتاريخ الكوني شاهد على ذلك. فقد تضافرت في أوروبا ظروف مختلفة موضوعية غالباً لإدراج المرأة في مؤسسة الحياة والإنتاج والثورة القومية الديموقراطية «البورجوازية» لم تستطع حقاً أن تعمم مفهوم العمل على النساء، فقد بقيت المرأة الأوروبية البورجوازية تعارض عملها المأجور إلى أن أسهمت الظروف التاريخية لمجازر الحرب العالمية الأولى بإرغامها على العمل حيث ارتفعت نسبة النساء اللواتي لا معيل لهن وأسهمت أيضاً ظروف التضخم النقدي آنذاك في ذوبان الثورات العائلية ولذلك فقد أسست الحرب، كحدث تاريخي مهم عادات كانت أولى نتائجها أن تحل المرأة مكان الرجل في عديد من المهن، ولعل الثورة الفرنسية مثل آخر، فعلى الرغم من الجوهر التحرري الذي نادت به الثورة، فإن قادتها كثيراً ما رددوا حجة روسو، «هل أعطتنا الطبيعة حلمات حتى نرضع أولادنا»، وبطبيعة الأمور، فإن التاريخ ليس موقفاً آنياً، والمواقف الآنية قد تحمل ما يخالف توجهها المباشر، فقد حملت الثورة الفرنسية منطق الحريات، ليستخدم ذات يوم، بعد تجذر في الأرض وتبدلات نوعية في العقول والواقع، من أجل أن تتحرر المرأة وتدخل عصر التمرد رغم أن هذه الثورة ذاتها هي التي أعدمت روزا لا كومب ومدام دولان اللواتي طالبن بحقوقهن من هذه الثورة، وعصر النهضة الذي تشيد به أوروبا كأهم حدث تاريخي وعقلي قد أوجد المعطيات الأولى حقاً لتحرر المرأة، لكنه أغلق الأبواب الواقعة عليها بإحكام، حيث انفتح العالم على تقدم في العلوم والتقنية روادها الذكور وبطبيعة الأحوال، فطابع الذكورة بهما واضح وبارز ولعل أهم ما قدمته النهضة الأوروبية،والتي يقيمها الأوروبيون بحس تاريخي فذ للمرأة هو السعي العميق لاكتشاف الحياة الداخلية، والشعور بالتجربة والارتفاع العام في التوجه إلى مستوى الإنسان، الفاعل والخلاق «البروميشيوس» فقد احتاج الفكر الأوروبي إلى ما يقل عن خمسة قرون حتى تأتي اللحظة الفاعلة فيتسلل إلى القوانين والعادات الاجتماعية، ولكي تدخل المرأة على الصعيد العملي زمن بدايات التحرر.

لقد خضعت المرأة في سياق معركتها للدخول إلى العالم إلى ثنائية «الطبيعة ـ التكيف» الشهيرة، والمرأة العربية بحكم المنطق السلفي الذي يحكمها، يهيمن عليها التصور الذي يقول: إن طبيعتها تحدد كينونتها ومكانتها الاجتماعية، وإذ تحاول المرأة العربية الخروج من هذا التصور، فإنها سرعان ما تنتج نهجاً متطرفاً يقوم بإلغاء طبيعتها لحساب التكيف والتشريط الاجتماعي والتاريخي. وكلا التصورين في رأينا ليسا إلا نظرتين أحاديتين.

فالأولى: هي التي يحارب فيها الرجل والمرأة.

والثانية: هي تلك الرؤية القابعة في وجدان كل امرأة تصبو إلى دخول عالم الرجال وذلك وفق كينونة الرجال ذاتهم.

لقد اختلطت الأمور ـ كما قلنا سابقاً ـ والمرأة التي رفضت «الطبيعة» رفضت في سياق الأزمة الاضطهادية كينونتها المتميزة

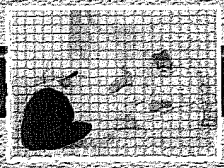

«كامرأة» وهي الكينونة التي تمثل الجانب التقدمي الإنساني الفذ في تكون بشرية خاصة.

وفي سياق رفض «الطبيعة»، رفضت المرأة هويتها النسوية والوجودية، ولعلنا نلامس اليوم المآل الذي آلت إليه الأمور بأشكال الرد على وهم المرأة - الصورة.

فالتشبه بالرجال في اللباس ومنطق القوة كإخضاع وإكراه وشراسة. كله قد أصبح الشكل العام لإظهار التحرر.

لقد ضاعت المرأة بين إحساس بالاضطهاد التاريخي، وبين الأيديولوجيات القائمة والتي لن تتغير ولن تتراجع فعالياتها الشمولية عالم يغير الوضع الحضاري الكلي للأمة، وقد زاد في حس الضياع تلك الرؤى «الثورية» والتي تؤكد أن تحرر المرأة الاقتصادي يعني تحررها الكلي باختزال العالم إلى علاقات إنتاج وربما مجرد نفوذ.

فالذي حصل، أن المرأة العاملة قد تضاعف عليها بالضرورة واقع الاضطهاد، فهي عاملة خارج المنزل تمارس الإنتاج في ظل مجتمع ذكري يضطهدها بدءاً من لحظة خروجها من عتبة بيتها وحتى في أثناء ممارستها لعلاقات العمل التي لا تخلو من تسلط المتسلطين، وتعود هذه المرأة لتضع راتبها في بيت زوجها دون أن يغير هذا في طبيعة علاقتها مع زوجها، فهي المسؤولة عن العمل المنزلي وعن خدمة زوجها.

إن هذا الواقع يعكس «الاغتراب» الذي تعيشه الأمة في ظل قدوم مفاهيم التطور والتقدم التي رافقت تشكيل المؤسسة العربية الحديثة والتي لم تستطع هذه المؤسسة إلا أن تأخذ بها مقطوعة عن سياق التقدم، إن هذا الواقع وفي ظل تراجع الأمة العام يمهد أمام ردة هائلة في صفوف النساء إلى مظلة الاستكانة للواقع القائم، وبالتالي العودة إلى مفهوم المرأة - سيدة المنزل، أو البقاء في حدود اليوتوبيا ومناطحة واقع لم يحدد اتجاهات التقدم. إننا لا نتصور إطلاقاً أن ثمة خروجا كامنا من هذه الأزمة حقاً وذلك صالح لتغيير وضع الأمة ككل. فإذا لم ندخل في الزمن الإيجابي، فإنه لن تكون هناك الإمكانية على إرغام أو إقناع الرجل بتغيير تعامله مع المرأة وتغيير ذاته، لقد شهدت بوادر النهضة التي رافقت امتداد الخط القومي الناصري في العالم العربي، والشعور بزمن أيجابي، كثيراً من التنقلات الاجتماعية وبعضاً من الأفكار التقدمية، كان من الممكن أن تتجدر وتتحول إلى واقع عام لولا الانتكاسات التي عانتها الحركة القومية العربية ككل.

لقد قلنا سابقاً إن تغيير وضع المرأة في أوروبا، على سبيل الوعي الكوني لا الاقتداء قد جاء انعكاساً لتقدم عام ولوضع قومي مستقر وحضاري متقدم. أو هو في سبيله إلى التقدم. ويبدو لنا أن الطابع الأيديولوجي المتميز في بلادنا يستحق أن يولي أهمية في البحث التاريخي وهو في رأينا المدخل لطريق يخرجنا من مأزق تغيير سريع ومطلوب في زمن لا يسمح لأي نقلة نوعية.

وطبيعة الأيديولوجية العامة في مناطق العالم العربي والمفعمة بالأساطير والنشاط العقلي البدائي والعادات والتقاليد والمذاهب... وفي ظل هذا الموزاييك الخاص تفرض قوى حاسمة، يجب أن تستثمر الجوانب الإيجابية فيها من أجل تغيير اتجاه فعل هذه القوى، وفي اتجاه التقدم وتقدم المرأة بشكل خاص.

فلسنا نعتقد أن ثمة تغييرا ما لا يستند إلى موجودات الواقع من قوى فاعلة ومسار تاريخي طويل وعميق التأثير، فهذا الواقع ضرورة موضوعية بالمعنى الفلسفي، ولسنا نقول هنا إطلاقاً بالتسليم لهذا الواقع أو استخدام القوى الأيديولوجية السائدة كما هي، إن ما نعنيه هو استخدام للجوانب التقدمية في هذه القوى بطريقة نفعية لحساب تقدم عام قد لا توافق عليه هذه القوى أصلاً.

إن طبيعة المؤسسات بشكل عام والتنظيمات القائمة والمنسجمة مع دور الرجل لثلاثة آلاف سنة على الأقل، قد خلقت تناقضاً حقيقياً في عمل النساء المنظم لدخول العصر والمجتمع، فواقع هذه المؤسسات التاريخي يوحي بأن دخول المرأة في هذا العمل أو في هذا المجال ضرب من الدخول إلى عالم الرجال، وهذا الحس بطبيعة الأحوال هو الذي يجعلنا نرى في نضالات المرأة السياسية وانتظامها في مؤسسات فاعلة ضرب من أشكال المقايسة بالرجال كمعيار موجود أصلاً في الواقع وبهذا فإن المرأة تفتقد في العمل المنظم حسها الخاص وإمكانية دخول معركة تحقيق ذاتي والبحث عن كينونتها التي ضاعت في زحمة «الهاجس العام» ولعله من الواجب علينا أن نوضح نقطة قد تبدو ملتبسة فلسفياً فنحن لا نعتقد بأن كينونة وطبيعة المرأة مسألة جوهرية ثابتة إنما نرى تلك الكينونة من خلال التطور التاريخي ومن خلال مفاهيم ومبادئ تعتني بالحس الإنساني الحضاري وبهذا فإن كينونة المرأة مفهوم يعبر عن تركيبة تقدمية حضارية في كاتب متميز، وعلى الرغم من أن هناك في بعض الدول العربية منظمات نسائية تسعى لتأطير عملها التحرري، فإن هذه التجربة المؤسسية قد بقيت في ظل تركيبتها الحالية عاجزة عن الخروج عن الخط المحافظ الذي يعكس المرأة كصورة وخيال لصورة الرجل.

في رأينا يجب أن تخرج المرأة في عملها النضالي في الاقتصاد عن الأشكال التقليدية للعمل، وبهذا فإن على المرأة أن تشكل ثقلاً اجتماعياً ومؤسسياً يجعل من نضالها التحرري جزءاً من عملية توازن القوى وليس مجرد استجداء وجداني، ويعتبر راهناً في أمر اليوم أن تشكل المرأة مؤسسة فكرية تحقق فيها طاقاتها الفكرية وتدرس وبجدية وهدوء عقلاني طابع التاريخ الذي تعيشه مستفيدة من التاريخ الكوني ومن آلية التغيير فيه

لتشكيل وعي نضالي أكثر ارتباطاً ومطابقة للواقع.

ولعل فكرة هذا المشروع تطرح علينا تساؤلاً مهماً: لماذا لم تدخل المرأة مجال الفكر من بابه الواسع؟ ولماذا لانرى إلا نادراً نماذج نسائية تقوم بأعمال فكرية ضخمة أو ذات طابع فلسفي؟ إن هذا التساؤل يستحق المعالجة بعيداً عن الحساسيات وردات الفعل. لقد استخدم شعار تحرر المرأة الذي لم تحدد هويته بشكل تاريخي، وواقعي في بلادنا العربية أدوات جديدة للمارسة اضطهاد مقنع من الرجال للنساء فقد أسقط هذا الشعار على المرأة وكأنه قد تم فعلاً إدراج المرأة في مشروع تحررها وهكذا طلب من المرأة ممارسة الواجبات التي يقتضيها وضعها كمحررة أساساً في الوقت الذي تبقى النظم الاجتماعية والقانونية وطبيعة الاتجاه العام للمجتمعات العربية على حالها ودون أي تقدم حقيقي.

إن الأشكال التي تبدت بها مقارعة المرأة للرجل بأشكال الممارسات اليومية في العمل المؤسسي مثلاً أو في الحس الأدبي، تؤكد يوماً بعد يوم غياب الاستقلالية الذاتية والحضور الكينوني المميز للمرأة، فسلاح المرأة هنا ليس أكثر من استخدام ضعيف لأسلحة الرجال المعتادة.

فالأيديولوجية المعادية للمرأة في الروح التقليدية الذكرية العربية السائدة هي ذاتها الأدوات التي تواجه المرأة بها منطقة نفوذ الرجال وهذه العقلية ليست في رأينا أكثر من تبعية تأخذ شكل المناوئ والمعارض، لقد أدت تجربة الرجل بعلاقته المباشرة مع الطبيعة بقساوتها ومخاطرها إلى اتضاح أشكال أيديولوجية لحس القتال مع الطبيعة وهي ذاتها الأشكال التي استمرت عبر التاريخ تشد بها وتجردها تجربة الإنسان الحضارية.

إن استدعاء المرأة لمنطق القتال بكل صنوفه المميزة للرجال تعبير عن حدة هذه التبعية من ناحية وعن غياب التحليل الموضوعي لسيرورة تطور وتبدل أشكال الصراع بين الجنسين واستنتاج الشكل الأكثر فاعلية لهذا الظرف التاريخي أن هذا الاستدعاء يؤكد ذلك «الأمر» الذكوري الذي يسم مواقف المرأة النضالية، وعلى هذا، فإن كفاح المرأة لنيل حرياتها ليس أكثر من عمل وجداني بدل أن يكون عملاً واقعياً منظماً.

إن دراستنا هذه أرادت أن تقوم بعمل أكثر إيجابية لإدخال المرأة كإنسان فاعل للحياة وعلى الرغم من الإشكالات التي نطرحها فإن هذه الدراسة تبقى مفتوحة للحوار والإغناء، ولا ندَّعي بالطبع استنفاد أي شيء، ولكننا ندَّعي أن ثمة باباً مغلقاً نحاول فتحه. ومهما كانت التأويلات فإن طبيعة العالم اليوم وواقعه القاسي هما اللذان يضعان كل محرم «تابو»، مقدس على طاولة البحث والشك والتمحيص والحوار الذي نقتنع به حوار اختلاف على أرضية الوحدة التي تشكل معيار الحركة التي تتنوع في مكانها وتتعدد بشكل دائري خلاق. ■

الكلمة البغيضة

بقلم : علي مدني رضوان الخطيب

ليت شعري كيف بالرجل يهدم بيتاً قائماً على عمده بكلمة تخرج من فيه فيصير الحلال حراماً، لا لشيء إلا لانتصار النفس في موطن من مواطن كيد الشيطان ونفثه... لقد وقع بنا ذات غداة سيل عرم ففرق - رغماً عنا - جار لنا كان يسكن بيتاً من اللبن، فاستوحش القلب وتألم... فكيف بالزوجة المفارقة؟! وهي من تساكن الزوج ويسكن إليها فتنقلك بصوتها وصورتها من الشتات إلى الشمل المجتمع، ومن اللاوعي إلى الوعي الكامل المتزن، بل أعجب كل العجب بمن يلقي بالكلمة البغيضة وتحته أفراخ صغار... أين عقله؟! أين عاطفته؟! وهو يرى فراغ البيت منهم جميعاً، وهب أنه أنشأ أسرة جديدة، فهل ينس أسرة عايشها وأرواحاً سارّها؟! إنّ كان ينسى فلست أشك في أنّ به علّة مزمنة أو مرضاً مخوِّفاً يفقده الشعور العام الذي يحسّ به الأسوياء... لو أمسك رجل معولاً ثم راح يهدم سقف الدار وجدرانها... ماذا يتحدث الناس عنه؟ وهل الطلاق والفراق إلا هذا المعنى؟ أحسب لا غير... وفي لحظات يضعف فيها إيمان الرجل عن احتمال الصبر، فيوحي إليه شيطانه أنه ربما يستريح بانفصال الجسد عن الجسد، وبعد الصورة عن الصورة عناداً أو جهالة أو مغالطة، ونسي أنَّ المفارقة تؤثر في جوهر الروح أيضاً (وأفضى بعضكم إلى بعضكم)، وهل الإفضاء إلا حديث قلب لقلب، وتواصل الأرواح بعضها ببعض وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

مالت تودعني والقلب يتبعها
كما يميل نسيم البان في الغصن

ثم استمرت وقالت وهي باكية
يا ليت معرفتي إياك لم تكن.

إن بيتاً يفرغ عن الزوجة والولد هو قبر من قبور الأحياء لا غير. ■

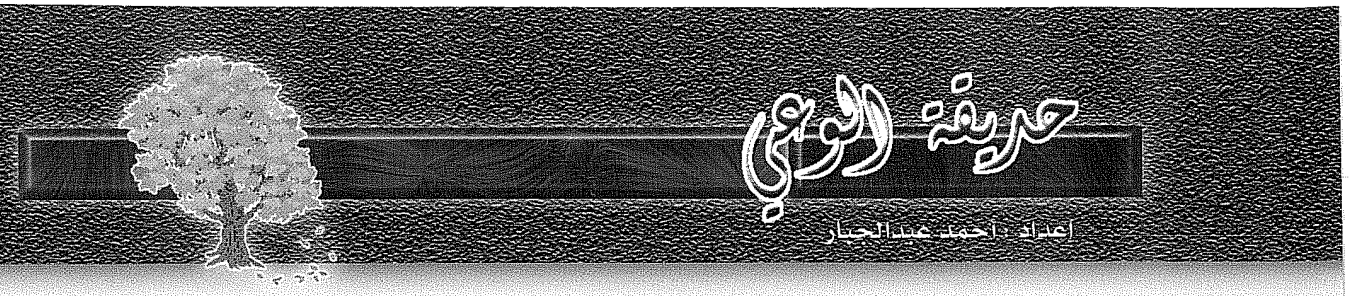

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى:

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون. إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) آل عمران: ٩٠-٩١

من هدي رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

رواه مسلم

قراءة القرآن

قال الحسن البصري:

القراء على ثلاثة أقسام: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده واستدروا به الولاة واستطالوا به على أهل بلادهم وقوم قرأوا القرآن فبدؤوا بما يعلمون من دواء القرآن، فسهروا لياليهم وهملت عيونهم وتسربلوا الخشوع، وارتدوا بالحزن، وركدوا إلى محاريبهم، وجثوا في برانسهم، فيهم يسقى الغيث، وينزل المطر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر.

التزم الشرف

اجتمع العلم والثروة والتعاسة والشرف في مكان واحد، وأخذ كل منهم يتحدث عن نفسه.

فقال العلم: إن من يطلبني يجدني في الجامعة.

وقالت الثروة: إن من يطلبني يجدني في الجد والمثابرة.

وقالت التعاسة: إن من يطلبني يجدني مع الكسل وفي صحبة قرناء السوء.

وقال الثلاثة للشرف: نحن سنفترق الآن، فأين نجدك؟

فقال الشرف: إن من يفارقني فلن يجتمع بي مرة أخرى.

الحق

لا يضير الحق قلة مؤيديه، ولا ضعف مناصريه، فالحق مؤيد بطبيعته قوي بذاته لا تقف في وجهه قوة الباطل مهما كانت عظيمة، نعم قد يغفل عن الحق أنصاره ويتخاذل أعوانه ويكثر أعداؤه، فتضعف في بعض المعارك شوكته، ولكن النصر في المعارك الأخيرة له والحياة له، وله الخلود.

الدليل

قيل للإمام الشافعي: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ فقال: ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرجها حريراً، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبناً، فمن الذي نوَّع الأشياء والأصل واحد؟!

على أي شيء ؟!

جاء إلى سفيان بن عيينه ابن أخيه فقال: جئتك خاطباً ابنتك، فقال له عمه: كفء كريم، ثم قال اجلس، فجلس، قال: يا بني اقرأ عشر آيات من كتاب الله تعالى، فلم يستطع الشاب، قال: ارو عشرة أحاديث، فلم يستطع، قال انشد عشرة أبيات من الشعر، فلم يستطع، فقال له سفيان: لا قرآن ولا حديث ولا شعر، فعلى أي شيء أضع ابنتي عندك؟ ثم قال له: لا أخيبنك وأمر له بأربعة آلاف درهم.

(مفيد العلوم للخوارزمي)

وصية

قال عبدالله بن الحسين لابنه محمد يوصيه: يا بني احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً، يوشك الجاهل أن تورطك مشورته في بعض غفلتك فيسبق إليك مكر العاقل، وإياك ومعاداة الرجال في كل الأحوال.

مأثورات خالدة في فضل أهل البيت

حج الفرزدق بعدما كبر وقد آتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبدالملك قد حج في ذلك العام فرأى علياً بن الحسين في غمار الناس في الطواف والناس يفرجون له، فقال من هذا الشاب الذي تبرق أسرُّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحِلُ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد خُتموا
وليس قولك من هذا بضائره
العُربُ تعرف من أنكرت والعجمُ
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

فعندما سمع هشام بن عبدالملك هذه الأبيات غضب وأمر بحبسه بين مكة والمدينة.

فقال الفرزدق:

أتحبسني بين المدينة والتي
إليها قلوب الناس يهوى منيبُها
يُقلب رأساً لم يكن رأس سيد
وعيناً له حولاء باد عيوبها
فبلغ شعره هشاماً فأطلق سراحه.

هذا والله السيد

قدمت وفود أهل العراق على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام كل زعيم وقد يطلب من أمير المؤمنين الخير لقبيلته، ولما وصل الأمر إلى الأحنف بن قيس قال:

يا أمير المؤمنين، إن مفاتح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان، فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قيلاً ولا قالاً، واجعل بينك وبين رعيتك العدل والإنصاف سبباً يكفيك وفادة الوفود، فإن كل امرئ إنما يجمع في وعائه الا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين، وتخونه الألسن، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: هذا والله السيد، هذا والله السيد.

نظرة اقتصادية متوازنة

الإسلام لا ينظر إلى المعاملات الاقتصادية على أنها معاملات بين الناس بعضهم مع بعض فحسب، بل ينظر إليها كذلك على أنها معاملات بين العبد وربه.

ولا يجعل ثواب من يسير على تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يناله من خير في الدنيا، بل يعده كذلك بأجر كبير في الآخرة. ولا يجعل عقاب من ينحرف عن تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يصيبه من ضرر في الدنيا، بل يتوعده كذلك بعذاب أليم في الآخرة، وبذلك يضم الإسلام في شؤون الاقتصاد إلى الوازع الديني وازعاً آخر أقوى كثيراً وأشد تأثيراً وهو الوازع الديني الأخروي.

شعر بلا حلاوة

أنشد رجل شعراً رديء النسج، فقال لصالحبه: كيف تراه؟ فقال: سكراً لا حلاوة فيه!!

ليست النائحة كالثكلى!

قال عمر بن أبي ذر لأبيه: ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس فإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟

قال أبو ذر: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

أمثال عالمية

- حمار أركبه خير من حصان يرميني إلى الأرض.

(مثل فرنسي).

- العش الصغير أدفأ من العش الكبير.

(مثل إيرلندي).

- أفضل إحسان تطبيق العدالة على الجميع.

(مثل أمريكي).

- خادم البخيل يصبح لصاً

(مثل أرمني).

جموع لا واحد لها

المرأة: أنثى الإنسان، تثنى فيقال: امرأتان، وإذا أريد جمعها جمعت على غير لفظها فيقال: نسوة أو نساء، أو نسوان.

المرء: الرجل يثنى فيقال: مَرْءَان، وإذا أريد جمعه جمع على غير لفظه فيقال: رجال.

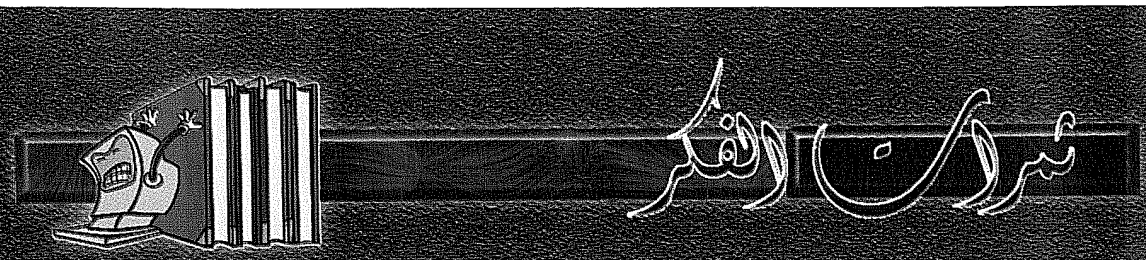

إعداد : محمد هاني

أدب الأطفال في ضوء الإسلام

صدر عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد للدكتور نجيب الكيلاني بعنوان «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» ويقع في نحو ٢٠٠ صفحة.

يقول المؤلف في مقدم كتابه: إن الاعتقاد السائد في العالم اليوم هو أن قضية الطفولة تحتل أولية مطلقة، وحل مشاكل الطفولة هو الخطوة الأولى لإصلاح مسار الحياة والتغلب على تعقيداتها، حيث إن أدب الأطفال يلعب دوراً بارزاً في هذا المجال، مشيراً إلى أنه تناول في هذا الكتاب مفهوم هذا الأدب وعلى ضوء تعليم الإسلام وتجربته الحضارية أو بمعنى آخر «أسلحة أدب الأطفال»، ويقول المؤلف: إن المفهوم العام لأدب الأطفال حسب ما تناوله في كتابه هو التعبير الأدبي المؤثّر الصادق في إيحاءاته الذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل ويسهم في تنمية مداركه وقدراته المختلفة، أي هو المفهوم الذي يشمل الاحتياجات الأساسية للطفل، مشيراً إلى أن أدب الطفل يشمل القصة والمسرحية والتمثيل والقصيدة أو النشيد أو الأغنية، إضافة إلى الآداب العامة كالتحية التي يستقبل بها الناس وبعض الأمور المهمة كالشهادتين والصلاة على النبي ﷺ، وحول وظيفة أدب الأطفال من وجهة النظر الإسلامية يقول المؤلف:

إنه إذا أردنا أن نسهم بأدب الأطفال في تشكيل الوجدان لدى الطفل تشكيلاً إسلامياً يجب أن نعرض للآداب والسلوكيات الإسلامية من خلال القصص المؤثّرة. كذلك فإن صبغ الفكر لدى الطفل بالمنهج الإسلامي عملية تكتنفها الصعوبة لكنها تحتاج إلى إصرار وتأكيد على أن النهج الإسلامي نهج صادق ويجب أن يعرف الطفل أن الله هو الذي يعقل ويقدر وليس الطبيعة، وأن الحقائق العلمية تتصادم مع الحقائق الدينية، مشيراً إلى أن حجر الأساس في التوازن النفسي للطفل يتمثل في العقيدة الراسخة المستقرة وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وشريعته.

إصدارات للمعاقين

● تتطلع منظمة اليونيسكو إلى إنشاء موسوعة تربوية للمكفوفين في قطر بهدف تأهيلهم ومساعدتهم للاندماج في المجتمع والحياة الاقتصادية، من خلال تعليمهم استخدام تقنية المعلومات وتأمين الوسائل المساعدة لقراءة المعلومات وكتابتها، وتعزيز طباعة المراجع بطريقة «برايل» بالعربية الإنكليزية، إضافة إلى تجهيز مكتبة إلكترونية لحفظ النصوص بالأحرف والصوت وإعداد برامج لتدريب المعلمين.

● تجربة جديدة تتم للمرة الأولى في العالم الإسلامي حيث يقوم مركز التكنولوجيا ومتحدو الإعاقة في مصر بتحويل معاني القرآن الكريم إلى لغة إرشادية لخدمة أكثر من ٨٠ مليون أصم وأبكم في العالم الإسلامي بسبب قلة ما يصلهم عن طريق الإشارات، وقد وافق شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي على هذا المشروع وباركه بشرط أن تتفق هذه الإشارات الإيضاحية مع معاني القرآن الكريم ولا تتعارض مع ما اتفق عليه فقهاء وعلماء المسلمين السلفيين على أن تطبع هذه الإشارات الإيضاحية على أشرطة فيديو وديسكات «سي.دي» والتي سيتم توزيعها على سائر الجهات المعنية بالصم والبكم في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى هذه التجربة ضمن أنشطة شبكة الإنترنت.

أحكام الزواج في الإسلام :

صدر كتاب بعنوان أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد حسن أبو يحيى، أستاذ قسم الفقه وأصوله بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية وعميد كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة البلقاء التطبيقية، ويقع الكتاب في نحو ٤٣٧ صفحة ويشمل خمسة أبواب، تحدث فيها المؤلف عن الأمور التالية: مقدمات الزواج الصحيح، أركان الزواج الصحيح، شروط عقد الزواج الصحيح، آثار الزواج الصحيح اللازم، عقد الزواج الصحيح غير اللازم، والموقوف وغير الصحيح وآثارها، وفي خاتمة الكتاب يستخلص المؤلف أهم النتائج التي توصل إليها ومن بينها: أن الزواج في الشريعة الإسلامية إما أن يكون صحيحاً أو باطلاً أو فاسداً ولكل منها أحكامه وآثاره. أنه للوصول إلى زواج صحيح فإن الشريعة الإسلامية أوضحت مقدمات لهذا الزواج حتى تحافظ على استمراره. أن للزواج الصحيح والباطل والفاسد آثاراً مهمة. أن قانون الأحوال الشخصية الإردني أخذ بأحد الأقوال الواردة في مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بالزواج الصحيح والباطل والفاسد وكان يجنح إلى الأخذ بأيسر الأقوال، وإذا لم يوجد له رأي في قضية ما، فإنه يحيل العمل بالقول الراجح في المذهب الحنفي.

موسوعة أسبار

صدر عن دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام موسوعة «أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وهي موسوعة تضم تراجم العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية في المملكة العربية السعودية منذ العام ١٣١٩هـ إلى العام ١٤١٩هـ.

وقد ظهرت المجموعة في ثلاثة أجزاء وبلغ عدد تراجمها ١٧٦١ ترجمة شلمت نخبة من العلماء والمشايخ والقضاة والأكاديميين والمؤلفين في العلوم الشرعية، وقد أسهم في تمويل الموسوعة عدد من الشخصيات البارزة إيماناً منها بأهمية المشروع وفائدته.

اليوم سنغير العالم... أطفال الشوارع في الهند

أصدرت دار نشر فردريكنج الألمانية في ميونيخ كتاباً تحت عنوان: «اليوم سنغير العالم... أطفال الشوارع في الهند» للكاتبة ياسمين بارون فايند، تحدثت فيه عما رأته بنفسها خلال رحلاتها الكثيرة في أنحاء شبه القارة الهندية، وتؤكد الكاتبة من خلال الكتاب أن الهند تضم أطفال الشوارع وأحداثهم إذ يتجاوز عدد هؤلاء - الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ١٢ سنة - المئة مليون طفل وحدث يتكدسون في المدن الكبيرة وأحيائها المهملة وبينهم عدد كبير من الفتيات الصغيرات اللواتي يضطررن إلى التسول والتشرد وممارسة الرذيلة بعد أن تتركهن أسرهن أو تعجز عن إيوائهن وإطعامهن وتعليمهن، وتشرح المؤلفة في كتابها العلاقة التي تربط العائلة الهندية بأطفالها، مؤكدة أنها رابطة وثيقة جداً تزول تدريجياً بسبب ضغط الفقر والجوع وأعباء المواليد الجدد، فتضطر العائلة إلى ترك أطفالها وإهمالهم وتركهم لمصيرهم في الشوارع المليئة بالصور المفجعة أو إجبارهم على ممارسة العمل في مهن هي غالباً المهن نفسها التي يمارسها الوالدان، كل ذلك في أجواء اجتماعية صعبة تدفع الأطفال والأحداث إلى التشرد والانحراف.

كذلك تقدم المؤلفة صوراً حزينة عن استقلال الأطفال والأحداث كعناصر اقتصادية وإنتاجية مستقلة من قبل البالغين الجشعين، وتضرب مثالاً على ذلك بما هو معروف في الهند باسم «أطفال حياكة السجاد» الذي يمثل أبشع صور استغلال الطفولة البريئة كايدٍ عاملة رخيصة تعمل في ورشات رديئة لا تتوافر فيها أبسط الشروط الصحية!.

اللغة الاقتصادية المعاصرة

في سلسلة كتاب الرياض الصادر عن مؤسسة اليمامة الصحافية صدر العدد ٦٧ من هذه السلسلة تحت عنوان «اللغة الاقتصادية المعاصرة» لمؤلفه د. زيد بن محمد الرماني يقول المؤلف في مقدمه: إن علم الاقتصاد فرع من فروع العلوم الاجتماعية، ولغته تعتبر لغة مشتركة وذات علاقات متنوعة بالكثير من تلك العلوم وغيرها، وعلى الرغم من تشعب اللغة الاقتصادية إلا أنها ترتكز على أدوات رئيسة هي: اللغة الاقتصادية الوصفية التنظيرية، لغة الرياضيات والإحصاء ولغة النماذج القياسية، وهذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الصغير يتحدث عن خمسة وأربعين نوعاً من أنواع اللغة الاقتصادية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: لغة الإحصاءات الاقتصادية، لغة النصيحة الاقتصادية، واللغة الاقتصادية للبيئة، اللغة الاقتصادية للفقر، اللغة الاقتصادية للنفايات، لغة المخدرات الاقتصادية.

أخبار ثقافية

● تعقد جامعة الأزهر في نهاية العام الحالي مؤتمراً عالمياً لمناسبة مرور ألف وأربعمئة عام على الفتح الإسلامي لمصر يستمر ثلاثة أيام يناقش خلالها ثمانية محاور أساسية: الأول: نهضة مصر ووحدتها الوطنية عبر العصور في ظل التسامح الديني . الثاني: تطور العلوم الشرعية واحتضان مصر لكبار علماء الإسلام. الثالث: العناية بلغة القرآن الكريم ونشرها في دول العالم. الرابع: دور مصر في الدفاع عن الأمة في مختلف العصور. الخامس: تكريم الإسلام للمرأة وعنايته بالطفل. السادس: التنوير الإسلامي في مختلف المجالات والفنون. السابع: جوانب الإبداع الإسلامي في العلوم الشعرية والتطبيقية قديماً وحديثاً. الثامن: حلقة نقاشية عن مستقبل العالم الإسلامي في ظل العولمة.

● صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» معجم «عربي - هوسا» بالحرف القرآني وهو إنجاز الدكتور هارون الرشيد وإلياس علي ويدخل صدور هذا المعجم في إطار العناية التي توليها المنظمة لإحياء اللغات الوطنية للشعوب الإسلامية في أفريقيا التي كانت تكتب أصلاً باللغة العربية قبل العهد الاستعماري الذي استبدل بالحرف العربي الحرف اللاتيني لطمس الهوية الثقافية والحضارية لهذه الشعوب والعمل على تنميط إعادة كتابتها بالحرف العربي.

● ألغت الحكومة الأردنية حظراً دام لوقت طويل على مئات الكتب التي اعتبرت مسيئة للإسلام والثقافة العربية، وقد شمل الحظر خمسمئة كتاب، ومن المتوقع أن يلغى الحظر أيضاً على ألفي كتاب بحلول نهاية شهر أكتوبر ١٩٩٩م.

● في سنغافورة سجّل جهاز كمبيوتر صغير، يسمح بقراءة بطاقات معلوماتية «صغيرة خُزِّنت فيها مختلف الكتب المدرسية، ويمكن للتلميذ أن يدخل بطاقة لا يتجاوز حجمها حجم الطابع البريدي، خُزِّن فيها كل محتوى الكتاب المطلوب».

مجلة التقوى

صدر العدد (٨٣) من مجلة التقوى وهي مجلة إسلامية أسبوعية مستقلة تصدر موقتاً في غرة كل شهر عربي ومقرها لبنان، وقد حمل غلاف هذا العدد عناوين غاية في الأهمية والموضوعية مما ينم عن قوة عالية في الإتقان والتنسيق وقد ضم بين غلافيه الكثير من المواضيع المهمة فجاءت كلمة العدد لرئيس التحرير تتحدث عن ضرورة التنبه إلى خطر الإسراف والتبذير وأنهما يفتكان بالمجتمع وتحض في الوقت نفسه على مراقبة النفس في كل صغيرة وكبيرة، ووقف الهدر المتفشي في مجتمعاتنا والتخفيف من وتيرة المنافسة في الانزلاق وراء ملذات الدنيا، وتدعو إلى ضرورة التعود على تحمل الأعباء ومقابلة النعم بالشكر والحفظ وعدم التفريط بها كما هو حاصل الآن بين أفراد أمتنا.

وقد حوى هذا العدد رداً قيِّماً لسماحة الشيخ طه الصابونجي مفتي طرابلس والشمال على المطران جورج خضر مطران الروم الأرثوذكس يفنّد فيه ما زعمه المطران خضر إزاء أزمة كوسوفا، ويضع النقاط على الحروف ويرد كيد الماكرين حيث يخطئ في رده المطران خضر حول موقفه المناصر للصرب في البلقان، عندما يصف أعمالهم بالشهامة.

وتحت عنوان مراحل تطور الجنين في القرآن الكريم، أعد الشيخ حسن العرب مقالاً يتسم بالموضوعية والدقة بيَّن فيه الإعجاز القرآني في بيان مراحل تكوين الجنين منذ أربعة عشر قرناً وجاء مقاله هذا مقسماً على الأطوار الواردة في الكتاب العزيز حيث يثبت فيه أن العلم الحديث لم يتوصل إلى معرفة جزء من هذه المراحل إلا منذ عهد قريب.

وتجري المجلة في هذا العدد مقابلة مع نائب المدير العام لبيت الزكاة الكويتي يتحدث فيها عن دور بيت الزكاة وأهدافه ونشاطاته، ويتطرق إلى موضوع الزكاة وأهميته، حيث يطالب الدول الإسلامية بضرورة إنشاء مؤسسات زكوية تعمل على تطبيق هذه الفريضة.

وتحت عنوان من أعلام وعلماء العالم الإسلامي تنشر المجلة ترجمة مفصّلة عن سماحة العلاّمة ابن باز تتحدث فيها عن مولده وحياته العلمية ومنهجه في الشورى وفقهه الواسع العميق وفهمه الدقيق وقد ذكرت أيضاً بعض من مؤلفاته ونبذة عن سيرته اليومية «رحمه الله».

وتحت عنوان دراسات إسلامية يكتب الدكتور زكريا المصري مقالاً بعنوان: «دور السنة النبوية في وحدة الولاء».

وكتب الدكتور محمد بلاسي بحثاً بعنوان «العلمانية... خطر الأمة الإسلامية» يعرض من خلاله إلى أهداف العلمانية في بلادنا وآثارها المدمرة ويذكر تاريخ وسبب نشأتها بالإضافة إلى عرض موفق لأفكار العلمانية وأهدافها وصولاً إلى ما يعانيه العالم الإسلامي من هذه الجرثومة الفتاكة.

أما ملف «قضايا إسلامية» فقد حمل قضية مروة قاوقجي، حيث عرضها بطريقة مشوّقة تشد القارئ وتنبهه إلى ما تقوم به الحكومة العلمانية في تركيا من تجنٍ على المسلمين مروراً بحل حزب الرفاه إلى منع المحجبات من دخول الجامعات وصولاً إلى حجاب مروة قاقوجي الذي أثار حفيظة الوحوش البشرية في البرلمان التركي احتجاجاً على دخولها البرلمان وهي تضع الحجاب على رأسها.

وتحت عنوان تحقيقات تنشر المجلة في هذا العدد تحقيقاً مفصّلاً عن أنظمة الحكم الأساسية في المملكة العربية السعودية.

وقد أعد أ.د. علي الآغا في هذا العدد بحثاً بعنوان «القرآن الكريم والكتب السماوية، نموذج رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي»، وفي «محطة نافذة على الثقافة تنشر المجلة تعريفاً عن كتاب جديد بعنوان «كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل» لسماحة العلاّمة المحدّث صالح اللحيدان.

ويكتب في هذا العدد أشرف شعبان مقالاً عن «فضل شكر الله» يعدد فيه فضائل شكر الله وأثر الشكر في دوام النعم، حيث يعرض للآيات والأحاديث بأسلوب جذاب يشد القارئ إلى مطالعته وتلقف الفوائد التي حملها في ثناياها.

وتحت عنوان مراصد التقوى يرصد الصحافي عبدالقادر الأسمر في هذا العدد الكثير من القضايا الجديرة بالنقاش والطرح.

حيث يناقش هذه القضايا بأسلوب هادئ ورصين يسهم مساهمة كبرى في تصحيح الكثير من الأفكار الخاطئة والإشاعات الكاذبة وما يُثار حولها موجهاً اللوم الشديد إلى الإعلام العربي على اهتمامه الكبير بانتخابات العدو التي جرت في فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى مساءلة الذين يعملون على تمجيد الراحل نزار قباني حيث ينتقد بشدة هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا من نزار قباني علماً بارزاً مدللاً على ما يقول بأدلة تثبت مدى إباحية نزار وتحلله من الأخلاق بالإضافة إلى ذكر وعرض نصوص كتبها نزار يتعرض فيها للذات الإلهية، ويصف الله بأنه إنسان يصاحبه ويجالسه، وأشار الأسمر في انتقاده إلى أن هذا النص يدرّس في المدارس الرسمية للمرحلة المتوسطة في لبنان.

وفي الصفحة الأخيرة «إلى لقاء قريب» تتابع المجلة نشر كلمة أدبية للمرحوم الدكتور جهاد الأيوبي بعنوان حكاية شاعر حيث تعتبر هذه الكلمة قطعة نثرية إبداعية.

بالإضافة إلى مواضيع أخرى كثيرة ومتنوعة تضفي على المجلة أهمية كبرى وتجعلها جديرة بالمطالعة والاقتناء ولا سيما أنها تتسم بالشمولية والتنوع، حيث لم تغفل أي جانب من جوانب الثقافة والمعرفة، مما يجعل المجلة تتبوأ مرتبة عالية في صفوف الصحف الإسلامية في العالم الإسلامي إن شاء الله.

عرض وتحليل : د. رفيق حسن الحليمي

معجم أعلام الحديث النبوي (من الصحيحين)

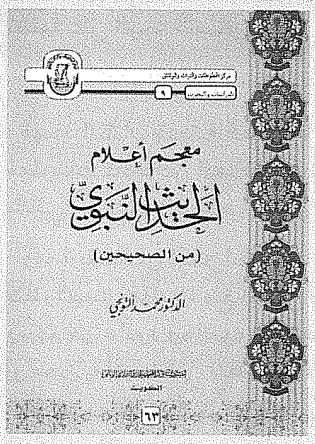

تأليف : د. محمد التونجي : مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت ؛ الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

حظيت الأحاديث النبوية، منذ حياة النبيّ (ص) وحتى أيامنا هذه باهتمام الصحابة والتابعين ومن تبعهم من العلماء والباحثين؛ لما لها من أهمية بالغة في العقيدة الإسلامية:

فمن موسوعات متعددة اهتمت بجمع الأحاديث في مؤلفات معروفة [كتب الصحاح وغيرها]، وفق منهجية علمية صارمة لتقف في طريق محاولات الوضع والتدليس، إلى مؤلفات مختلفة في رواة الحديث أنفسهم ومعرفة الرجال الذين أخذوا الرواية عن بعضهم بعضا وجيلا عن جيل، أو ما يسمي"بنقد السند"، وهو علم الجرح والتعديل، ورجال الحديث ومختلفه وعلله وغريبه وناسخه من منسوخه، إلى مباحث أخرى اهتمت بتصنيف الأحاديث بين صحيح وحسن وضعيف أو موضوع، وذلك وفقا لصحتها أو ضعفها من حيث صحة السند، إلى مؤلفات في شروح الأحاديث (مثل : فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، إلى مباحث في تمحيص الأحاديث وهو ما يعرف "بنقد المتن" [نص الحديث] (مثل: كتاب مشكل الآثار للطحاوي، وكتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، وهما يبحثان في هذا الجانب)، إلى مباحث تعنى بفقه السنّة ومكانتها من القرآن الكريم، كمصدر من مصادر التشريع وعامل مهم في تفسير القرآن (انظر :مقدمة في التفسير لابن تيميّة)... إلى مباحث في سلسلة الأحاديث الضعيفة (الألباني) وغيرها، بحيث يمكن القول: إن المكتبة العربية غنيّة في هذا الجانب، وتزداد غنًى مع الأيام بفضل جهود العلماء والباحثين في هذا الميدان الرحب من ميادين العلوم الدينية.

ويأتي كتاب: معجم أعلام الحديث النبوي (من الصحيحين)، ضمن الجهود الرامية إلى خدمة علم الحديث ، وهو في الواقع يسد فراغا في هذا الجانب ، فلم تشهد المكتبة العربية بحثا اهتم بإفراد معجم مستقل للأعلام الواردة في الأحاديث والتعريف بها من خلال المراجع ذات الشأن.

عمل موسوعي

ولعل المتأمل في هذا الكتاب يجد أنه أمام عمل موسوعي من حيث المادة العلمية وما تقتضيه من تبويب، ومن حيث المنهج الذي اتبع في دراستها وتصنيفها.

المادة العلمية

يقوم الكتاب على دراسة إحصائية لجميع الأعلام الواردة ضمن أحاديث الرسول (ص) في كتابين من أهم كتب الأحاديث وأوثقها، وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وقد بلغ عدد الأعلام [٤٢٠] علما، كما جاء في مقدمةالكتاب. فيتناول المؤلف"العَلَمَ " وفقا لترتيبه الألفبائي، ثم يورد الحديث الذي يتضمن ذلك العلم مشفوعا بمصدر الحديث، وهو إما أن يكون صحيح البخاري أو مسلم، ثم يقدم ترجمة موجزة وتعريفا مختصرا لهذا العلم، ويعزز ذلك بالمراجع لتوثيق كلامه عن الأعلام وترجماته لها، ويتوسع المؤلف في مفهوم العلم فيورد أسماء المعارك والأماكن وغيرها، ويتبعها بتعريفات وشروح لها وفق خطته.

المنهج

حدد المؤلف منهجه في المقدمة في الأمور الآتية :

- الاكتفاء بحديث واحد إذا تكرر العلم في أكثر من حديث.
- الاكتفاء من الحديث إذا كان مطولا بالجانب الذي يرد فيه العلم من غير إخلال بالمعنى.
- الاكتفاء برواية واحدة إذا تعددت روايات الحديث بحيث يرد فيها العلم صريحا - إذا اشتمل الحديث علي أكثر من علم ، يذكر الحديث كاملا تحت علم واحد ويحيل إليه سائر الأعلام الأخرى، بحيث يكون هذا الحديث مرجعا لهذه الأعلام.
- قام المؤلف بتعريف جميع الأعلام بما فيها الأعلام المشهورة.
- إذا ورد العلم بكنيته أو نسبه فإنه يذكر الاسم ثم يحيل على الكنية ، وإذا ذكر بالكنية يحيل على الاسم.
- قام بضبط الأعلام ضبطا كاملا ليتم

نطقها على الوجه الصحيح.

القيمة العلمية للكتاب

لهذا الكتاب قيمتة العلمية، حيث يقدم معلومات كافية عن العلاقة بين هذه الأعلام بالنبي وبالدعوة الإسلامية.

ومما يلحظ أن أكثر أصحاب هذه الأعلام كانوا ممن عاشوا مع النبي وصاحبوه، ومنهم من عادوه وخالفوه (أبو جهل وغيره)، أو ممن عاشوا في الماضي وأصبحوا من التاريخ، ولكنه التاريخ الذي يطل على العقيدة الإسلامية ويتصل بحياة الرسل السابقين ومن صاحبهم أو عاداهم، ويبين موقف الرسول من أولئك الأعلام جميعا، في مثل قوله (ص):"لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل".

كما أن الشروح التي يقدمها المؤلف لكل علم تعدّ ثقافة معرفية، فكثيرا ما يقرأ الواحد منا حديثا نبويا، فيه بعض أسماء الأعلام أو الكني والألقاب والأنساب والأماكن والمعارك وغيرها، ونمرّ عليها مرورا سريعا لعدم معرفتنا بها فيغيب عنا فهم الحديث فهما شاملا، إلا إذا عدنا إلى المؤلفات الخاصة بشروح الأحاديث مثل: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني وغيره من أمهات الشروح، أولبعض المعاجم اللغوية التي تعنى بالأعلام مثل: (اللسان أو المحيط)، وهيهات أن نجد السبيل ميسرا إلى ذلك؟ لقصور الهمم وندرة هذه الكتب بين أيدي القراء وانشغالهم بغيرها من مؤلفات.

ولهذا يعدّ هذا العمل العلمي انجازا له قيمته، وخاصة للطلاب المشتغلين في علوم الحديث، وللباحثين أيضا بما فيهم المشتغلون في المجال ذاته وفي مجال التفسير.

وهذه ملاحظة لا بد من التوقف عندها وهي أن بعض الأعلام الواردة في أحاديث الرسول ساعدت المفسرين كثيرا في تفسير النصوص القرانية وعلي سبيل المثال: هجرة الرسول، فقد كان معه أبو بكر الصديق ولم يرد في القرآن اسمه صريحا، وإنما جاء بصفته في قوله تعالى: [[إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا]]، وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل، فتحديد هذه الأعلام ومعرفتها يساعد في التفسير ولا يدع مجالا للوهم.

ويمكن أن يعدّ هذا الإنجاز من المراجع المساندة للبحوث، فهو أشبه ما يكون بالمعجم اللغوي أو القاموس الذي لا يستغني عنه الدارسون عندما تعترضهم غرائب اللغة أو المفردات الصعبة التي تحتاج إلي شرح وتوضيح.

فما من حديث يقرأه الواحد منا – يشتمل علي عَلَم ما – إلا ونجد نصَّ الحديث كاملا أو نجد جزءا منه يتضمن العلم، فضلا عما يتبع ذلك من شروح وترجمات لهذا العلم، وبذلك يمكن أن تكون قراءته بين حين وآخر بعيدا عن الجانب البحثي أو الدراسي متعة تحمل زادا علميا وتاريخيا وجغرافيا، فهناك في أحاديث الرسول (ص) وردت أسماء لبعض المواقع والأماكن والنباتات يجهلها الكثيرون منا، ويأتي شرحها والتعريف بها مع توثيق ذلك بالمراجع اللازمة، دليلا علي حرص المؤلف علي خدمة الحديث النبوي، وتقديم ثقافة موسوعية في هذا الجانب، من خلال تلك الشروح والإيضاحات والترجمات للأعلام.

مآخذ علي الكتاب

على أن هذا الكتاب – وهو من صنع البشر – لا يخلو من بعض المآخذ التي لا تقلل من قيمته وأثره المحمود.

وأول هذه المآخذ، أنه اقتصر على كتابين من كتب الحديث، وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحبذا لو امتد العمل ليشمل كتب الصحاح الستة المعروفة وهي: صحيح البخاري، ومسلم، وأبي داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، (هناك خلاف بين العلماء في الكتاب السادس، فمنهم من يجعله موطأ الإمام مالك ومنهم من يجعله مسند الدارمي، (انظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم الحديث ص ١١٨).

ونأمل في الطبعات القادمة أن تضاف الكتب الأربعة الأخيرة إلى الصحيحين، وبذلك تكون الموسوعة أكثر إحاطة وإلماما بالأعلام الواردة في الأحاديث النبوية التي اشتملت عليها كتب الصحاح الستة، وهو بذلك يلتقي مع مجموعة الباحثين الذين أفردوا "معجما"خاصا بمفردات الأحاديث النبوية في تلك الكتب، إذ يعد هذا المعجم من أنفع الأعمال التي قدمت خدمة جليلة لعلوم الحديث وللباحثين، وحينئذ يصبح هذا الكتاب في ثوبه الجديد المقترح موسوعة شاملة لجميع أسماء الأعلام الواردة في معظم الأحاديث النبوية والتي دونت في كتب الصحاح وليس من خلال كتابين فقط.

وهناك مأخذ آخر، وهو أن جميع الأعلام جاءت مختلطة بعضها ببعض، وحبذا لو أعيد ترتيب المعجم في طبعته القادمة إلى أقسام، بحيث يقتصر كل قسم على مجموعة من الأعلام الخاصة بذواتها، فيصبح هناك قسم لأعلام الأشخاص، وقسم لأسماء القبائل، وقسم للأماكن، وآخر للنباتات، وآخر للغزوات.

وهناك مأخذ ثالث، وهو أن بعض الكلمات المعرفة بأل وردت ضمن المعجم، على أنها أعلام، وهي ليست أعلاما مثل: الأصنام – الأنصاب.

وهي على العكس من كلمة (الأعماق) التي شرحها المؤلف بأنها علم على مكان بالشام، وعكس كلمة (السمرة) وهي كما عرفها: علم على الشجرة التي بايعوا النبي (ص) تحتها، وبذلك يصح أن تدخل كلمة (السمرة) و كلمة (الأعماق) ضمن الاعلام.

ومع هذا كله، يبقى الكتاب الذي بين أيدينا عملا موسوعيا له قيمته وفائدته المرجوة في خدمة علم الحديث ، ولا يسعنا إلا أن نقدر لمؤلفه كل جهد ، فجزاه الله حسن الجزاء. ■

القرضاوي يدشن في قطر مشروعاً إسلامياً على الإنترنت

رأس الداعية الإسلامي الشيخ القرضاوي يوم ١٩٩٩/١٠/٥م اجتماعاً في فندق «شيراتون الدوحة» حضرته شخصيات من دول عدة، لتشكيل هيئة عالمية إسلامية لمشروع «خدمة الإسلام على الإنترنت».

ودُشن المشروع يوم ١٩٩٩/١٠/٤م في احتفال كبير حضره وزراء قطريون وحشد من الشخصيات الإسلامية، وسيكون مقره في الدوحة في «جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت»، وعلم أن نفقاته تبلغ سنوياً خمسة ملايين دولار.

وكان القرضاوي خاطب المشاركين في الاحتفال مؤكداً «عالمية الرسالة الإسلامية» وأهمية «تصحيح صورة الإسلام لدى المسلمين وغيرهم».

وأضاف: «نستطيع الآن - عبر الإنترنت - الوصول إلى كل مكان والقيام بالدعوة من دون جيوش وجنود، وكل ما نحتاجه هو كوادر بشرية قادرة على العطاء».

ورأى القرضاوي في حديثه عن الإنترنت أن «استخدام الوسائل الحديثة (وسائل الاتصال العصرية) أصبح ضرورة» لافتاً إلى أن ٢٠ ألف شخص زاروا موقع المشروع الجديد على الإنترنت (www. - net islam. online).

وخاطب الحضور الرئيس السوداني السابق المشير عبدالرحمن سوار الذهب، فنبه بدعم قطر للمشروع، وقال إن «العالم الغربي أسير خرافات وأباطيل، والإسلام ظل بعيداً عن الغرب لكن هناك من أنصفه»، وذكر بمحاضرة ألقاها ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز في جامعة اكسفورد، اعتبر فيها أن الغرب يجهل الإسلام.

وشاركت في حفلة افتتاح المشروع شخصيات من السعودية ومصر ولبنان وفلسطين وبريطانيا وأميركا والبوسنة والكويت والإمارات والبحرين ومفتي القدس الشيخ عكرمة صبري، كما شاركت شخصيات نسائية في الافتتاح وفي اجتماع الهيئة التأسيسية.

ويتكون موقع «خدمة الإسلام على الإنترنت» من «الخط المعلوماتي والخط الإعلامي والخط الخدماتي»، ويتضمن الخط المعلوماتي «القرآن والتفسير والحديث والفتاوى والسيرة والحضارة الإسلامية»، و«كيف تمارس الإسلام»، وقضايا معاصرة و«بنك الفتوى».

وفي «الخط الإعلامي» معلومات تحت عناوين «الحدث وقضايا سياسية وحواء وآدم واستطلاعات، ومساحات للوعي والعلوم والتكنولوجيا ووثائق وبيانات».

أما «الخط الخدماتي» فيقدم خدمات هي البريد الإلكتروني والمفكرة الشخصية وأندية التعارف. وهناك خدمات اجتماعية في الخط المعلوماتي تحت عناوين «مشاكل وحلول والبحث عن مفقود، وتهان ومجاملات، وباب الزواج» وهو خدمة مجانية لمن يود من الجنسين إعلان رغبته في الزواج».

وجاءت في زاوية العلوم والتكنولوجيا في «الخط الخدماتي» عناوين تشمل «مؤسسات تهمك والبنوك الإسلامية والمراكز الإسلامية والقنوات الفضائية».

٦٥ مليون أمي في العالم العربي!

استناداً إلى تقرير أصدره مكتب اليونسكو الإقليمي في بيروت، تمثل الأمية في الدول العربية مشكلة خطيرة. يقول التقرير إن عدد «الأميين من البالغين فوق سن الخامسة عشرة في العالم العربي يصل إلى حوالي ٦٥ مليوناً، أي بنسبة ٤٣٪ (٣٢٪ من الرجال و ٥٦٪ من النساء)، ويعتبر التقرير أن من المفترض أن تنخفض هذه النسبة إلى ٣٠٪ العام ٢٠١٠م.

رابطة العالم الإسلامي تندد بـ«عداء الإسرائيليين» لغير اليهود»

نددت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بـ«إمعان إسرائيل في العدوان على مشاعر المسلمين»، واصفة قيام إسرائيل بلصق صورة المسجد الأقصى على زجاجات نبيذ أطلق عليها «القدس ٢٠٠٠» بأنه عمل «يؤكد الإصرار الإسرائيلي على استخدام الأساليب الرخيصة والأعمال المستهجنة في تزوير التاريخ».

جاء ذلك في بيان أصدره الأمين العام للرابطة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد، لفت فيه نظر الهيئات والمؤسسات الدولية القانونية والثقافية والتراثية إلى «أساليب إسرائيل غير الأخلاقية في الحط من مكانة المقدسات الإسلامية واستخدام رموزها لاستثارة المسلمين والطعن بقدسية مساجدهم خصوصاً المسجد الأقصى المبارك». وأشار الدكتور العبيد إلى أن «هذا العمل الرخيص دليل عملي على عداء الإسرائيليين للأديان والمقدسات غير اليهودية».

وكانت شركة الخمور الإسرائيلية «بارون» أعلنت أخيراً تراجعها عن وضع صورة قبة الصخرة على زجاجات النبيذ لكي لا تؤذي مشاعر العرب والمسلمين.

التدخين يقتل شخصاً كل عشر ثوان

أفادت دراسة نشرت في المؤتمر الأوروبي العاشر للسرطان المنعقد في فيينا أن شخصاً يموت كل عشر ثوان في العالم بسبب التدخين وهو معدل يمكن أن يزداد بحلول العام ٢٠٣٠م إلى حالة وفاة كل ثلاث ثوان.

وأشار الأطباء إلى أن الدول النامية التي تعاني من هذه المشكلة بنفس قدر الدول الصناعية ستكون معنية أكثر بهذه الظاهرة في السنوات المقبلة بسبب الخطط التي تتبعها الشركات المصنعة للتبغ والتي قد تؤدي إلى تحول التدخين إلى «وباء».

وأعلن البروفسور توماس تورز مدير معهد غوستاف - روسي في فيلوجويف بالقرب من باريس الذي يستقبل نحو عشرة آلاف مريض سنوياً أن «التدخين هو السبب الأول لارتفاع نسبة الوفيات الناجمة عن السرطان».

ويموت في أوروبا سنوياً نحو ٥٠٠ ألف من بينهم مئة ألف امرأة بسبب سرطان ناجم عن التدخين.

وأشار الخبراء إلى أن المدخنين المنتظمين يصابون بسرطان الرئة أو بمرض مزمن في الشعب الهوائية أو من مرض في القلب. ومنذ العام ١٩٩٥م أصبح سرطان الرئة الأكثر انتشاراً في العالم، وأصبح في العام ١٩٩٨م السبب التاسع في الوفاة في العالم مع ١,٢٥ مليون حالة وفاة.

والتدخين مسؤول أيضاً عن أكثر من عشرين مرضاً قاتلاً آخر منها سرطان البلعوم والفم والجلطات الدماغية.

وإذا كان التدخين يؤدي فعلاً إلى وفاة أربعة ملايين شخص سنوياً - مليونان في الدول الصناعية ومليونان في الدول النامية - فإن الخبراء يتوقعون ارتفاعاً مأساوياً في عدد الضحايا في دول العالم الثالث.

وأشار تورز إلى أنه من المتوقع تسجيل سبعة ملايين حالة وفاة ناجمة عن التدخين في العام ٢٠٣٠م في الدول النامية حيث «يمكن أن يتحول سرطان الرئة إلى وباء».

وأضاف أنه في المقابل «سجل انخفاض في نسب الوفيات الناجمة عن السرطان في الدول التي تعتمد سياسات متشددة حيال التدخين كالولايات المتحدة وبريطانيا».

إلا أن مخاطر التدخين لا تتوقف على المدخنين وحدهم إذ يواجه غير المدخنين ممن يستنشقون الدخان مخاطر فعلية بالإصابة بسرطان الرئة وأمراض القلب والأوعية الدموية أو الجلطات الدماغية.

النسل في أسبانيا الأقل مستوى في العالم

دق مؤتمر أسباني متخصص ناقوس الإنذار في البلاد ٩/٢٥ الماضي بإعلانه أن معدل النسل في أسبانيا هو الأكثر انخفاضاً في أوروبا والعالم إذ لم يعد يتجاوز ٩,٢ في الألف.

وكشف رئيس المؤتمر الأسباني لطب الحمل في ختام المؤتمر الذي استمر يومين أن أسبانيا بحاجة ماسة إلى معدل من التكاثر لا يقل عن ٢,١ ابن لكل امرأة من أجل ضمان وجود أجيال قادمة تحل مكان الجيل الحالي.

وأضاف مانويل مورو موجهاً حديثه لأكثر من ألف من المختصين أن المعدل الحالي الذي لا يتجاوز ١,١ ابن لكل امرأة «يعني واقعاً سكانياً مأساوياً بالنسبة لبلادنا».

وأضاف أن المؤتمر خلص إلى نتيجة أخرى وهي أن معدل عمر المرأة الأسبانية عند إنجاب ابنها الأول قد ارتفع في السنوات الأخيرة ليكون ثلاثين سنة بعد أن كان قبل ١٥ سنة لايتجاوز ٢٤ سنة.

وقال إن هذا المعدل المرتفع لسن المرأة عند إنجابها ابنها الأول يجعل من الصعب لجوءها إلى الإنجاب من جديد. وأتت هذه الأرقام حول معدل تكاثر السكان في أسبانيا في الوقت الذي أشارت فيه أرقام الأمم المتحدة إلى زيادة ألف مليون نسمة في عدد سكان العالم في السنوات الـ١٢ الأخيرة وهو ما يرفع عدد سكان كوكب الأرض إلى ستة بلايين نسمة.

ويذكر أن عدد سكان أسبانيا يتجاوز بقليل الثمانية والثلاثين مليون نسمة.

الإنفاق العسكري يفاقم عدد الفقراء في جنوب آسيا

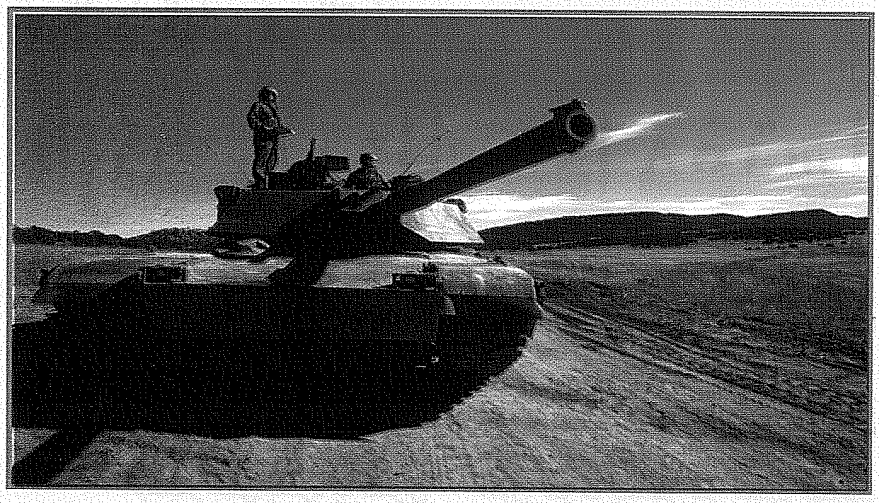

جاء في تقرير نشر يوم ١٤/٩/١٩٩٩م أن الهند وباكستان ستنفقان نحو ١٥ بليون دولار خلال السنوات العشر المقبلة للحفاظ على ترساناتهما من الأسلحة، والمبلغ يكفي لإطعام وتعليم أكثر من ٣٧,٥ مليون طفل في جنوب آسيا.

وأفاد تقرير التنمية البشرية في جنوب آسيا لعام ١٩٩٩م الذي أعده «مركز محبوب الحق للتنمية البشرية» في إسلام أباد أن الهند وباكستان زادتا إنفاقهما العسكري بنسبة ١٤ في المئة و ٨,٥ في المئة على التوالي بعدما تبادلتا إجراء اختبارات نووية العام الماضي.

وحذر التقرير من أن الإنفاق العسكري المتزايد في المنطقة يثير الرعب، خصوصاً أن الفقر يزداد في جنوب آسيا.

وأضاف التقرير الذي نشر بالتعاون مع مكتب الأمم المتحدة في كولومبو عاصمة سري لانكا أنه «أثناء السبعينيات وأوائل الثمانينات كان الفقر يتقلص في مختلف أنحاء جنوب آسيا... وتباطأ هذا الاتجاه، بل ربما انعكس في كل دول المنطقة عدا الهند».

وتابع أن «التنمية البشرية في جنوب آسيا مثلت تحدياً كبيراً العام الماضي في ظل تغير سياسي سريع وكوارث طبيعية واسعة النطاق، وزيادة القدرات النووية وتباطؤ اقتصادي عالمي. وزادت عواقب تلك الأحداث المخاوف من انزلاق المنطقة الأفقر إلى مزيد من الفقر بما يحمله ذلك من نتائج أسوأ في مجالات التغذية والصحة والتعليم».

وذكر التقرير أنه على الرغم من أن الفقر في الهند - أكبر بلد في المنطقة - تراجع نحو ثمانية في المئة بين ١٩٨٨م و ١٩٩٣م فإن الفقراء في المنطقة مازالوا يمثلون ٤٣ في المئة من السكان.

ويعيش في جنوب آسيا ٤٠ في المئة من فقراء العالم، وأن «أكثر من سدس سكان المنطقة (٢٠٠ مليون نسمة) ليس من المتوقع أن يعيشوا إلى سن الأربعين». وأضاف أن ما يصل إلى ١٠٠ ألف طفل يبيعون أجسادهم يومياً ليكسبوا ما يسد رمقهم.

وأشار التقرير إلى أن «الفساد يكلف جنوب آسيا بلايين الدولارات سنوياً وأن الغرم يقع على أفقر الناس». وزاد التقرير أن «حجم الفساد في باكستان وحدها يتجاوز ١٠٠ بليون روبية باكستانية سنوياً أو خمسة في المئة من الناتج المحلي الإجمالي». وفي بنغلاديش تشكل الضرائب «الخاصة» الضمنية، أي تكاليف الفساد ٣٤٠ في المئة من التكاليف الرسمية المقدرة أصلاً.

نصف مواليد أفريقيا يحملون الإيدز

قال مسؤول في الأمم المتحدة إن نصف المواليد في أفريقيا يحملون فيروس «اتش. اي. في» المسبب للإيدز إلا أن المجتمع الدولي رغم ذلك لم يتحرك لمكافحة هذا المرض الفتاك. وأضاف الدكتور بيتر بيوت المدير التنفيذي لوكالة الأمم المتحدة الخاصة بالإيدز أنه في الوقت الذي وجدت فيه القوى الغربية الإرادة للتعامل مع الأزمة، كما حدث في كوسوفا إلا أنها لم تقم بأي محاولة للتعامل بالطريقة نفسها مع مشكلة الإيدز. وأبلغ بيوت رويتر: «الإيدز يقلص إنتاجية الشركات، فالكثير من الناس لا يقدرون على العمل بسبب المرض. الطبقة الوسطى بأفريقيا تتآكل». وزاد أنه في بعض المجتمعات انخفض معدل العمر إلى ٢٥ عاماً بسبب الإيدز. وفي ساحل العاج يموت مدرس كل يوم بسبب الإيدز. وتساءل بيوت: «من سيدرس للأطفال؟ من سيحل محل المدرسين؟».

٩٥٪ من النمو السكاني في الدول النامية

ذكر تقرير أصدره صندوق الأمم المتحدة للسكان unfpa حول حالة سكان العالم ٩٩ بأنه سيكون هناك في يوم ١٢ أكتوبر المقبل نحو ٦ بلايين إنسان يعيشون في هذا العالم بزيادة بليون نسمة خلال ١٢ عاماً وسيكون قرابة نصفهم دون سن الخامسة والعشرين كما سيكون هناك أكثر من بليون من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٤ سنة وهم الذين سيكونون آباء الجيل القادم. وذكر التقرير أن سكان العالم ينمو بمعدل ٧٨ مليون شخص في السنة أي ما يقل قليلاً عن إجمالي عدد سكان ألمانيا وقد تضاعف عدد سكان العالم منذ عام ٦٠ وحدث أكثر من ٩٥٪ من النمو السكاني في الدول النامية.

بقلم : د. أحمد شوقي الفنجري

من الإعجاز الطبي في القرآن

«اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب»

سورة ص آية ٤٢

هذه الآية الكريمة رغم كلماتها القليلة تحمل الكثير من المعاني الطبية والتي تعتبر نوعاً من الإعجاز الذي ينفرد به القرآن الكريم.

ولكن اكتشاف هذا الإعجاز وفهمه يحتاجان من الباحث المدقق إلى الكثير من الدراسة والعلم والمقارنة بما جاء في الكتب السماوية الأخرى وما جاء في كتب الطب الحديث... وبغير هذه الخلفية التاريخية والعلمية فإن القارئ العادي للآية سيمر بها مروراً عابراً دون أن يدرك ما فيها من إعجاز علمي... فلنبدأ هذه الدراسة من أولها:

لقد جاءت قصة سيدنا أيوب عليه السلام في الكتب السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن. ولكنها ذكرت في القرآن وحده بمفهوم يختلف كل الاختلاف عما جاء في الكتابين السابقين. وهذه مقارنة علمية هادئة عما جاء في الكتب الثلاثة... لا من حيث القصة والرواية نفسها... وإن اختلفت الرواية أيضاً... ولكن الخلاف الذي يهمنا هنا حول مفهوم المرض وأسبابه وحول مفهوم العلاج.

ولنبدأ بما جاء في القرآن الكريم: بقول الله تعالى في سورة ص الآية ٤١ و٤٢: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب).

فقد جاء في التفاسير الإسلامية أن أيوب قد أصيب في جسده بقرح ودمامل حتى عجز عن الحركة ورقد في الأرض كالمشلول. فلما دعا ربه أن يشفيه أمره سبحانه وتعالى بثلاثة أنواع من العلاج الطبي:

الأول: هو ما يسمي في الطب الحديث بالعلاج الطبيعي، وذلك بقوله تعالى «أركض برجلك» والركض هنا غير المشي أو الحركة العادية إنه نوع من الجري أو الهرولة النشيطة والمقصود بها الرياضة البدنية والحكمة في ذلك أن أيوب كان قد استلقي في الأرض من آلام الدمامل وأصبح كالمشلول والمعروف في الطب الحديث أن الرقاد والاستسلام يؤديان إلى كسل الحركة الدموية وكسل جميع وظائف الأعضاء وهذا يؤدي بدوره إلى نقص المناعة في الدم وتغلب المرض. وقد كان الأطباء حتى عهد قريب يأمرون المريض بملازمة الفراش أطول فترة ممكنة وبخاصة بعد العمليات الجراحية، ولكن الطب الحديث جداً اكتشف أن هذا الرقاد يؤدي إلى نتائج عكسية وتأخر الشفاء فأصبحوا ينصحون المرضى الناقهين بالحركة المبكرة لأنها تساعد على زيادة المناعة والتئام الجروح.

الأمر الثاني: في قوله تعالى: (هذا مغتسل بارد) وهذا يحمل أكثر من معنى في الطب الحديث، فالاغتسال معناه غطس الجسم كله في المياه المعدنية. وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الله تعالى قد فتح لأيوب عيناً من الأرض فيها نوع من المياه الكبريتية والمعدنية لعلاج القرح، ويعني أيضاً الدهون للجلد أو ما يسمى في الطب المعاصر الغسول وهي كلمة تستعمل في الطب الحديث عن الأدوية التي يدهن بها الجلد للعلاج. ولاحظ قوله تعالى: (مغتسل بارد) حيث إن التبريد أيضاً أصبح في الطب الحديث أحد أهم عناصر العلاج.

الأمر الثالث: هو كلمة الشراب أي الأدوية التي تؤخذ بالفم وهي كلمة عربية وردت أساساً في القرآن واستعملها أطباء المسلمين... ونقلتها أوروبا في الطب الحديث وما يزال اسمها العربي (SYRUP) مستعملاً في كتب الطب الحديث إشارة إلى الأدوية التي تؤخذ عن طريق الفم.

فهذه ثلاثة أنواع من العلاج للأمراض الجلدية وردت في آية واحدة وفي كلمات قليلة، وهي تشمل كل أنواع العلاج الجلدي المعروف في عصرنا. وهذا إعجاز أدبي إلى جانب الإعجاز الطبي.

نعود الآن إلى ما جاء في التوراة والإنجيل عن هذه القصة نفسها والمفاهيم والدروس التي نأخذها منها وكبداية نقول: إننا نحن المسلمين نؤمن بالأديان السماوية الثلاثة، ونكن لها كل تقدير واحترام، غير أن هذه الرسالات السابقة قد كتبت وسجلت بأيدي البشر وأفكارهم وبعد موت نبيهم بعشرات بل مئات السنين. والبشر عرضه للنسيان أو الخطأ أو التحريف ولو من دون قصد. وعلى قدر فهمه وعلمه. في حين أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي سجل من كلام الله مباشرة. وقد جاء الإسلام آخر الأديان ليصلح المسار الخاطئ في الرسالات

السابقة والمفاهيم الباطلة التي أدخلت عليها.

لقد جاء النص في قصة سيدنا أيوب في التوراة - في العهد القديم - سفر أيوب - الإصحاح الأول ما نصه: «فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي لله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال: هل مجاناً يتقي أيوب الرب؟ أليس أنك سبحت حوله وحول بيته!! ثم يقول الشيطان للرب: ولكن أبسط يدك الآن ومسَّ كل ماله فإنه في وجهك يحدق عليك» فقال الرب «هو ذا كل ماله في يدك وإنما إليه لا تمد يدك ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب»، وبناء على هذا الإذن من الله أخذ الشيطان يخرب كل شيء عند أيوب فحرق الزرع وقتل الغنم والبقر. وجاء بريح قوية هدمت زاوية البيت على أولاده وبناته فقتلتهم مرة واحدة ومع ذلك صبر أيوب ولم يكفر بالله، فعاد الشيطان يطلب من الله أن يأذن له أن يصيب أيوب في جسده زيادة في الامتحان.

فتقول التوراة: فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب في جسده بقرح رديئ من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. ومع ذلك فلم يكفر أيوب بالرب وصبر على بلائه، وأخيراً أمر الرب الشيطان أن يترك جسد أيوب بعد أن نجح في الصبر فشفي في الحال، فارتباط الشيطان بالمرض هنا واضح لا لبس فيه وهو ارتباط عضوي وليس مجرد وسوسة ولا إيحاء.

والشيء نفسه في المسيحية، حيث يعتبر أن المرض شيطان يدخل جسم الإنسان عندما يرتكب معصية في حق الله، ولذلك فإن العلاج الوحيد لأي مرض هو الصلاة والصوم، فإذا لم يأتِ هذا بنتيجة فمعنى ذلك أن إيمان الرجل ضعيف وذنبه كبير جداً فلا يقبل الله له الغفران. ولابد في هذه الحال من تدخل رجال الكنيسة لكي يقرأوا له الصلوات والدعاء ويدهنوه بالزيت المقدس لطرد الشيان من جسده.

وفي ذلك يقول برنارد شو في كتابه «حيرة الطبيب»: «إن الكتاب المقدس صريح بموضوع علاج الأمراض. فرسالة جيمس الأصحاح الخامس تحتوي على الإشارات التالية ١٤ و١٥».

«أيوجد بينكم شخص مريض فليدع شيوخ الكنيسة وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب ثم إن الصلاة الإيمان سوف تبرئ المريض ولسوف يرفعه الرب إلى أعلا وإذا كان قد ارتكب أوزاراً فسوف تغفر له».

ثم يقول برنارد شو: «وأبناء الطائفة الإنجيلية المسيحية يطيعون هذه التعاليم طاعة عمياء لأنهم يأخذون الكتاب المقدس مأخذ الجد التام.

ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذي كان سائداً في المسيحية في بريطانيا حتى القرن التاسع عشر إلا بإصدار قانون يقضي بحبس الأب الذي يموت ولده دون أن يعرضه على الطبيب بحبسه مدة ستة أشهر».

وقد جاء النص في الإنجيل حول العلاقة بين الشيطان والمرض في أكثر من موضع. فقد جاء في إنجيل متى ١٤/٨.

«وعند حلول المساء أحضر إليه الناس كثيراً من المسكونين بالشياطين فكان يطرد الشياطين بكلمة منه وشفى المرضى جميعاً».

وجاء في إنجيل متى ٣٢/٩: «وجاء بعضهم بأخرس يسكنه شيطان فلما طُرد الشيطان تكلم الأخرس».

وجاء النص على أن علاج الأمراض بالصلاة والصوم فقط لطرد الشيطان في إنجيل متى ٢١/١٧:

«أما هذا النوع من الشياطين فلا يطرد إلا بالصلاة والصوم» الإنجيل - كما دونه متى - طبعة ١٩٨٢م ص٢٧.

وقد تسلطت هذه الفكرة عن مفهوم المرض والشيطان على أوروبا قروناً طويلة. ويذكر المؤرخون المسيحيون أن رجال الكنيسة كانوا يمنعون الناس من التداوي والعلاج لدى الأطباء... لأن هذا «بحد زعمهم» تدخّل في إرادة الله. وتقول الدكتورة زيجرد هونكة في كتابها القيم «شمس العرب تسطع على الغرب»: حول هذا الفكرة الشيطانية: «كان الكهنة يمرون على المرضى ويرشونهم جميعاً بالماء المقدّس ويصلون عليهم ويأمرونهم بتصفية أمورهم الدينية والدنيوية بالاعتراف بآثامهم التي أدت إلى مرضهم. فإذا شفي المريض لأي سبب جاء إلى الكاهن الذي يقول له «ها أنت قد عوفيت. فلا تخطئ مرة أخرى لئلا يصيبك ما هو أعظم». أما إذا لم يشف المريض فمعناه أن إيمانه ما يزال ضعيفاً وخطيئته لم تغفر، وكانت إحدى أهم وسائل العلاج هي ضرب المريض بالعصا لإخراج الشيطان من جسمه وكثيراً ما يؤدي الضرب إلى الوفاة».

الإسلام ومفهوم المرض والعلاج:

لقد جاء الإسلام بمفهوم جديد يختلف اختلافاً جذرياً في نظرته إلى هذه القضية:

- فإذا كان المرض في اليهودية والمسحية عبارة عن شيطان يدخل جسم الإنسان بسبب معصية يرتكبها في حق الله وأن من يمرض لابد أن يكون مذنباً.

- فإن المرض في نظر الإسلام يعتبر من قضاء الله وقدره وهو يصيب الطيب والشرير، والمخطئ والمصيب وأنه لا علاقة له بمعصية الله ولا علاقة له بدخول الشيطان في الجسم.

- وأن الشيطان لا يستطيع دخول جسم الإنسان لإحداث المرض، بل كل تأثيره هو الوسوسة والإيحاء السلوكي.

وبناء على هذه النظرية المنطقية التي تسبق كل علوم عصرنا الحاضر، فالإسلام أول من أقرّ بالطب والعلاج.

وكان المسلمون أول الأمر يأتون إلى الرسول لكي يشفي مرضاهم فكان - ﷺ - يزور المريض ويدعو له بالشفاء ثم يقول لهم «أدعو له الطبيب» فكانوا يتعجبون من ذلك ويقولون له: «وأنت تقول ذلك يا رسول الله» أي أنت أيضاً تطلب منا استدعاء الطبيب ولا تشفي المريض بيديك، فيقول لهم «نعم تداوا عباد الله فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له الدواء عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَ فإذا أصاب الدواء الداء برأ المريض بإذن الله تعالى» رواه الترمذي وابن حنبل وكان الرسول نفسه يمرض ويطلب من الأطباء علاجه كأي بشر. فكانوا ينعتون له الأنعات «أي الوصفات الطبية» ويتناول الأدوية كما يصفونها له.

وهكذا يكون القرآن الكريم قد أحدث ثورة، بل معجزة علمية في الفكر الإنساني، وحوّله من عصر الخرافة وفكرة الشيطان الذي يتلبس جسم المريض ولا يغادره إلا بضرب المريض بالعصا... أو بالدعاء والاستغفار بوساطة الكهنة ورجال الدين.

إلى عصر العلم والنور، والاعتراف بالطب والعلاج، والتحليل في المعامل والاجتهاد في الدواء المناسب.

وما أجدرنا نحن المسلمين... أن نظهر هذه الحقيقة ونعلنها على الدنيا كلها... حتى تعرف الإنسانية كلها فضل الإسلام.

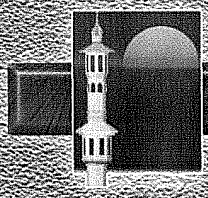

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

التأمين على الحياة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

وهو بشأن إنشاء صندوق للضمان الاجتماعي التعاوني بالاتفاق مع إحدى شركات التأمين على عمل وثيقة تأمين جماعية تغطي حالات العجز والوفاة للمشتركين بالصندوق.

وقد سبق للجنة أن اطلعت في جلستها السابقة على النظام الأساسي للصندوق وأرجأت الإجابة على السؤال الوارد إلى حين إحضار وثيقة التأمين الجماعية بين الصندوق وشركة التأمين، وقد أحضرت هذه الوثيقة.

وبعد أن اطلعت اللجنة على بنود مشروع التأمين الجماعي.

أجابت اللجنة بالتالي:

إن هذا النوع من التأمين في ظل الظروف الحاضرة مما تدعو إليه الحاجة وليس كتأمين على الحياة وحسب المعمول به خارج هذا الإطار، لأن التأمين على الحياة فيه استغلال وضرر فاحش ومراباة في حال السلامة واسترداد الأقساط، واللجنة ترى أن التأمين بالشكل الذي ورد في الاستفتاء خال من الربا، كما أن الغرر فيه قليل ولا يؤدي عادة إلى النزاع، كما أن مبلغ التأمين الذي يدفع عند الوفاة أو العجز الكلي أو الجزئي لا يتجاوز الضرر الفعلي، وقد استأنست اللجنة للحد الأعلى في تقدير الضرر بالدية الشرعية للنفس أو ما دونها، وبما أن التأمين على الأشياء الذي أجازته اللجنة وغيرها من الجهات الشرعية في صور شتى مقيد بقيود منها: ألا يتجاوز التعويض الضرر الفعلي. فإن اللجنة ترى أن هذا التأمين بهذه الصورة جائز مع الشبهة واللجنة لا تزال ترى أن مثل هذا الأمر يحتاج للبت فيه إلى رأي المجامع الفقهية، كما أن اللجنة توصي صناديق الضمان بالاقتصار على التأمين التعاوني، لأنه لا شبهة فيه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» ولقوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والله أعلم

الشراء من بيت المال بالمزايدة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل شراء البضائع من بيت المال - تابع للجمارك والموانئ في دولة الكويت - حلال أم حرام؟ حيث إن أحد الأصدقاء المخلصين أخبرني عن هذا الأمر أنه حرام... من جانبي أقدم بعض الإيضاحات للجنة الموقرة وهو: أن التاجر يستورد بعض البضائع الشتوية: فيتأخر الشحن من بلد المنشأ لأسباب كثيرة، فيقوم التاجر الكويتي بإلغاء الطلبية حيث إنه من المؤكد أن تصل البضاعة بعد انتهاء فصل الشتاء، فلا يكون لها سوق للاتجار، فإن كانت الشركة قد أخلت بشروط الشحن مثلاً تقوم هي بإرسال البضاعة، وترسل مندوبين، أو تحول البضاعة إلى شخص من معارفها لتصريف البضاعة، فإن أخفقوا باعوها عن طريق بيت المال، وتعود الفائدة على الشركة بعد خصم الرسوم والجمارك المطلوبة، ثم أخبر اللجنة أن البيع يتم بطريق المزايدة.

- أجابت اللجنة:

أنه لا بأس بشراء البضائع من بيت المال المذكور. أما بالنسبة للبيع عن طريق المزايدة فإن الأصل فيه الإباحة إلا إذا كان هناك غرر وتدليس واتفاق غير مشروع فإنه حرام. والله أعلم

تزوير وتغيير الاسم

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

اسمي الأصلي صلاح، وغيَّرت اسمي إلى محمد لاستخراج جواز السفر، وجئت هنا «الكويت» بهذا الاسم.

ما حكم هذا من الناحية الشرعية؟ علماً أن في كتاب الكبائر عُدَّ من الكبائر، وعلماً بأني في بلدي يعرفونني باسمي الأصلي فقط.

أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل أنه يجوز للإنسان تغيير اسمه لمقصد مشروع، كما لو كان الاسم مما نهى الشرع عن التسمي به أو لمقصد مرغوب كاسم يتضرر منه بشرط أن لا يترتب على هذا التغيير تضييع حقوق الناس أو أكل حقوقهم بالباطل.

وأما ما جاء من عَدِّ ذلك من الكبائر، فالمراد ما يترتب عليه الانتساب إلى غير أبيه أو نفي نسبه عن أبيه وهذا شيء آخر، كما أنه ليس للشخص أن يغير اسم أبيه أو جده لأن ذلك يؤدي إلى تضييع النسب أو تجهيل القرابة. والله أعلم.

التعامل تجارياً مع غير المسلمين

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز الشراء من المحلات اليهودية؟ وجزاكم الله خيراً.

- أجابت اللجنة:

الأصل جواز التعامل مع غير المسلمين، على أن الأولى معاملة المسلمين ونفعهم بدلاً من معاملة غيرهم. والله أعلم

عمل الكفار في منازل المسلمين

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز استخدام الخادمة غير المسلمة في البيت المسلم؟

أجابت اللجنة:

إنه لا مانع من توظيف غير المسلمين في منازل المسلمين بشرط الحذر من مخالفة الأحكام الشرعية المتعلقة بهم، نحو ألا تنكشف المسلمات على غير المسلمات، كما يتكشفن على أخواتهن المسلمات، كما أنه يجب على الشغالات ستر عوراتهن أمام المسلمين، وألا يدع المسلمون أولادهم لتربية غير المسلمين محافظة على تنشئتهم تنشئة إسلامية، كما أن على المسلمين منعهم من مباشرة الذبح. والله سبحانه وتعالى أعلم.

العمل في الشركات الجمركية

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

أعمل لدى شركة تجارية بوظيفة مخلّص جمركي، وطبيعة هذا العمل تتلخص في التالي: أقوم بترجمة المعاملات وأملأ النموذج المعدّ «بيان جمركي» ثم أقدمه لإدارة الجمارك بعد دفع الرسوم في البنك، فهل هذا يعتبر حلالاً أم حراماً؟ وهل به شبهة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن العمل الذي تقدم به السائل عمل كتابي يجوز أخذ الأجر عليه بشرط أن يخلو عن الأعمال المحرمة من التزوير والرشوة والتهريب وتدليس الممنوعات ونحو ذلك. والله أعلم.

تحويل المقبرة إلى حديقة

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

لابد لنا من معرفة رأيكم حول النقاط التالية:

أ - متى يمكن تحويل المقابر إلى حدائق؟ بمعنى كم المدة اللازم مرورها بعد إيقاف الدفن في مقبرة ما حتى يمكن اعتبارها دارسة شرعاً وبالتالي استعمال أرضها كمرفق عام لحديقة مثلاً؟

ب - هل هناك إمكانية لغرس أشجار في أماكن محدودة في أرض المقابر الدارسة مع عدم تأثر القبول بحيث يحافظ على حرمة المقبرة ولا يسمح بارتيادها؟

يُرجى عرض هذا الموضوع على لجنة الفتوى، بوزارتكم الموقرة وموافاتنا بالنتيجة حتى نتمكن من اتخاذ الخطوات المناسبة بما فيه الصالح العام

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن تشجير المقبرة حتى مع بقاء الرفات جائز، على أن تغرس الأشجار في الفراغات التي بين القبور وليس على القبور نفسها، لأنه إذا غرست على القبر نفسه يلزم من ذلك نبش القبر وهو حرام إلا في حالات نادرة جداً على ألا تتخذ كمتنزه عام، وأما اتخاذ المقبرة متنزهاً عاماً كلها مع بقاء القبور فهذا لا يجوز إلا بعد التأكد من أن عظام الموتى بليت كلها، وإذا كانت أرض هذه المقبرة وقفاً فلا يجوز اتخاذها متنزهاً عاماً إلا عن طريق الاستملاك وفي حال الضرورة وأن يستبدل بها غيرها.

وأما مدة بلي العظام فليس هناك مدة مقدرة شرعاً، وإنما هذا أمر متروك لأهل الخبرة، لأن الأراضي تختلف في ذلك اختلافاً كبيراً. والله أعلم.

بيع مواد للزينة فيها كحول

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

إنني حريص على الكسب الحلال الذي أباحه الله سبحانه. بعداً عن الحرام وما اشتبه به أعرض عليكم الاستفسار التالي:

إني أريد الاطمئنان على صحة كسبي. هل العطور التي يدخل في تركيبها الكحول حلال أم حرام؟ وكذلك أدوات المكياج التي تستخدمها النساء في التبرج؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

لا شيء في المتاجرة في الأشياء المذكورة لأنه يحل للمرأة أن تتزين لزوجها في بيتها، فإذا استعملت هذا المكياج أو أدوات الزينة للتبرج خارج بيتها كان إثمها على نفسها، وأما الكولونيا فترى اللجنة أنه لا بأس ببيعها واستعمالها للتعطر. والله أعلم

النون والقلم

بقلم: محمود علي عبدالرحمن

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١، تلك هي مكانة المؤمنين والعلماء، يرفعهم المولى درجات في الدنيا والآخرة، فطوبى لهم، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وفي الحديث: «.. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب...». وقد اهتم القرآن بأمرين هما مقاليد العلم والحصول على الحقائق، وهذان الأمران هما القلم والباحث الدائب على الحقائق حتى تصير له صفة تميزه فيسمى عالماً فالقلم ويتبعه القراءة والكتابة والمداد والصحف قد كرَّمه الله في أول آيات من محكم التنزيل فقال: (الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) يقول ابن كثير: هن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه بالعلم وكرمه وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة» (وعلم آدم الأسماء كلها).

والقلم من لوازم العلم وضرورات التعلم وأدواته، وقد نال قدراً وافراً من التكريم فذُكر في القرآن أربع مرات. مقسماً به في سورة سميت باسمه (نون والقلم وما يسطرون)، وبصيغة الجمع في آل عمران (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) ولقمان (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)، وفي الحديث: «أن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل.

وقد عدّد ابن القيم أنواع الأقلام التي أحصاها في زمانه من دينيه في إثنى عشر نوعاً نسبة لما تكتبه لا لأشكالها وقال في القلم السادس وهو قلم الحساب هو قلم الكم المتصل والمنفصل الذي تضبط به المقادير وما بينها من التفاوت والتناسب ومبناه الصدق والعدل، فإذا كذب هذا القلم وظلم فسد أمر الملك وانتقص. وهذا القلم كائن في قمة الأقلام، ولا يحركه إلا عاقل عالم قد بلغ شأواً بعيداً في الحساب والفهم، ومنه نستطيع أن نشتق كل الأقلام التي كتبت العلوم والتي ما تزال تكتبها وعلى أي صورة تكون: من القلم الذي هو جزء من قصبة إلى صورة الحاسب الإلكتروني الآن.

ولا يغرب عنا أهمية القلم بشتى صنوفه وأشكاله في تدوين العلوم وترسيم الحضارات على مر العصور والأزمان، مما ساعد على توارث الأجيال لها فكان لذلك عظيم الأثر في تقدم الأمم ورقيها. فيا ليت شعري كيف نسينا ما للقلم من مآثر عظام، فصرنا نهمله ولا نحمله نستجديه من الغير. أحياناً. ولا نقتنيه، أم تُرى حل بنا نصب أم جاق بنا وصب من حمله فتركناه عامدين وراء ظهورنا، فمتى نفيق من غفوتنا فيكون القلم لنا رفيقاً في كل سكن أو طريق؟! ويا ليت شعري كيف يطيب لمن أنعم الله عليه بالعلم والقلم أن يسلَّ قلمه يوماً من غمده ليسطر به ظلماً أو زوراً أو ليعقد به باطلاً أو يكتب به حراماً، فحريٌّ بكل مسلم ملتزم أن يكون قلمه عدلاً دوماً وحقاً أبداً. ■

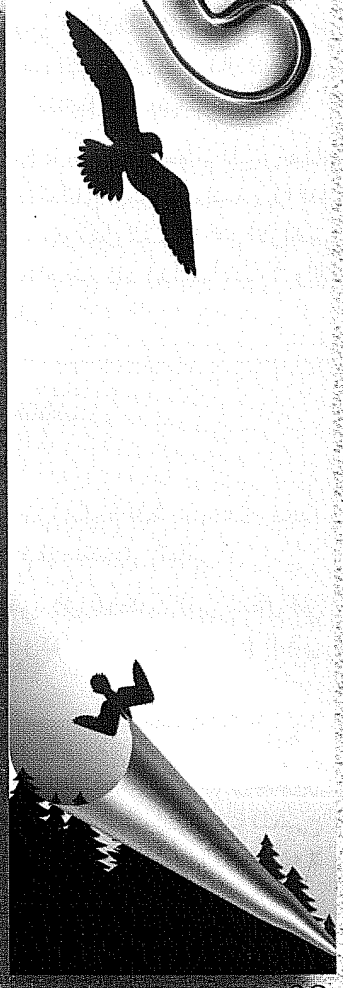

الوعي الإسلامي

شهرية جامعة ... إسلامية ... al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

صدق الله العظيم

شارك معنا من خلال اقتنائك

السهم الوقفي

بقيمة

١٠ د.ك

ومضاعفاته

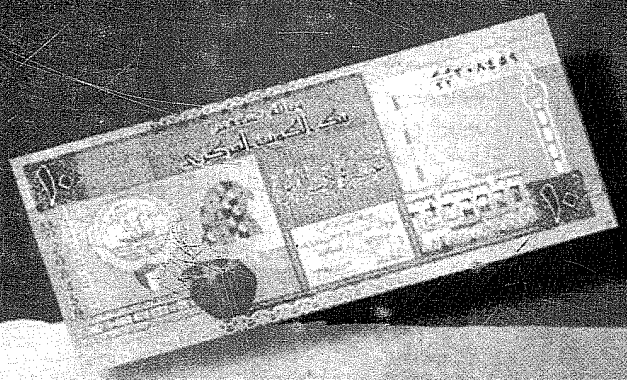

للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧

التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥٠ ٩٢٥

فاكس: ٢٦٦٠ ٢٥٣

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين

VISA MasterCard

الأمانة العامة للأوقاف